الكتاب: الإمامة وأهل البيت
المؤلف: محمد بيومي مهران
الجزء: ٣
الوفاة: معاصر
المجموعة: من مؤلفات المستبصرين
تحقيق:
الطبعة: الثانية
سنة الطبع: ١٤١٥ - ١٩٩٥ م
المطبعة: نهضت
الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية
ردمك:
ملاحظات:

الإمامة وأهل البيت
الجزء الثالث
الأئمة خلفاء الإمام علي

الطبعة: الثانية ١٤١٥ ه / ١٩٩٥ م
اسم الكتاب: الإمامة وأهل البيت (عليهم السلام)
الجزء الثالث - الأئمة خلفاء الإمام علي (عليه السلام)
تأليف: الدكتور محمد بيومي مهران
الناشر: مركز الغدير للدراسات الإسلامية
المطبعة: نهضت
عدد النسخ: ٢٠٠٠

الإمامة وأهل البيت
الجزء الثالث
الأئمة خلفاء الإمام علي
دكتور
محمد بيومي مهران
الأستاذ بكلية الآداب
جامعة الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم
" والحمد لله رب العالمين "
" والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين "
" مولانا وسيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين "
" اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم "
" وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم "
" في العالمين، إنك حميد مجيد ".

تقديم

تحدثنا في الجزء الأول من كتابنا هذا " الإمامة وأهل البيت " عن الإمامة، ثم عن التشيع لآل البيت النبوي الشريف. وتحدثنا في الجزء الثاني من هذا الكتاب عن الإمام علي بن أبي طالب، وأحقيته في الإمامة، وقدمنا ما استطعنا من الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

ونتابع - بمشيئة الله تعالى سبحانه وتعالى - في هذا الجزء الثالث الحديث عن الأئمة خلفاء الإمام علي، من الإمام الباقر، وحتى الإمام المهدي المنتظر.

ولم نشرف في هذا الجزء بالحديث عن سادتنا الكرام البررة، سيدنا الإمام الحسن وسيدنا الإمام الحسين وسيدنا الإمام جعفر الصادق، لأننا شرفنا من قبل بكتابة كتاب خاص عن كل منهم، على حدة.

وسوف نختم هذا الجزء الثالث بقائمة من المراجع المختارة، التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

والله تعالى نسأل، أن يجنبنا الزلل، وأن يشملنا بعفوه ورحمته، وأن يعفو عن أخطائنا وأن يجعل في هذه الدراسة " في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين " - بأجزائها التي امتدت حتى الآن إلى اثني عشر جزءا - أن يجعل فيها بعض النفع، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

" وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ".

والحمد لله حمدا يليق بجلاله، ويقربنا إلى مرضاته سبحانه وتعالى، فيقبلنا
- بمنه وكرمه - في أمة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، عبادا لله قانتين، وللنبي
الأمي الكريم
تابعين، وبهديه مقتدين، إنه سميع قريب، مجيب الدعوات، رب العالمين.
بولكلي - رمل الإسكندرية الأول من يناير ١٩٩٣ م الثامن من رجب عام
١٤١٣ هـ:
دكتور محمد بيومي مهران
الأستاذ بكلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الباب الرابع
الأئمة خلفاء الإمام علي بن أبي طالب
تقديم:
ترى الشيعة الإمامية أن الإمامة قد انتقلت من الإمام علي بن أبي طالب
إلى أولاده بالنص عليهم من سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأن الإمام علي
إنما قد سأل
سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الأوصياء، فقال: " كلهم هاد مهتد، لا
يضرهم كيد من
كادهم، ولا خذلان من خذلهم، هم مع القرآن، والقرآن معهم، فقلت: يا
رسول الله، سمهم لي فقال: ابني هذا، ووضع يده على رأس الحسن، ثمن ابني
هذا، ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن ابني هذا، ووضع يده على رأس
الحسين، ثم ابن لي على اسمي اسمه محمد، باقر علمي، وخازن وصي الله
ورسوله، وسيولد علي في حياتك، فأقرأه مني السلام، ثم أقبل على الحسين
فقال: سيولد لك محمد بن علي، في حياتك فأقرئه مني السلام... ثم يستمر
إلى نهاية الاثني عشر إماما، من ولدك مني السلام... ثم يستمر إلى نهاية
الاثني عشر إماما، من ولدك يا أخي، فقلت: يا نبي الله، سمهم لي، فسماهم
رجلا رجلا، منهم والله هلال مهدي هذه الأمة، الذي يملأ الأرض قسطا
وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا (١).
ويؤكد صاحب الرواية - سليم بن قيس - هذا الخبر، بأنه سأل الحسن

---

(١) سليم بن قيس: كتاب سليم بن قيس - أو السقيفة ص ٩٤ (ط النجف).

والحسين عنه، فشهدا له بذلك (١). كما يؤكد الإمام علي الخبر، حيث يقول: يا سليم، إن أوصيائي أحد عشر رجلا، كلهم محدثون، فقلت: يا أمير المؤمنين، من هم؟ قال: ابني هذا الحسن، ثم ابني هذا الحسين، ثم ابني هذا، وأخذ بيد ابن ابنه، علي بن الحسين (علي زين العابدين)، وهو رضيع، ثم ثمانية من ولده، واحدا بعد واحد، هم الذين أقسم الله بهم فقال: (ووالد وما ولد) (٢)، فالوالد أوصياء، فقلت: يا أمير المؤمنين فيجتمع إمامان، قال: نعم، إلا أن واحدا صامت لا ينطق حتى يهلك الأول " (٣).

هذا ويذهب بعض العلماء إلى أن هناك بعضا من آي الذكر الحكيم تشير إلى ولاية الأئمة، ومن ذلك قوله تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل) (٤)، قال " فرات " (٥): وتفسيره أن هذه الآية الكريمة إنما تشير إلى أن الإمام عليا والأئمة من ولد فاطمة - عليها السلام - هم صراطه، فمن أتاه سلك السبيل (٦).

وفي تفسير قوله تعالى: (ليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها، ولكن البر من اتقى، وأتوا البيوت من أبوابها) (٧)، يقول أمير المؤمنين علي: نحن البيوت التي أمر الله أن تؤتى من أبوابها، ونحن باب الله الذي يؤتى، فمن يأتينا

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٩٥.

(٢) سورة البلد: آية ٣.

(٣) سليم بن قيس: السقيفة ص ٢٠١.

(٤) سورة الأنعام: آية ١٥٣.

(٥) هو فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، روى عن الحسين بن الكوفي (ت ٣٠٠ ه‍ / ٩١٢) وروى عنه أبو الحسن علي بن الحسين بن بابويه (ت ٣٢٩ ه‍ / ٩٤٠ م)، ومن المرجح أن فرات توفي عام ٣١٠ ه‍ (٩٢٢ م)، وأهم آثاره تفسيره (أنظر: الذريعة ٤ / ٢٩٨ - ٣٠٠، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ٣ / ٢٨٩).

(٦) تفسير فرات ص ٤٥ (المطبعة الحيدرية - النجف).

(٧) سورة البقرة: آية ١٨٩.

وآمن بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها، ومن خالفنا، وفضل علينا غيرنا، فقد أتى البيوت من ظهورها (١).
وفي تفسير قوله تعالى: (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) (٢)، قال: عن أبي عبد الله الصادق: نحن والله أولو النهى، ونحن قوام الله على خلقه، وخزانه على دينه " (٣).
هذا وقد فسر " علي بن إبراهيم القمي " عددا من الآيات في الولاية أيضا، منها قوله تعالى: (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (٤). قال: النبيون رسول الله، والصديقون علي، والشهداء الحسن والحسين، والصالحون الأئمة، وحسن أولئك رفيقا، يقال للقائم من آل محمد (٥).
وفسر قوله تعالى: (فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل) (٦)، يقول: هم الذين تمسكوا بولاية علي بن أبي طالب والأئمة (٧).
ويفسر قوله تعالى: (والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين) (٨)، فالتين رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والزيتون علي بن أبي طالب، وطور سينين والبلد الأمين
الأئمة (٩).

---

(١) تفسير فرات ص ٤٥ - ٤٦.
(٢) سورة طه: آية ٥٤.
(٣) تفسير فرات ص ٩٢، وانظر: نبيلة عبد المنعم داود: نشأة الشيعة الإمامية ص ١٦٥ - ١٥٩.
(٤) سورة النساء: آية ٦٩.
(٥) تفسير القمي ص ٨٩.
(٦) سور النساء: آية ١٧٥.
(٧) تفسير القمي ص ٨٩.
(٨) سورة التين: آية ٢.
(٩) تفسير القمي ص ٣٦٨.

هذا ويذهب " الكليني " إلى أن الأئمة منصوص عليهم من الله ورسوله، فيفسر قوله تعالى: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (١)، بأنها نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين (٢).
وروى " الكليني " (٣) عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر في قوله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجه أمهاتهم، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) قال: نزلت في الإمرة، وأن هذه الآية جرت في ولد الحسين من بعده، فنحن أولى بالأمر وبرسول الله من المؤمنين والمهاجرين والأنصار (٤).
وروي عن الإمام أبي عبد الله الصادق في تفسير قوله تعالى: (إنما

---

(١) سورة النساء: آية ٥٤.
(٢) الكليني: الأصول من الكافي ١ / ٢٨٨ (تصحيح علي أكبر الغفاري - مكتبة الصدوق طهران ١٣٨١ ه).
(٣) الكليني: هو أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، كان أكبر علماء الإمامية في عصره ببغداد، وكان مجددا، وعرف بذلك عند معاصريه في أوائل القرن الرابع الهجري، وتوفي في بغداد عام ٣٢٨ ه (٩٣٩ م)، وأهم آثاره (١) الكافي في علم الدين - وهو أحد الكتب الأربعة الأساسية المعتمدة في فقه الشيعة، ونشره " علي أكبر الغفاري " في طهران عام ١٩٦١ م، وله عدة شروح (١ - شرح أصول الكافي للملا صدر الدين الشيرازي ٢ - شرح لأبي الفضائل محمد بن صالح المازندراني ٣ - مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول لمحمد باقر المجلسي
٤ - الرواسخ السماوية في شرح الأحاديث الإمامية لمحمد بن دارماد ٥ - شرح للميرزا رفيع محمد بن حيدر الحسين ٦ - هدى العقول في شرح أحاديث الأصول لمحمد بن عبد العالي
٧ - شرح لمزجي ٨ - شرح للأمير محمد معصوم التبريزي ٩ - الدر المنظوم من كلام المعصوم لعلي بن محمد العاملي ١٠ - شواهد الإسلام لمحمد رفيع الكيلاني ١١ - شرح لحسن بن الشيخ الأكبر جعفر النجفي ١٢ - شرح لحسين الزنجاتي) (٢) روضة الكافي (٣) كتاب الرد على القرامطة.
وأهم مصادر ترجمة الكليني (الرجال للنجاشي ص ٢٩٢ - ٢٩٣، الفهرست للطوسي ص ١٣٥ - ١٣٦، الأنساب للسمعاني ص ٤٨٦ كشف الحجب للكنتوري ص ٤١٨ - ٤١٩، دائرة المعارف الإسلامية ٤ / ٣٨١، أعيان الشيعة للعاملي ٤٧ / ١٥٢ - ١٥٣، الأعلام للزركلي ٨ / ١٧، معجم المؤلفين لكحالة ١٢ / ١١٦ فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ٣ / ٢٩١ - ٢٩٥).
(٤) الكليني: الكافي ١ / ٢٨٨.

وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) (١) قال: إنما يعني أولى بكم، أي أحق بكم وبأموركم وأنفسكم وأموالكم، الله ورسوله والذين آمنوا، يعني عليا وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة (٢).

وعلى أية حال، فإن الشيعة الإمامية إنما يحصرون الإمامة في الإمام علي - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - وأولاده من بعده، وأنها خاصة بأولاد الإمام الحسين - دون الإمام الحسن - فخط الإمامة عندهم متسلسل في الأئمة، بعد الإمام علي بن أبي طالب، عليه السلام (٣).

ويقول " الشيخ المفيد " (٤): وكان الحسن وصي أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على أهله وولده وأصحابه وصاه بالنظر في أوقافه وصدقاته، وكتب إليه عهدا مشهورا، ووصية ظاهرة (٥).

ويتحدث الطوسي عن إمامة الحسن والحسين، ويستدل على إمامتهما

---

(١) سورة المائدة: آية ٥٥.

(٢) الكليني: الكافي ١ / ٢٨٨.

(٣) نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ١٥٧ - ١٥٩.

(٤) الشيخ المفيد: هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام العكبري العربي الحارثي المفيد بن المعلم، ولد في بغداد حوالي عام ٣٣٣ ه‍ (٩٤٤ م) أو ٣٣٨ ه‍ / ٩٥٠ م، وكان عالما كثير التصانيف، بلغت كتبه نحو مائتي كتاب، هذا بالإضافة إلى كتبه في الحديث والفقه، فلقد ألف كتبا في الرد على المعتزلة والحنابلة والزيدية، وفي الرد على الجبائي وابن كلاب والكرابيسي والجاحظ وغيرهم، ولكنه اعتزل السياسة وتوفي عام ٤١٤ ه‍ (١٠٢٢ م). وأهم مصادر ترجمته (الفهرست لابن النديم ص ١٩٧، رجال النجاشي ص ٣١١ - ٣١٦، الفهرست للطوسي ص ١٥٧ - ١٥٨، تاريخ بغداد ٣ / ٢٣١، المنتظم لابن الجوزي ٨ / ١١ - ١٢، دول الإسلام للذهبي ١ / ١٨٠، لسان الميزان لابن حجر ٥ / ٣٦٨، النجوم الزاهرة لابن نعري بردي ٤ / ٢٥٨، شذرات الذهب لابن العمال ٣ / ١٩٩ - ٢٠٠، دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ٦٧٥، أعيان الشيعة للعاملي ٤٦ / ٢٠ - ٢٦، الذريعة ١ / ٣٠٢، ٥٠٩، ٢ / ٢٣٧، ٢٥٨، ٣١٥، الأعلام للزركلي ٧ / ٢٤٥، معجم المؤلفين لكحالة ١١ / ٣٠٦ - ٣٠٧، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ٣ / ٣١٠ - ٣١٤).

(٥) المفيد: الإرشاد ص ١٨٧ (النجف ١٩٦٢).

بأدلة كثيرة، منها إجماع أهل البيت على القول بإمامتهما - بعد أبيهما - وتواتر الشيعة خلفا عن سلف بالنص عليهما من أبيهما، والنص من النبي (صلى الله عليه وسلم) بإمامة
الأئمة الاثني عشر، وقول النبي (صلى الله عليه وسلم) " ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا " (١).
ثم جاء الإمام علي بن الحسين (علي زين العابدين) بعد أبيه الإمام
الحسين، ويروي الكليني عن الإمام أبي عبد الله الصادق: أن الحسين لما سار إلى العراق، واستودع أم المؤمنين أم سلمة - رضي الله عنها - الكتب والوصية، فلما رجع علي بن الحسين دفعتهما إليه (٢)، ويروي " سليم بن قيس " (٣) أن عليا بن الحسين قد نص على إمامته سيدنا (صلى الله عليه وآله وسلم) (٤).
وبعد وفاة الإمام علي زين العابدين قالت الشيعة: الذين ثبتوا الإمامة
لعلي بن أبي طالب ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي بن الحسين، نزلوا إلى القول بإمامة أبي جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين، باقر العلم، فأقاموا على إمامته (٥)، ويقول الشيخ المفيد: وكان محمد الباقر من بين إخوته خليفة أبيه علي بن الحسين، ووصيه والقائم بالإمامة من بعده (٦).
ويقول البغدادي (المتوفى في عام ٤٢٩ ه‍ / ١٠٣٧ م): وقد ساق الباقرية الإمامة من علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في أولاده، إلى محمد بن علي، المعروف بالباقر، وقالوا: إن عليا نص على إمامة ابنه الحسن، ونص الحسن

---

(١) تلخيص الإرشاد ٤ / ١٦٧.
(٢) الكليني: الكافي ١ / ٣٠٤.
(٣) سليم بن قيس، صاحب " كتاب الأصل " وقد وصفه ابن النديم في الفهرست (ص ٢١٩) بأنه أول كتاب ظهر للشيعة، وقد ذكر سليم بن قيس الهلالي هذا، أنه كان راوية للإمام علي، وقد مات أثناء ملاحقة الحجاج الثقفي لأعداء الأمويين، وقد تضمنت أمهات كتب الشيعة المبكرة نصوصا كاملة منه، وقد وصل إلينا هذا الكتاب بروايات مختلفة (أنظر: الذريعة ٢ / ١٥٢ - ١٥٩، تاريخ التراث العربي ٣ / ٢٦١ - ٢٦٢)،
(٤) سليم بن قيس: السقيفة ص ٩٤.
(٥) النوبختي: فرق الشيعة ص ٥٢.
(٦) المفيد: الإرشاد ص ٢٦١، نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ١٦٥ - ١٦٦.

على إمامة أخيه الحسين، ونص الحسين على إمامة ابنه علي بن الحسين زين العابدين، ونص علي زين العابدين على إمامة ابنه محمد بن علي، المعروف بالباقر (١).
غير أن الشيعة لم تدن جميعا بإمامة الباقر، وإنما ظهر الخلاف بين صفوفها، والذي تزعمته فرقة الجارودية (٢)، وعلى أية حال، ففي هذه الفترة الحرجة ظهر " الإمام زيد بن علي " فقاد الثورة ضد الأمويين (٣)، كما جاء بآراء جديدة، منها جواز إمامة المفضول، مع وجود الأفضل، ورغم أن الإمام محمد الباقر لم يؤيده في آرائه، غير أنه لم يمنع الناس من تأييده ونصرته، وإن كان الشيعة الذين قالوا بإمامة محمد الباقر تركوه.
هذا وتعلل المصادر الإمامية حركة زيد بأنه إنما ظهر بالسيف يطالب بثارات الحسين، ويدعو إلى " الرضا من آل محمد " فظن الناس أنه يريد بذلك نفسه، ولم يردها له، لمعرفته باستحقاق أخيه الباقر الإمامة من قبل، ووصيته عند وفاته إلى ولده أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق، ويذهب الطوسي بأن زيدا لم يكن منصوصا عليه (٤).

---

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٥٩ - ٦٠.
(٢) أنظر عن رأي الجارودية (البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٣٠ - ٣٢).
(٣) قدم المؤلف دراسة مفصلة عن ثورة الإمام زيد وولده يحيى (أنظر: محمد بيومي مهران: الإمام جعفر الصادق)، وانظر عن هذه الثورة أيضا (ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥ / ٢٢٩ - ٢٣٧، ٢٧١ - ٢٧٢، مروج الذهب للمسعودي ٢ / ١٨٩ - ١٩١ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٥ - ٣٢٦، تاريخ الطبري ٧ / ١٨٤ - ٩١)، مقاتل الطالبين ص ١٤٠ - ١٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٦ / ١١٠ - ١١١، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ١ / ٤٠٦ - ٤٠٧، أحمد شوقي: الحياة السياسية والفكرية للزيدية في المشرق الإسلامي (رسالة دكتوراه - جامعة المنيا عام ١٩٩١)، الجاحظ: البيان والتبيين ١ / ٣١٠ - ٣١٢، ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ٢٨٦ - ٢٩١ (دار مكتبة الحياة - بيروت)، محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١١٤ - ١٢١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ١ / ١٥٨ - ١٥٩.
(٤) الطبرسي: أعلام الورى ص ٢٥٧، الطوسي: تلخيص الشافي ٤ / ١٩٤ (النجف ١٩٦٥)، نبيلة عبد المنعم: المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٧.

وعلى أية حال، فإن الأئمة - عند الإمامية الاثني عشرية - هم: ١ - الإمام علي بن أبي طالب ٢ - الإمام الحسن بن علي ٣ - الإمام الحسين بن علي ٤ - الإمام علي زين العابدين ٥ - الإمام محمد الباقر ٦ - الإمام جعفر الصادق ٧ - الإمام موسى الكاظم ٨ - الإمام علي الرضا ٩ - الإمام محمد الجواد ١٠ - الإمام علي الهادي ١١ - الإمام الحسن العسكري ١٢ - الإمام محمد المهدي.

هذا وقد شرفت من قبل بتقديم دراسات منفصلة عن الأئمة: الإمام علي بن أبي طالب (١)، والإمام الحسن بن علي (٢) والإمام جعفر الصادق (٣) فضلا عن مولانا الإمام الحسين بن علي (٤) والإمام علي زين العابدين (٥).

ومن ثم فسوف نتحدث هنا - بإيجاز - عن الأئمة: ١ - الإمام محمد الباقر ٢ - الإمام موسى الكاظم ٣ - الإمام علي الرضا ٤ - الإمام محمد الجواد ٥ - الإمام علي الهادي ٦ - الإمام الحسن العسكري، ثم الإمام محمد المهدي، سائلين الله العلي الكريم، أن يكون في العمر بقية، حتى نقدم - بعونه تعالى - دراسات منفصلة عن كل من هؤلاء الأئمة الأطهار، أحفاد النبي المختار (صلى الله عليه وسلم).

---

(١) أنظر (محمد بيومي مهران - الإمام علي بن أبي طالب - الجزء الأول والجزء الثاني - بيروت ١٩٩٠).

(٢) أنظر (محمد بيومي مهران - الإمام الحسن بن علي - بيروت ١٩٩٠).

(٣) (أنظر: محمد بيومي مهران: الإمام جعفر الصادق - تحت الطبع).

(٤) (أنظر: الإمام الحسين بن علي - بيروت ١٩٩٠ م).

(٥) (أنظر: الإمام علي زين العابدين - بيروت ١٩٩١).

١ - الإمام محمد الباقر

١ - نسب الإمام الباقر ومولده:

هو الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وسيدة نساء العالمين، السيدة فاطمة الزهراء، بنت سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

هذا وقد ولد الإمام الباقر في مدينة المنورة - في أحد بيوت النبوة - في الثالث من صفر عام ٥٧ ه (٦٧٦ م) وتوفي في عام ١١٤ ه (٧٣٢ م)، وقيل في ١١٧ ه (٧٣٥ م)، وفي عمدة الطالب: ولد سنة تسع وخمسين بالمدينة في حياة جده الإمام الحسين، عليه السلام، وتوفي في ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٤ ه / ٧٢٤ - ٧٤٣ م) - الخليفة الأموي -

وهو ابن خمسين وخمس سنوات ودفن بالبقيع (١)، وفي " سر السلسلة العلوية " ولد سنة ٥٨ ه، وتوفي - كما في " حصن السلام " - عام ١١٣ ه، في عهد هشام بن عبد الملك، وكان عمر أبيه يوم ولد ١٧ سنة، وبذا تكون حياته ٥٨ سنة (٢).

وروي عن الإمام الباقر أنه قال: قتل جدي الحسين، ولي أربع سنين، وإني لأذكر مقتله، وما نالنا في ذلك الوقت (٣)، وفي تاريخ ابن الأثير: وفيها (أي سنة ١١٤ ه) توفي محمد بن علي بن الحسين الباقر، وقيل سنة خمس

---

(١) ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٥ (مكتبة الحياة - بيروت).

(٢) الشريف عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور: شمس الظهيرة في نسب أهل بيت من بني علوي - فرع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الجزء الأول ص ٣٧ (جدة ١٩٨٤).

وانظر ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٥ (بيروت - دار مكتبة الحياة).

(٣) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

عشرة ومائة، وكان عمره ثلاثا وسبعين سنة، وقيل ثمانيا وخمسين سنة (١)، وفي رواية أبي الفداء أنه مات عام ١١٥ ه، وفي طبقات ابن سعد بسنده عن جعفر بن محمد الصادق قال: سمعت محمد بن علي يذاكر فاطمة بنت حسين شيئا من صدقة النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: هذا توفي إلى ثماني وخمسين، ومات لها، قال

محمد بن عمر: وأما في روايتنا، فإنه مات سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وقال غيره: توفي سنة ثماني عشرة ومائة، وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: توفي بالمدينة سنة أربع عشرة ومائة (٢).

وفي وفيات الأعيان: توفي الإمام الباقر في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومائة، وقيل في الثالث والعشرين من صفر سنة أربع عشرة، وقيل سبع عشرة، وقيل ثمان عشرة بالحميمة، ونقل إلى المدينة، ودفن بالبقيع في القبر الذي فيه أبوه، وعم أبيه الحسن بن علي، رضي الله عنهم، في القبة التي فيها قبر العباس، رضي الله عنه (٣).

وفي " إسعاف الراغبين ": مات مسموما - رضي الله عنه، سنة سبع عشرة ومائة، عن نحو ثلاث وسبعين سنة، وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه (٤).

وفي طبقات ابن سعد عن سعيد بن مسلم بن بأنك أبو مصعب، أنه رأى على " محمد بن علي بن حسين " بردا قال: وزعم لي سالم مولى عبد الله بن حسين: أن محمدا أوصى أن يكفن فيه، وعن جابر عن محمد بن علي: أنه أوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه، وعن عروة بن عبد الله بن قشير قال: سألت جعفرا في أي شئ كفنت أباك؟ قال: أوصاني في قميصه، وأن

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٥ / ١٨٠ (بيروت ١٩٦٥).
(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٨.
(٣) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٤.
(٤) محمد الصبان: إسعاف الراغبين في سيرة المصطفى وفضائل أهل بيته الطاهرين ص ٢٢٩.

أقطع أزراره في ردائه الذي كان يلبس، وأن أشتري بردا يمانيا، فإن النبي (صلى الله
عليه وسلم)
كفن في ثلاثة أثواب، أحدها برد يماني (١).
وفي تاريخ المسعودي: وفي أيام الوليد بن يزيد (١٢٥ ه‍ / ٧٤٣ م) كانت
وفاة أبي جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم،
وقد تنوزع في ذلك، فمن الناس من رأى أن وفاته كانت على أيام هشام بن
عبد الملك، وذلك سنة ١١٧ ه‍، ومن الناس من رأى أنه مات في أيام يزيد بن
عبد الملك وهو ابن سبع وخمسين بالمدينة، ودفن مع أبيه علي بن الحسين،
وغيره من سلفه، عليهم السلام (٣).
وأما أم الإمام الباقر، فهي السيدة " أم عبد الله بنت الإمام الحسن بن
علي بن أبي طالب، فهو هاشمي من هاشميين، علوي من علويين (٤).
وكان الإمام الباقر يكنى " أبو جعفر " وأما ألقابه فهي: الباقر والشاكر
والهادي، وأشهرها الباقر، وهو لقب أطلقه عليه جده المصطفى (صلى الله عليه وسلم)،
قال
جابر بن عبد الله الأنصاري: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إنك تستبقى
حتى ترى رجلا
من ولدي، أشبه الناس بي، اسمه على اسمي، إذا رأيته لم يخل عليك، فأقرئه
مني السلام، فلما كبرت سن جابر، وخاف الموت، جعل يقول: يا باقر، يا
باقر، أين أنت؟ حتى رآه فوقع عليه يقبل يديه ورجليه، ويقول: " بأبي وأمي
شبيه أبيه رسول الله، إن أباك يقرئك السلام " (٥). وفي نور الأبصار عن الزبير بن
محمد مسلم المكي قال: كنا عند جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما، فأتاه
علي بن الحسين، ومعه ابنه محمد، وهو صبي، فقال علي لابنه محمد، وهو

---

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥ / ٢٣٨ (دار التحرير ١٩٦٨).
(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٣) مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٢٠٣.
(٤) نور الأبصار ص ١٤٣، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٤.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٠.

صبي قبل رأس عمك، فدنا محمد من جابر فقبل رأسه، فقال جابر: من هذا
- وكان قد كف بصره - فقال علي بن الحسين: هذا ابني محمد، فضمه جابر
إليه، وقال: يا محمد، محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقرئك السلام، فقالوا:
كيف ذلك
يا أبا عبد الله، قال: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، والحسين في حجره
يلاعبه،
فقال: يا جابر، يولد لابني الحسين ابن يقال له علي، فإذا كان يوم القيامة ينادي
مناد، ليقم سيد العابدين، فيقوم علي بن الحسين، ويولد لعلي ابن يقال له
محمد، يا جابر إن أدركته، فأقرئه مني السلام، وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده
قليل، فلم يعش جابر، رضي الله عنه بعد ذلك، غير ثلاثة أيام (١).
وفي عمدة الطالب: وكان أبو جعفر يلقب بالباقر، لما رواه جابر بن
عبد الله الأنصاري عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أنه قال له: يا جابر، إنك
ستعيش حتى
تدرك رجلا من أولادي، اسمه اسمي، يبقر العلم بقرا، فإذا رأيته فأقرئه مني
السلام، فلما دخل محمد الباقر عليه، وسأله عن نسبه فأخبره، فقام إليه واعتنقه
وقال: " جدك رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقرئك السلام " (٢).
ومن عجب أن يسمي " هشام بن عبد الملك الأموي " الإمام الباقر بالبقرة،
حدث ذلك عندما كان الإمام زيد بن علي عنده في دمشق، فسأله ساخرا: ما
فعل أخوك البقرة؟ فغضب الإمام زيد، حتى كاد يخرج من إهابه، ثم قال: لشد
ما خالفت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، سماه الباقر، وسميته أنت البقرة، لتخالفنه
يوم
القيامة، يدخل هو الجنة، وتدخل أنت النار (٣).

---

(١) الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ١٤٣ - ١٤٤، ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٤ البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٢٩ - ٣٠.
(٢) عمدة الطالب ص ٢٢٤.
(٣) ابن عنبة: المرجع السابق ص ٢٢٤، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٨٦.

٢ – الإمام الباقر والإمامة

اختلف الإمام الباقر عن أبيه الإمام علي زين العابدين في شئ من منهج الإمامة، وذلك هو غلبة الإمامة الروحية عند لأب، حتى تكاد تقترب تعاليمه من التصوف، بينما غلب على الإمام الباقر طابع العلم، لا سيما رواية الحديث من ناحية، وطابع التشيع، حيث تبرز عقائد الشيعة في الإمامة والولاية والرجعة، وإن نسب شئ من ذلك إلى زين العابدين، فإن معظم العقيدة المذهبية للشيعة الاثني عشرية، تنسب للباقر، ثم للصادق من بعده (١).

وعلى أية حال، فالإمام الباقر هو الإمام الخامس للشيعة الاثني عشرية والإسماعيلية، غير أن هناك خلافا بين الشيعة ظهر على أيام الباقر، وكما أشرنا من قبل، فلقد ظهر أخوه " زيد بن علي زين العابدين " وقام بثورته ضد الأمويين، وتبعه جماعة خرجوا على إمامة الباقر، وقالوا: إن الإمامة صارت بعد الإمام الحسين في ولد الحسن والحسين، فهي فيهم خاصة، دون سائر ولد علي بن أبي طالب، وهم كلهم فيها سواء، من قام منهم ودعا إلى نفسه فهو الإمام المفروض الطاعة بمنزلة علي بن أبي طالب واجبة إمامته (٢).

ويقوم الإمام زيد: إن كل من ادعى الإمامة، وهو قاعد في بيته، مرخ عليه ستره، لا يجوز اتباعه، ولا يجوز القول بإمامته (٣)، ولا تصح الإمامة إلا بشرط أن يقوم بها، ويدعو إليها، فاضل، زاهد، عالم، عادل، شجاع، سائس (٤)، بل إن الزيدية بأكملها ترى السيف والخروج على أئمة الظلم، وإزالة الجور، وإقامة الحق (٥).

---

(١) أحمد صبحي: نظرية الإمامة ص ٣٥٨.
(٢) النوبختي: فرق الشيعة ص ٤٨.
(٣) نفس المرجع السابق ص ٦٠ – ٦١.
(٤) تاريخ ابن خلدون ١ / ١٦٥، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٩ / ٨٧.
(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين ١ / ١٥٠ (القاهرة ١٦٦٩).

والواقع أن الإمام زيد إنما كان يشترط لاستحقاق الإمام من آل البيت الإمامة أن يخرج داعيا لنفسه (١)، ولم يقل " بالتقية " التي كان آل البيت قد التزموا بها بعد مقتل الإمام الحسين وآل البيت في كربلاء، وفي نفس الوقت لم يشترط الشيعة الإمامية الخروج، لأن تولي الإمامة عندهم بالإيصاء - وليس بالاختيار من أهل الحل والعقد (٢).

ومن ثم فقد عارض الإمام الباقر أخاه زيدا في شروط الإمامة التي رآها، حتى أنه قال له: على قضية مذهبك، والدك (أي الإمام علي زين العابدين) ليس بإمام، فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج (٣).

وعلى أية حال، فإن معظم الشيعة - وخاصة الإمامية - قد التزموا بفكر واحد، يدعو إلى إمامة الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - ثم ولده الإمام الحسن، ثم ولده الإمام الحسين، ثم أولاد الإمام الحسين من بعد أبيهم، حتى الإمام الحسن العسكري.

وأما عن وجوب الإمامة، فلقد سئل الإمام الباقر عن الحاجة إلى الإمام، فقال: ليرفع الله العذاب عن أهل الأرض، وذكر قول الله تعالى: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) (٤)، وقال الإمام الباقر: لا تبقى الأرض يوما واحدا بغير حجة الله على الناس منذ خلق آدم وأسكنه الأرض، وقيل له: أكان علي رضي الله عنه، حجة من الله ورسوله على هذه الأمة في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،

فقال: نعم، يوم أقامه للناس ونصبه علما، ودعاهم إلى ولايته، وأمرهم

---

(١) ابن قتيبة الدينوري: المعارف ص ٦٢٣، الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ٣١، النوبختي: فرق الشيعة ص ١٦٥ (بيروت ١٩٨٤)، مقدمة ابن خلدون ص ١٩٧ - ١٩٨ (بيروت ١٩٨١)، تاريخ ابن خلدون ١ / ١٦٥.

(٢) النوبختي: فرق الشيعة ص ١٦٥.

(٣) تاريخ ابن خلدون ١ / ١٦٥، شرح نهج البلاغة ٩ / ٨٧، الملل والنحل ١ / ١٦١.

(٤) سورة الإنفال: آية ٣٣.

بطاعته وسئل: أكانت طاعة علي واجبة على الناس في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
وبعد وفاته؟ قال: نعم، ولكنه صمت فلم يتكلم في حياة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (١).
ثم يفسر الإمام الباقر قول الله تعالى: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي
إليهم) (٢) وهو ينظر إلى الحجيج، وهم يطوفون حول الكعبة المشرفة،
فيقول: هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية، إنما أمروا أن يطوفوا بها، ثم ينظروا
إلينا، فيعلمونا ولايتهم ومودتهم، ويعرضوا علينا نصرتهم (٣).
ويشرح الإمام الباقر ضلال الناس، إذا لم يهتدوا بأئمة أهل البيت بقوله:
" من عبد الله عبادة اهتمام وتعب، ولم يعتقد بإمام عادل، وأنه منصوب من الله،
فلا يقبل الله منه سعيا، ومثله كمثل نعجة فقدت راعيها وقطيعها، فظلت حائرة
نهارها، فلما جن الليل ظنت أنها وجدت راعيها وقطيعها لتلحق بهم، فلما أصبح
الصباح رأت الراعي غير راعيها، فعادت إلى حيرتها تبحث، ثم رأت قطيعا
آخر، فأرادت أن تلحق بها، ودعاها راعي ذلك القطيع، وقد رأى أنها ضالة،
ولما وجدت أنه غير راعيها عادت إلى حيرتها، حتى لقيها الذئب فافترسها،
ذلك هو حال من أصبح لا إمام له، حتى إذا مات، مات ميتة جاهلية " (٤).
وعن جابر قال قال لي محمد بن علي: يا جابر لا تخاصم، فإن الخصومة
تكذب القرآن (٥).

---

(١) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٥٨.
(٢) سورة إبراهيم: آية ٣٧.
(٣) علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - الجزء الثاني - نشأة التشيع وتطوره ص ١٣٧ (الإسكندرية ١٩٦٩ م).
(٤) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٥٩، دونالدسون: عقيدة الشيعة (تاريخ الإسلام في العراق وإيران) القاهرة ١٩٤٦ ص ٣٣٤.
(٥) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦.

٣ - الإمام الباقر وأهل السنة:
يقول ابن خلكان في " وفيات الأعيان ": كان الباقر عالما، سيدا كبيرا، وإنما قيل له الباقر، لأنه تبقر في العلم، أي توسع، والتبقر: التوسع، وفيه يقول الشاعر:
يا باقر العلم لأهل التقى * وخير من لبى على الأجبل (١)
ويقول ابن تيمية: أبو جعفر محمد بن علي، من خيار أهل العلم والدين، وقيل: إنما سمي الباقر، لأنه بقر العلم، لا لأجل بقر السجود جبهته، وإن كان ابن تيمية ينكر " كونه أعلم أهل زمانه " (٢) لأن هذا القول يحتاج إلى دليل، ويرى أن الزهري - وهو من أقران محمد بن علي الباقر - هو عند الناس أعلم منه، ولكن ابن تيمية يعترف أنه أخذ الحديث عن جابر، وأنه روى عنه عددا كبيرا من الأحاديث الصحيحة، ودخل على جابر مع أبيه علي بن الحسين، بعدما كبر جابر، وكان جابر من المحبين لهم، رضي الله عنهم.
ويرى ابن تيمية أيضا أن الإمام الباقر أخذ الحديث أيضا عن أنس بن مالك وابن عباس وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة وغيرهم من الصحابة، وعن سعيد بن المسيب وعبد الله بن أبي رافع كاتب الإمام علي، ثم روى عنه أبو إسحاق الهمداني وربيعة بن عبيد أبي عبد الرحمن والأعرج - وهو أسن من محمد الباقر، وولده جعفر الصادق - وابن جريج ويحيى بن أبي كثير، والأوزاعي وغيرهم (٣)، وأضاف ابن كثير عمر بن دينار (٤).
ولا ريب في أن هذا إنما يدل على ما يكنه ابن تيمية - وهو من علماء

---

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٤.
(٢) ابن تيمية: المنتقى من منهاج السنة ص ١٧١ (دمشق ١٣٧٤ ه).
(٣) ابن تيمية: منهاج السنة ١ / ١٣٢.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٣٠٩.

السلف، بل عالمهم الكبير المتأخر – من احترام كبير لإمام من أئمة أهل البيت الطاهرين، نشر العلم الإسلامي وأخلص لأعظم جوانبه، وهو جانب علم الحديث، وكان ابن تيمية محدثا مشهورا، فوضعه للإمام الباقر في نسق المحدثين العظام، العدول، إنما يدل على ما كان للإمام الباقر من مقام عظيم حتى في أوساط السلف وأهل السنة والجماعة.

وأما إنكار " ابن تيمية " " كون الباقر أعلم أهل زمانه " – فهذا – كما يقول الدكتور النشار – اتجاه سلفي من عالم اشتهر عنه تخطئة الناس جميعا – حتى إمامة الإمام أحمد بن حنبل، بل الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي – ثم هو مزاج ابن تيمية الحار، وهو يناقش " ابن المطهر الحلي " من عدم كون علي وأولاده، دون الناس، أصحاب العلم، وورثة الأنبياء، وإليهم مرجع أمور المسلمين (١).

ويقول ابن كثير: هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم، كان ذاكرا خاشعا صابرا، وكان من سلالة النبوة، رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفا بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضا عن الجدال والخصومات.

وعن عبد الله بن عطاء قال: ما رأيت العلماء عند أحد، أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي، قال: رأيت الحكيم عنده كأنه متعلم، وقال: كان لي أخ في عيني عظيم، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وقال ابن كثير: هو تابعي جليل، كبير القدر كثيرا، أحد أعلام هذه الأمة – علما وعملا، وسيادة وشرفا – وقد روى عن غير واحد من الصحابة، وحدث عنه جماعة من كبار التابعين وغيرهم، فمن روى عنه: ابنه جعفر الصادق، والحكم بن عتيبة، وربيعة، والأعمش، وأبو إسحاق السبعيني، والأوزاعي،

---

(١) علي سامي النشار: المرجع السابق ص ١٤٠.

والأعرج - وهو أسن منه - وابن جريج، وعطاء، وعمرو بن دينار، والزهري.
وروى سفيان بن عيينة عن جعفر الصادق قال: حدثني أبي - وكان خير محمدي على وجه الأرض - قال العجلي: هو مدني تابعي ثقة (١).
ويقول ابن سعد في الطبقات الكبرى: وكان ثقة، كثير العلم والحديث، وليس يروى عنه من يحتج به (٢).
ويقول الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في حليته: هو الحاضر الذاكر، الخاشع الصابر، أبو جعفر محمد بن علي الباقر، كان من سلالة النبوة، وممن جمع حسب الدين والأبوة، تكلم في العوارض والخطرات، وسفح الدموع والعبرات، ونهى عن المراء والخصومات (٣).
ويقول الشبلنجي في نور الأبصار: قال صاحب الإرشادات: لم يظهر أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن، وعلم القرآن والسير، وفنون الأدب، ما ظهر من أبي جعفر الباقر، روى عن معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين والسير، وسارت بذكر علومه الأخبار، وأنشد في مدائحه الأشعار، فمن ذلك ما قاله " مالك بن أعين الجهني " من قصيدة يمدحه فيها:
إذا طلب الناس علم القرآن * كانت قريش عليه عيالا
وإن فاه ابن بنية النبي * تلقت يداك فروعا طوالا
وفيه يقول الشريف الرضي:

---

(١) البداية والنهاية ٩ / ٣٤٧ - ٣٥١.
(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٨.
(٣) حلية الأولياء ٣ / ١٨٠

باقر العلم لأهل التقى * وخير من لبى على الأجل (١).
ويقول المحدث الفقيه ابن حجر الهيثمي في صواعقه: أبو جعفر محمد
الباقر، سمي بذلك: من بقر الأرض، أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك
هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا
يخفى إلا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه:
هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه: وزكا علمه وعمله،
وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في
مقامات العارفين، ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك
والمعارف لا تحتملها هذه العجالة.
وكفاه شرفا، أن ابن المديني روى عن جابر، أنه قال له - وهو صغير -
" رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يسلم عليك، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: كنت
جالسا عنده -
والحسين في حجره، وهو يداعبه - فقال: يا جابر، يولد له مولود اسمه علي،
إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد
اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر، فأقرئه مني السلام (٢).
ويقول أبو زهرة (٣): ورث الباقر إمامة العلم، ونبل الهداية، عن أبيه زين
العابدين، ولذا كان مقصد العلماء من كل البلاد الإسلامية، وما زار أحد
المدينة، إلا عرج على بيت محمد الباقر يأخذ عنه، وكان ممن يزوره علماء من
الذين يتشيعون لآل البيت، وعلماء من أهل السنة، وكان يقصده بعض
المنحرفين الغلاة في تشيعهم الذين أفرطوا، فكان يبين لهم الحق، فإن اهتدوا
أخذ بيدهم إلى الحق الكامل، وإن استمروا على غيهم صدهم، وأخرجهم من
مجلسه.

---

(١) نور الأبصار ص ١٤٣.
(٢) الصواعق المحرقة ص ٣٠٤ - ٣٠٥.
(٣) محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٢٢.

وكان يقصده من أئمة الفقه والحديث كثيرون، منهم " سفيان الثوري " (٩٦ - ١٦١ ه‍ / ٧١٣ - ٧٧٨ م) و " سفيان بن عيينة " (١٠٧ - ٩٦ ه‍ / ٧٢٥ - ٨١١ م)
محدث مكة، ومنهم الإمام أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٩ م / ٦٩٩ - ٧٦٧ م) فقيه العراق، وكان يرشد كل من يجئ إليه، ويبين له الحق، الذي لا عوج فيه.
وقال الصبان في إسعاف الراغبين: هو صاحب المعارف، وأخو الدقائق واللطائف، ظهرت كراماته، وكثرت في السوالك إشاراته، ولقب بالباقر، لأنه بقر العلم، أي شقه، فعرف أصله وخفيه (١).
وقال أبو زهرة: كان رضي الله عنه مفسرا للقرآن، ومفسرا للفقه الإسلامي، مدركا حكمة الأوامر والنواهي، فاهما - كل الفهم - لمراميها، وكان راوية للأحاديث، يروي أحاديث آل البيت، ويروي أحاديث الصحابة من غير تفرقة، ولكمال نفسه، ونور قلبه، وقوة مداركه، أنطقه الله تعالى بالحكم الرائعة، ورويت عنه عبارات في الأخلاق الشخصية والاجتماعية، ما لو نظم في سلك لتكون فيه مذهب خلقي سام، يعلو بمن يأخذ به إلى مدارج السمو الإنساني (٢).
٤ - الإمام الباقر والشيعة:
تتجلى في الإمام الباقر - رضوان الله عليه - الصفة الأساسية في الشيعة الأوائل، من الحفاظ على الإسلام، ومنع من يفعل ذلك بالعدل والروية والحسنة (٣)، قال الإمام الباقر: " والله ما شيعتنا، إلا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع، والتخشع، وأداء الأمانة، وذكر الله، والصوم والصلاة والبر بالوالدين، وتعهد الجيران من الفقراء، وذوي المسكنة، وصدق

---

(١) إسعاف الراغبين ص ٢٢٩.
(٢) أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٢٤.
(٣) كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصرف والتشيع ١ / ١٧٠ (بغداد ١٩٦٣).

الحديث، وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس (١).
وروى الحافظ أبو نعيم بسنده عن جابر عن أبي جعفر الباقر قال: إن الله تعالى يلقي في قلوب شيعتنا الرعب، فإذا قام قائمنا، وظهر مهدينا، كان الرجل أجرأ من ليث، وأمضى من سنان " (٢).
وعن يونس بن أبي يعقوب عن أخيه عن أبي جعفر قال: " شيعتنا ثلاثة أصناف، صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج ينهشم، وصنف كالذهب، كلما دخل النار ازداد جودة " (٣).
وروي أنه في ذات يوم كان الإمام الباقر في بيته، وعنده جماعة من أصحابه، وإذا بشيخ وقف على الباب، وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله ورحمة الله وبركاته، وبعد أن رد الإمام عليه السلام، قال الشيخ: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله، والله إني لأحبكم، وأحب من يحبكم لله - لا للدنيا - وإني لأبغض عدوكم، وأبرأ منه، لا لشئ بيني وبينه، وإني لأحلل حلالكم، وأحرم حرامكم، وأنتظر أمركم، فهل ترجو لي الخير، جعلني الله فداك؟.
قال الإمام: أتى أبي رجل، وسأل مثل الذي سألت، فقال له: إن تمت ترد على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعلي، والحسن والحسين، ويثلج قلبك، وتقر عينك،
وتستقبل بالروح والريحان، وأنت معنا في السنام الأعلى.
فقال الشيخ: الله أكبر، أنا معكم في السنام الأعلى، وبكى فرحا، وأخذ يد الإمام وقبلها، ثم وضعها على عينيه، ومسح بها وجهه وصدره، ثم قام وودع وخرج، فقال الإمام: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا.

---

(١) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٢٥ (بيروت ١٩٨١).
(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٨٤.
(٣) حلية الأولياء ٣ / ١٨٣.

ويقول الأستاذ مغنية: هذا هو التحديد الصحيح لشيعة أهل البيت، عليهم السلام، يحللون حلالهم، ويحرمون حرامهم، ويحبون من يحبهم، ويبغضون عدوهم في الله، ولله، أما من يحلل اليوم ما حرمه بالأمس، تبعا لشهواته وميوله، أما من يزعم أنه من الشيعة الموالين، وفي الوقت نفسه ينصب العداء للمحبين ويكيد لهم، فليس من الإسلام، ولا التشيع في شئ، بل هو عدو الله ورسوله وأهل بيته.

وقال الإمام الرضا: " من عادى شيعتنا، فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم خلقوا من طينتنا، من أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا " (١).

وقال الإمام الباقر لشيعته: " إنا لا نغني عنكم من الله شيئا، إلا بالورع، وإن ولايتنا لا تدرك إلا بالعمل، وإن أشد الناس يوم القيامة حسرة، من وصف عدلا، وأتى جورا.

وقال: لا تذوقن بقلة - أي نبتة - ولا تشمها، حتى تعلم ما هي؟ ولا تشرب من سقاء حتى تعلم ما فيه ولا تسير إلا مع من تعرف (٢).

٥ - الإمام الباقر والمعتزلة:

كان الإمام الباقر - رضوان الله عليه - محدثا، وكان أهل الحديث في المدينة قد كرهوا الكلام في الدين، واعتبروه مراء، وأتى " واصل بن عطاء " (٣).

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٣) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزال، ولد بالمدينة عام ٨٠ ه‍ (٦٩٩ م) وعاش في البصرة، وحضر دروس الحسن البصري، ويعد واصل مؤسس مدرسة الاعتزال - في رأي أكثر الباحثين - وقد اعتزل الحسن البصري - لاختلافه معه حول مرتكب الكبيرة، فجعله واصل " منزلة بين المنزلتين "، ثم انضم إليه " عمرو بن عبيد (٨٠ - ١٤٤ ه‍ / ٦٩٩ - ٧٦١ م)، كما أنكر واصل القول بقدم الصفات الإلهية، وكان يقول برأي " القدرية " في القدر، وبإثم من شاركوا في مقتل عثمان وفي وقعة الجمل وصفين، وتوفي واصل عام ١٣١ ه‍ / ٧٤٨ م، وأهم مصادر ترجمته (الجاحظ: البيان والتبيين ١ / ١٦، ٢١ - ٢٩، إرشاد الأريب لياقوت ٧ / ٢٢٣ - ٢٢٥، ميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ٢٦٧، فوات الوفيات للكتبي ٢ / ٣١٧، مرآة الجنان لليافعي (١ / ٢٧٤، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١ / ٣١٣ - ٣١٤، المعتزلة لابن المرتضى ص ٢٨ - ٣٥، وفيات الأعيان ٦ / ٧ - ١١).

إلى المدينة، وتتلمذ عليه أخوه " زيد بن علي "، فكره الإمام الباقر هذا كل الكراهية (١)، وروى ابن سعد في طبقاته بسنده عن جابر قال: قال لي محمد بن علي الباقر: " يا جابر، لا تخاصم، فإن الخصومة تكذب القرآن " (٢)، وعن ليث عن أبي جعفر قال: لا تجالسوا أصحاب الخصومات، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله " (٣)، وقال: إياكم والخصومة فإنها تفسد القلب، وتورث النفاق (٤).

هذا وقد أورد الشهرستاني مناظرة جرت بين الإمام الباقر وأخيه زيد - من حيث كان زيد يتتلمذ لواصل بن عطاء، ويقتبس العلم ممن يجوز الخطأ على جده الإمام علي بن أبي طالب في قتال الناكثين والقاسطين والمارقين، ومن حيث كان يتكلم في القدر، على غير ما ذهب إليه أهل البيت، ومن حيث أنه كان يشترط الخروج شرطا في كون الإمام إماما، حتى قال له يوما: على مقتضى مذهبك والدك ليس بإمام، فإنه لم يخرج قط، ولا تعرض للخروج (٥).

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن قتال الإمام علي بن أبي طالب للناكثين والقاسطين والمارقين، إنما كان - كما أشرنا بالتفصيل إلى ذلك عند الحديث على أدلة إمامة الإمام علي من قبل - بأمر سيدنا ومولانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (٦).

---

(١) علي سامي النشار: المرجع السابق ص ١٤١.

(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦.

(٣) حلية الأولياء ٣ / ١٨٤، طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦.

(٤) حلية الأولياء ٣ / ١٨٤.

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٥٦.

(٦) أنظر: المستدرك للحاكم ٣ / ١٣٩، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٨ / ٣٤٠، ١٣ / ١٨٦ الخصائص للنسائي ص ٥٩ - ١٠٥، فضائل الصحابة لابن حنبل ٢ / ٦٣٧، كنز العمال للمتقي الهندي ٦ / ٧٢، ٨٢، ٨٨، ٣١٩، ٣٩٢، ٨ / ٢١٥، مجمع الزوائد للهيثمي ٧ / ١٣٨، ٢٣٨، ٩ / ٢٣٥.

وروى ابن كثير أن الباقر قال: " القرآن كلام الله عز وجل، غير مخلوق "، وهذا نص - فيما يقول الدكتور النشار - خطير، يثبت أن الإمام الباقر قد أزعجه تماما الأصل المعتزلي: أن كلام الله مخلوق (١).

٦ - الإمام الباقر والصوفية:

صب مؤلفو كتب التصوف جوانب الإمام الباقر في قالب صوفي زهدي، بحيث بدا واحدا منهم (٢)، وأول ما يجب أن نلتفت إليه البكاء الذي يضاف للإمام الباقر - وهو معاصر للحسن البصري (٣) (٢١ - ١١٠ ه‍ / ٦٤٢ - ٧٢٨ م) - البكاء المشهور، كما عاصر الحسن الإمام علي زين العابدين، وكان الإمام زين العابدين يعلل بكاءه على شهداء كربلاء من آل بيت النبوة، الذين قتلوا على مذبح أطماع الأمويين - فقد رآهم يقتلون رأي العين (٤).

وعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام جعفر الصادق عن الإمام محمد الباقر قال: سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه، فقال: " لا تلوموني، فإن يعقوب - عليه السلام - فقد سبطا من ولده، فبكى حتى ابيضت عيناه، ولم يعلم أنه

---

(١) علي سامي النشار: المرجع السابق ص ١٤٢.
(٢) الشيبي: المرجع السابق ص ١٧٣ - ١٧٥.
(٣) من أهم مصادر ترجمة الحسن البصري (ابن قتيبة: المعارف ص ٢٢٥، ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١ / ٤٠ - ٤٢، الفهرست لابن النديم ص ٣٧ - ٣٨، ١٨٣، طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦ - ١٧٨، حلية الأولياء ٢ / ١٣١ - ١٦١، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٨ - ٦٩، التذكرة للذهبي ص ٧١ - ٧٢، ميزان الاعتدال للذهبي ١ / ٢٥٤، المعتزلة لابن المرتضى ١٨ - ٢٤، الأعلام للزركلي ٢ / ٢٤٢، وفيات الأعيان ٢ / ٦٩ - ٧٣، شذرات الذهب ١ / ١٣٦ - ١٣٨).
(٤) حلية الأولياء ٣ / ١٣٨.

مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلا من أهل بيتي في غزاة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي " (١).
ثم تطورت فكرة البكاء تطورا زهديا، عبر عنه الإمام علي زين العابدين بقوله: " فقد الأحبة غربة " (٢)، ويقول ولده الإمام الباقر: " ما اغرورقت عين بمائها، إلا حرم الله وجه صاحبها على النار "، بل إن الإمام الباقر، إنما يقسم البكاء - كما قسم المعرفة (وكذلك فعل أبوه من قبل) (٣) - فقال: " فإن سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شئ إلا له جزءا إلا الدمعة، فإن الله يكفر بها بحور الخطايا، ولو أن باكيا بكى في أمة، لحرم الله تلك الأمة على النار " (٤).
وهكذا نرى جذور البكاء في الزهد والتصوف، حتى تحولت إلى الذكر الذي يصفي القلوب، كما يصفيها بكاء الشيعي على الإمام الشهيد - مولانا الإمام الحسين - الذي كانت مجالس البكاء عليه تعقد جهارا أيام " المأمون " (١٨٩ - ٢١٨ ه‍ - ٨١٣ - ٨٣٣ م)، وقد ربط الإمام الباقر البكاء بالذكر صراحة فقال: " الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن، ولا تصيب الذاكر "، وقد رأينا البكاء ومنزلته، فلا بد أن يقترن بالذكر لتنمحي الذنوب، وهكذا أسس الشيعة جذور البكاء في الذكر، ببكائهم على الشهيد - الإمام الحسين (٥) -.
هذا وقد زكى المحدث الفقيه ابن حجر الهيثمي في صواعقه، الإمام الباقر صوفيا بقوله فيه: وله من الرسوم في مقامات العارفين، ما تكل عنه ألسنة

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ١١٩، حلية الأولياء ٣ / ١٣٨.
(٢) صفة الصفوة ٢ / ٥٣.
(٣) تفسير علي بن إبراهيم ص ٤١٦.
(٤) صفة الصفوة ٢ / ٦١.
(٥) الشيبي: المرجع السابق ص ١٧٤.

الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة (١)، ومن تلك الكلمات ما يدخل في سلسلة السند في روايته " أبو علي الروذباردي "، وسفيان الثوري، وذلك في نقل قول الباقر في التوكل " الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه " (٢).
هذا إلى أننا نجد الحب عند الإمام الباقر - كما وجد عن أبيه - من قوله:
" إعلم يا جابر، أن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة... قطعوا محبتهم لمحبة ربهم، ووحشوا الدنيا لطاعة مليكهم " (٣).
ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن الزهاد والمتصوفة إنما قد عجبهم الأئمة الأوائل من آل بيت النبوة، فأرادوا أن يجعلوا منهم قدوة يقتدون بها، وجعلوا مبادئهم الخلقية والسياسية، الموازية لمبادئ الزهاد شيئا يهتدون به، وكانت أسس التصوف في بداية وضعها، فاستفاد الزهاد من أئمة أهل البيت إفادة ظاهرة، حتى رأيناهم في النهاية ينسبون التصوف إلى الإمام علي
- رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - عن طريق أولاده الأئمة هؤلاء، وقد صرح " العطار " بذلك، فقال في الإمام محمد الباقر، الذي أنهى بسيرته كتابه " تذكرة الأولياء ": " ذلك حجة أهل المعاملات، ذلك برهان أرباب المشاهدات، ذلك إمام أولاد النبي (صلى الله عليه وسلم)، ذلك كريم أحفاد الإمام علي، ذلك صاحب الظاهر
والباطن، أبو جعفر محمد الباقر، رضي الله عنه " (٤).
٧ - الإمام الباقر والصديق والفاروق:
كان الإمام الباقر يحب الصديق والفاروق، رضي الله عنهما، ويعرف لهما

---

(١) ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة ص ٣٠٤ (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣).
(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٨١.
(٣) محمد بن يعقوب الكليني: أصول الكافي ص ١٨٥ (طهران ١٢٧٨ ه).
(٤) الشيبي: المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٧، تذكرة الأولياء ٢ / ٢٦٦.

فضلهما، وجهادهما في الإسلام، والمعروف أن زوج الإمام الباقر، وأم ولده – الإمام جعفر الصادق، رائد السنة والشيعة، وشيخ علماء الأمة – إنما هي السيدة " أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق).

وأخرج ابن عساكر والدارقطني عن أبي جعفر الباقر قال: من لم يعرف فضل أبي بكر وعمر، فقد جهل السنة (١).

وروى ابن سعد في طبقاته عن جابر قال: قلت: أكان منكم أهل البيت أحد يسب أبا بكر وعمر؟ قال: لا، فأحبهما وتولاهما، واستغفر لهما (٢)، وعن أبي عبد الله الجعفي عن عروة عن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيوف؟ قال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق؟ قال: فوثب وثبة، واستقبل القبلة، ثم قال: نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق، فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة (٣).

وعن عمرو بن شمر عن جابر قال: قال لي محمد بن علي الباقر: يا جابر، بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر، رضي الله عنهما، ويزعمون أني أمرتهم بذلك، فأبلغهم أني إلى الله منهم برئ، والذي نفس محمد بيده، لو وليت لتقربت إلى الله تعالى بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد (صلى الله عليه وسلم)، إن لم أكن أستغفر لهما، وأترحم عليهما، إن أعداء الله
لغافلون عنهما (٤).

وعن شعبة الخياط مولى جابر الجعفي قال: قال لي أبو جعفر محمد بن

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٥٨، الصواعق المحرقة ص ٨٤.
(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥ / ٢٣٦.
(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٣٤٩، حلية الأولياء ٣ / ١٨٥.
(٤) حلية الأولياء ٣ / ١٨٥.

علي، لما ودعته: أبلغ أهل الكوفة أني برئ ممن تبرأ من أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما وأرضاهما (١).
والواقع أن قصة سب آل البيت للصديق والفاروق، رضي الله عنهما، إنما هي أكذوبة دنيئة، انتحلها أعداء آل النبي (صلى الله عليه وسلم)، فما كان أهل البيت يكرهون،
بل ويسبون، من كان جدهم المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يحبهم، وعلى وجه اليقين أن سيدنا
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إنما كان يحب أبا بكر وعمر.
وشواهد التاريخ تدل - دونما لبس أو غموض - أن أهل بيت النبوة إنما كانوا يحبون الصديق والفاروق، رضي الله عنهما، روى الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي بسنده عن الإمام جعفر الصادق عن أبيه الإمام محمد الباقر قال: قال رجل من قريش لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين نسمعك تقول في الخطبة آنفا، اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهتدين، فمن هم؟ فاغرورقت عيناه، ثم أهملهما فقال: " هم حبيباي وعماك أبو بكر وعمر، إماما الهدى، وشيخا الإسلام، ورجلا قريش، والمقتدى بهما، بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فمن اقتدى بهما عصم، ومن اتبع
آثارهما هدي إلى صراط مستقيم، ومن تمسك بهما فهو من حزب الله، وحزب الله هم المفلحون " (٢).
وروى الفقيه ابن عبد ربه في عقده الفريد: لما قبض أبو بكر سجي بثوب، فارتجت المدينة من البكاء، ودهش القوم، كيوم قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
وجاء علي بن أبي طالب باكيا مسرعا، مسترجعا حتى وقف بالباب، وهو يقول:

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٣٤٩، حلية الأولياء ٣ / ١٨٥.
(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي: تاريخ عمر بن الخطاب ص ٤٩ (مكتبة السلام العالمية - القاهرة)، ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة ص ٨٤ - ٨٥.

" رحمك الله أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاما وأصدقهم إيمانا،
وأشدهم يقينا، وأعظمهم غنى، وأحفظهم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
وأحد بهم على
الإسلام، وأحماهم عن أهله، وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا، وهديا وسمتا،
فجزاك الله عن الإسلام، وعن رسول الله، وعن المسلمين خيرا، صدقت
رسول الله حين كذبه الناس، وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا،
وسماك الله في كتابه صديقا فقال: " والذي جاء بالصدق وصدق به "، يريد
محمدا ويريدك، كنت والله للإسلام حسنا، وللكافرين ناكبا، لم تفلل حجتك،
ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف،
ولا تزيله القواصف، كنت كما قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ضعيفا في
بدنك، قويا في
دينك، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، جليلا في الأرض، كبيرا عند
المؤمنين، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى، فالضعيف عندك قوي، والقوي
عندك ضعيف، حتى تأخذ الحق من القوي، وترده للضعيف، فلا حرمك الله
أجرك، ولا أضلنا بعدك " (١).
وروى ابن الأثير: أنه لما ولي الخلافة، وارتدت العرب، خرج شاهرا
سيفه إلى ذي القصة، فجاء علي بن أبي طالب وأخذ بزمام راحلته وقال له: أين
يا خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أقول لك ما قال لك رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)، يوم أحد: " شم
سيفك، لا تفجعنا بنفسك، فوالله لئن أصبنا بك، لا يكون للإسلام نظام، فرجع
وأمضى الجيش " (٢).
وفي نهج البلاغة قال الإمام علي: " أما بعد، فإن الله سبحانه بعث
محمدا (صلى الله عليه وسلم)، فأنقذ به من الضلالة ونعش به من الهلكة، وجمع به بعد
الفرقة، ثم
قبضه الله إليه، وقد أدى ما عليه، فاستخلف الناس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥ / ١٨ - ١٩.
(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢ / ٤٢٢.

عمر، فأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة، ووجدنا عليهما أن توليا الأمر دوننا، ونحن آل الرسول، وأحق بالأمر، فغفرنا ذلك لهما " (١).
وفي الصواعق المحرقة بسنده عن الحسين بن محمد الحنفية أنه قال: يا
أهل الكوفة، اتقوا الله عز وجل، ولا تقولوا لأبي بكر وعمر ما ليسا له بأهل:
إن أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، كان مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في
الغار ثاني اثنين،
وإن عمر أعز الله به الدين (٢).
وكان الإمام علي زين العابدين يثني - الثناء كل الثناء - على الخلفاء
الراشدين (أبي بكر وعمر وعثمان) ويترحم عليهم، روي عنه أنه قال:
كان أبو بكر وعمر من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في حياته، بمنزلتهما منه بعد
وفاته، وعن
يحيى بن سعيد قال قال علي بن الحسين: والله ما قتل عثمان على وجه
الحق (٣).
وروى الحافظ ابن كثير عن الزبير بن بكار بسنده عن الإمام محمد الباقر
عن أبيه الإمام علي زين العابدين قال: جلس قوم من أهل العراق، فذكروا
أبا بكر وعمر، فنالوا منهما، ثم ابتدأوا في عثمان، فقال لهم: أخبروني أأنتم من
المهاجرين الأولين (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله
ورضوانا، وينصرون الله ورسوله) (٤)، قالوا: لا، قال: فأنتم من (الذين تبوءوا
الدار والإيمان من قبلهم، يحبون من هاجر إليهم) (٥)، قالوا: لا، فقال لهم:
أما أنتم فقد أقررتم وشهدتم على أنفسكم أنكم لستم من هؤلاء ولا هؤلاء، وأنا

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤ / ٢٣ - ٢٤.
(٢) ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة ص ٨٣.
(٣) عبد الحليم محمود: سيدنا زين العابدين ص ٦٥ - ٦٦.
(٤) سورة الحشر: آية ٨.
(٥) سورة الحشر: آية ٩.

أشهد أنكم لستم من الفرق الثالثة، الذين قال الله عز وجل فيهم: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) (١) فقوموا عني لا بارك الله فيكم، ولا قرب دوركم، أنتم مستهزئون بالإسلام ولستم من أهله (٢).

وروى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن أبي مليكة أنه سمع ابن عباس يقول: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي، فإذا علي، فترحم على عمر، وقال: " ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرا أسمع النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر " (٣).

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن أبي مليكة قال: سمعت ابن عباس يقول: وضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه، قبل أن يرفع، وأنا فيهم، قال: فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه، فإذا هو علي، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدا أحب إلي أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله، إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبك وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يقول: " جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر،

---

(١) سورة الحشر: آية ١٠.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ١٢٠، حلية الأولياء ٣ / ١٣٦ - ١٣٧، نور الأبصار ص ١٤٠، طبقات ابن سعد ٥ / ١٥٨، عبد الحليم محمود: المرجع السابق ص ٦٦ - ٦٧، السيد محمود أبو الفيض: جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف - القاهرة ١٩٦٧ - الجزء الثاني ص ٧٢، محمد بيومي مهران: الإمام علي زين العابدين ص ١٧٤ - ١٧٥ (بيروت ١٩٩١).
(٣) صحيح البخاري ٥ / ١٤.

وخرجت أنا وأبو بكر وعمر، فإن كنت لأرجو، وأظن، أن يجعلك الله معهما " (١)

وأما الإمام زيد بن علي زين العابدين فلقد اجتمع إليه كثير من رجال الشيعة - عندما بايعه الناس في الكوفة - فقالوا له: ما قولك، يرحمك الله، في أبي بكر وعمر؟ قال: غفر الله لهما، ما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما، وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا، قالوا: فلم تطلب إذن بدم أهل البيت؟ فقال: إنا كنا أحق الناس بهذا الأمر، ولكن القوم استأثروا علينا به، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، قد ولوا فعدلوا، وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم تقاتل هؤلاء إذن؟ قال: إن هؤلاء القوم (أي الأمويين) ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظلموا الناس، وظلموا أنفسهم، وإني أدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وإحياء
السنن، وإماتة البدع، فإن تسمعوا يكن خيرا لكم ولي، وإن تأبوا فلست عليكم بوكيل، فرفضوه وانصرفوا عنه، ونقضوا ببيعته وتركوه، فلهذا سموا الرافضة من يومئذ، ومن تابعه من الناس على قوله سموا الزيدية (٢).

وأخرج الدارقطني بسنده عن عبد الله بن المحض (والد محمد النفس الزكية) إنه سئل: أتمسح على الخفين؟ فقال، أمسح فقد مسح عمر، فقال له السائل: إنما أسألك أنت تمسح، قال: ذلك أعجز لك، أخبرك عن عمر، وتسألني عن رأيي، فعمر خير مني وملء الأرض مثلي، فقيل له: هذا تقية،

---

(١) صحيح مسلم ١٥ / ١٥٨.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٣٧١، وانظر: البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٣٤ - ٣٦، تاريخ الطبري ٧ / ١٨٠ - ١٨١، تاريخ ابن خلدون ٣ / ٩٩، ٤ / ٣٦٤، الكامل لابن الأثير ٥ / ٢٤٢ - ٢٤٣، الأشعري: مقالات الإسلاميين ١ / ١٣٧، ابن تيمية: منهاج السنة ١ / ١٧١، ٢ / ١٠٥، المقريزي: الخطط ٢ / ٤٣٩، شذرات الذهب ١ / ١٥٨، سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٩٠، تاريخ دمشق لابن عساكر ٦ / ٢١، ٢٦، المقدسي والتأريخ ٦ / ٥٠، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥ / ٣٣.

فقال: نحن بين القبر والمنبر، اللهم هذا قولي في السر والعلانية، فلا تسمع قول أحد بعدي (١).
وأخرج الدارقطني بسنده عن الإمام محمد الباقر أنه قال: أجمع بنو فاطمة، رضي الله عنهم، أن يقولوا في الشيخين (أبي بكر وعمر) أحسن ما يكون من القول (٢).
وأخرج الدارقطني عن سالم بن أبي حفصة قال قال لي جعفر: يا سالم، أيسب الرجل جده، أبو بكر جدي، وروي أيضا أنه قال: دخلت على جعفر بن محمد، وهو مريض، فقال: " اللهم إني أحب أبا بكر وعمر، وأتولاهما " (٣).
ويقول الأستاذ أحمد مغنية: حورب المذهب الجعفري في عهد العثمانيين والأتراك مئات السنين، محاربة عنيفة لئيمة متواصلة، وتفنن المفرقون بالافتراءات عليهم في ذلك العهد الظالم اللئيم، فلم يتركوا وسيلة من وسائل الإيذاء إلا اقترفوها، كما أن المفرقين وجدوا في اتفاق الإسمين: عمر بن الخطاب - الخليفة العظيم - وعمر بن سعد بن أبي وقاص - قاتل الإمام الشهيد مولانا وسيدنا الإمام الحسين - ميدانا واسعا، يتسابقون فيه في تشويه الحقيقة والدس على الشيعة بأحط أنواع الدس.
وكان طبيعيا أن يكون لعنة اللعنات، عمر بن سعد، لأنه بطل الجريمة، وقائد جيش اللئام الجبناء، ومن من المسلمين، لا يلعن عمر بن سعد - قاتل ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إن أولئك المفرقين الآثمين قد استغلوا كلمة " عمر "،
وقالوا: إن الشيعة تنال من خليفة النبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإني

---

(١) الصواعق المحرقة ص ٧٨.
(٢) الصواعق المحرقة ص ٧٨.
(٣) الصواعق المحرقة ص ٨٠.

في الوقت الذي أثور فيه على الدساسين التجار، أصحاب الغابات والمصالح الرخيصة، لا أنكر وجود أفراد الأمس من سواد الشيعة وبسطائهم، لا يفرقون بين هذين الإسمين، بل لا يعرفون أن في دنيا التاريخ الإسلامي عمر بن سعد - تقيا أو شقيا - وكل الذين يعرفون أن عمر بن سعد، هو الذي قتل مولانا الإمام الحسين، وداس صدره الشريف تحت سنابك خيله، ومثل به وبأهل بيته وأصحابه، تمثيلا لم تعرفه الجريمة البشرية من قبل، إذن ليكن الغضب على " عمر " قاتل الحسين، ولتكن اللعنات من المآثم السيئية وغيرها عليه إلى يوم يحشرون (١).

٨ - الإمام الباقر والإمام أبو حنيفة:

يروي الشيخ محمد أبو زهرة مناقشة جرت بين الإمام الباقر والإمام أبو حنيفة، فقيه العراق، وكان أبو حنيفة قد اشتهر بكثرة القياس في الفقه حتى تناولته الألسن بالملام، وإليك بعض ما جرى بينهما:

قال الإمام الباقر: أنت الذي حولت دين جدي وأحاديثه إلى القياس.

قال أبو حنيفة: أجلس مكانك كما يحق لي، فإن لك عندي حرمة، كحرمة جدك (صلى الله عليه وسلم)، في حياته على أصحابه، فجلس، ثم جثا أبو حنيفة بين يديه،

ثم قال: إني أسألك عن ثلاث كلمات فأجبني، الرجل أضعف أم المرأة.

قال الباقر: المرأة أضعف، قال أبو حنيفة: كم سهم المرأة في الميراث،

قال الباقر: للرجل سهمان، وللمرأة سهم، قال أبو حنيفة: هذا علم جدك، ولو حولت دين جدك لكان ينبغي القياس أن يكون للرجل سهم، وللمرأة سهمان، لأن المرأة أضعف من الرجل، ثم الصلاة أفضل أم الصوم، قال الباقر: الصلاة

---

(١) أحمد مغنية: الإمام الصادق - بيروت ١٩٥٨ ص ١١٣ - ١١٤، محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٢١٠ - ٢١١.

أفضل، قال أبو حنيفة: هذا قول جدك، ولو حولت دين جدك، لكان أن المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاة، ولا تقضي الصوم.
ثم البول أنجس أم النطفة؟
قال الإمام الباقر: البول أنجس، قال أبو حنيفة: لو كنت حولت دين جدك بالقياس، لكنت أمرت أن يغتسل من البول، ويتوضأ من النطفة، ولكن معاذ الله أن أحول دين جدك بالقياس.
فقام الإمام الباقر، وعانقه، وقبل وجهه.
ويقول الشيخ أبو زهرة (١٨٩٨ - ١٩٧٤): ومن هذا الخبر نتبين إمامة الإمام الباقر للعلماء، يحضرهم إليه، ويحاسبهم على ما يبلغه عنهم، أو يبدو منهم، وكأنه الرئيس يحكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة، وهم يقبلون - طائعين غير مكرهين - تلك الرياسة (١).
غير أن المصادر الشيعية إنما ترى في هذه المناقشة أمورا ثلاثة:
الأول: أن أبا حنيفة كان يعمل بالقياس بلا شك، وعليه فقضية محاورته مع الإمام الباقر، عليه السلام، في أمر القياس، لا تخرج عن أن يكون محملها أحد أمور ثلاثة على سبيل مانعة الخلو، فإما أن تكون قبل أن يتشبع ذهن أبي حنيفة من فكرة العمل بالقياس، أو يكون عمله بالقياس فيما لا نص فيه من الشارع، أو تكون قضية هذه المحاورة مكذوبة على الإمامين الباقر وأبي حنيفة.
غير أن الاحتمال الثاني ضعيف، لأن من المسلم به أن مورد عملهم بالقياس، إنما هو فيما لا نص فيه، فيبقى الاحتمال الأول والثالث، ولا يبعد أن يكون الثالث هو الأقرب.

---

(١) أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٢٢ - ٢٣.

الثاني: أن الظاهر من هذه المحاورة أن الإمام الباقر عليه السلام، أقر الإمام أبا حنيفة على ما رآه في وجه القياس، وعلة الحكم القياسي، وأن القياس يجعل السهمين للمرأة، لأنها أضعف من الرجل، ولا يمكن للإمام الباقر أن يقره على ذلك، لأن ما أدركه أبو حنيفة بعقله من العلة المذكورة، ليست هي مناط الحكم.

الثالث: أن المحاورة المذكورة مقلوبة، لأنها وقعت بين الإمام الصادق وأبي حنيفة (١). هذا وقد عاد الشيخ أبو زهرة، وذكرها في نفس كتابه (الإمام الصادق) رواية عن الكليني في الكافي، وأنه اعتمدها فيها - كما في الهامش

---

(١) الإمام أبو حنيفة: - هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي، ولد في الكوفة عام ٨٠ ه‍ (٦٩٩ م)، وتوفي ببغداد عام ١٥٠ ه‍ (٧٦٧ م)، كان جده زوطي جلب عبدا من فارس إلى الكوفة، وأعتقه سيده، وكان من قبيلة تيم الله، أما والده ثابت فقد ولد حرا في هذه القبيلة، وقد سمع أبو حنيفة بعض الصحابة وعددا كبيرا من التابعين بالكوفة، لكنه لم يرو عنهم، ومن شيوخه " أبو عمرو والشعبي (ت ١٠٤ ه‍ / ٧٢٢ م). و " عطاء بن أبي رياح " (ت عام ١١٤ ه‍ / ٧٣٢ م) و " حماد بن أبي سليمان " (ت ١٢٠ ه‍ / ٧٣٧ م)، والذي أثر فيه كثيرا، فقد سمع له نحو ١٨ عاما، وأما تلاميذ أبي حنيفة فأشهرهم " أبو يوسف "، (١١٣ - ١٨٢ ه‍ / ٧٣١ - ٧٩٨ م) و " زفر بن الهذيل " (١١٠ - ١٥٨ ه‍ / ٧٢٨ - ٧٧٤ م) و " محمد بن الحسن الشيباني " (١٣٢ - ١٨٩ ه‍ / ٧٤٩ - ٨٠٥ م)، وكان أبو حنيفة يكسب قوته من التجارة، وحاول الخلفاء الأمويون المتأخرون، والخليفة العباسي المنصور أن يجبروه على منصب القضاء، ولكنه كان يرفض وسجن بسبب ذلك. وأما أهم مصادر ترجمته (مقالات الإسلاميين الأشعري ١ / ١٣٨ - ١٣٩، طبقات الفقهاء للشيرازي ص ٦٧ - ٦٨، تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ٣٢٣ - ٤٥٤، الانتقاء لابن عبد البر ص ١٢١ - ١٧٥، الجواهر للقرشي ١ / ٢٦ - ٣٢، تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٦٨ - ١٦٩، مرآة الجنان لليافعي ١ / ٣٠٩ - ٣١٢، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٢ / ١٢ - ١٥، وفيات الأعيان ٢ / ٢١٥ - ٢١٩، كما صدر حديثا مجموعة كتب عنه، من أشهرها: كتاب أبو زهرة (أبو حنيفة) وكتاب عبد الحليم الجندي (أبو حنيفة) وكتاب محمد يوسف موسى (أبو حنيفة) وكتاب السيد عفيفي (حياة الإمام أبي حنيفة).

وأما أهم آثار أبي حنيفة (الفقه الأكبر - مسند أبي حنيفة - رسالة في الفرائض - معرفة المذاهب - دعاء أبي حنيفة - فتاوي أبي حنيفة ومحمد بن الحسن الشيباني - كتاب العالم والمتعلم - وصيته إلى ابنه حماد) وانظر: فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي - المجلد الأول - الجزء الثالث - الفقه - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٠٣ ه‍ / ١٩٨٣) ص ٣١ - ٥٠.

الأول من ص ٢٩٣ – على مسند الإمام أحمد بن حنبل، يقول أبو زهرة: جاء في الكافي عن أبي حنيفة قال: استأذنت عليه (أي الإمام الصادق)
فحجبني، وجاءه قوم من أهل الكوفة واستأذنوا، فأذن لهم، فدخلت معهم،
فلما صرت عنده قلت: يا ابن رسول الله لو أرسلت إلى أهل الكوفة، فنهيتهم أن يشتموا أصحاب محمد (صلى الله عليه وسلم)، فإني تركت فيها أكثر من عشرة آلاف يشتمونهم،
فقال: لا يقبلون مني، فقلت: ومن لا يقبل منك، وأنت ابن رسول الله.
فقال الصادق: أنت أول من لا يقبل مني، دخلت داري بغير أذني
وجلست بغير أمري، وتكلمت بغير رأيي، وقد بلغني أنك تقول بالقياس،
فقلت: نعم.
فقال: ويحك يا نعمان، أول من قاس إبليس، حين أمر بالسجود لآدم
فأبى، وقال: خلقتني من نار، وخلقته من طين، أيهما أكبر يا نعمان، القتل أم الزنى؟ قلت: القتل، قال: فلم جعل الله في القتل شاهدين، وفي الزني أربعة أيقاس لك هذا؟ قلت: لا.
قال: فأيهما أكبر البول أو المني؟ قلت: البول، قال فلم أمر الله في البول بالوضوء، وفي المني بالغسل، أيقاس لك هذا؟ قلت: لا.
قال: فأيهما أكبر الصلاة أم الصوم؟ قلت: الصلاة، قال: فلم وجب على الحائض أن تقضي الصوم، ولا تقضي الصلاة، أيقاس ذلك؟ قلت: لا.
قال: فأيهما أضعف المرأة أم الرجل؟ قلت: المرأة، قال: فلم جعل الله تعالى في الميراث للرجل سهمين، وللمرأة سهما، أيقاس ذلك؟ قلت: لا.
قال: وقد بلغني أنك تقرأ آية في كتاب الله تعالى، وهي (لتسألن يومئذ عن النعيم)، أنه الطعام الطيب، والماء البارد في اليوم الصائف، قلت: نعم.
قال: لو دعاك رجل وأطعمك طعاما طيبا، وسقاك ماء باردا، ثم امتن به

عليك، ما كنت تنسبه، قلت: للبخل، قال: فتبخل الله علينا، قلت: فما هو
قال: حبنا أهل البيت (١).
وروى أبو زهرة رواية أخرى: عن عيسى بن عبد الله القرشي قال: دخل
أبو حنيفة على أبي عبد الله (الصادق) فقال له، يا أبا حنيفة بلغني أنك تقيس؟
قال نعم، قال: لا تقس، فإن أول من قاس إبليس، حين قال: خلقتني من نار،
وخلقته من طين، فقاس ما بين النار والطين، ولو قاس نورية آدم بنورية النار،
لعرف فضل ما بين النورين، وصفا أحدهما (٢).
٩ - الإمام الباقر وقريش:
روى ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أن الإمام أبا جعفر محمدا
الباقر قال: " يا فلان، لقد لقينا من ظلم قريش إيانا، وتظاهرهم علينا، وما لقي
شيعتنا ومحبونا من الناس ما لقينا: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قبض وقد
أخبرنا: أنا
أولى الناس بالناس، فتمالأت علينا قريش، حتى أخرجت الأمر عن معدنه،
واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، ثم تداولتها قريش واحدا بعد واحد،
حتى رجعت إلينا، فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر
في صعود كئود، حتى قتل ".
" فبويع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به وأسلم، ووثب عليه أهل العراق،
حتى طعن من خنجر في جنبه، ونهب عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات
أولاده، فوادع معاوية، وحقن دمه، ودم أهل بيته، وهم قليل حق قليل ".
" ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفا، ثم غدروا به وخرجوا
عليه، وبيعته في أعناقهم وقتلوه، ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام،

---

(١) أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٢٩١ - ٢٩٢، مسند الإمام أحمد ١ / ١١ - ١٣.
(٢) أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٢٩١.

ونقضي ونمتهن، ونحرم ونقتل، ونخوف، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الجاحدون الكاذبون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء، وعمالة السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة (١)، ورووا عنا ما لم نقله، وما لم نفعله، ليبغضونا إلى الناس ".
وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية (٢)، بعد موت الحسن، فقلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، ومن يذكر بحبنا والانقطاع إلينا، سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد، قاتل الحسين، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة وتهمة (٣)، حتى إن الرجل ليقال له زنديق (٤)، أحب إليه من أن يقال له شيعة علي " (٥).

---

(١) أنظر: (ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤ / ٦٣ - ٧٤).
(٢) روي عن أبي عثمان الجاحظ: أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة " اللهم إن أبا تراب (يعني الإمام علي - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة) - ألحد في دينك، وصد عن سبيلك، فالعنه لعنا وبيلا، وعذبه عذابا أليما " وكتب بذلك إلى الآفاق، فكانت هذه الكلمات يشار بها على منابر المسلمين، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فألغاها، ثم عادت مرة أخرى بعد عهده، وروي أن قوما في بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين، إنك قد بلغت ما أملت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل (أي الإمام علي) فقال: " لا، والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكر فضلا " (شرح نهج البلاغة ٤ / ٥٦ - ٥٧).
(٣) من عجائب الأيام أن الحجاج الثقفي كان يلعن الإمام علي، ويأمر بلعنه، وقال له متعرض يوما، وهو راكب: أيها الأمير، إن أهلي عقوني فسموني عليا، فغير اسمي، وصلني، بما أتبلغ به، فإني فقير، فقال للطف ما توسلت به، قد سميتك كذا، ووليتك العمل الفلاني، فأشخص إليه (شرح نهج البلاغة ٤ / ٥٧).
(٤) كان بنو أمية يمنعون إظهار فضائل الإمام علي عليه السلام، وعاقبوا على ذلك الراوي له، حتى أن الرجل كان إذا روى عن الإمام علي حديثا، لا يتعلق بفضله، بل بشرائع الدين، لا يتجاسر على ذكر اسمه، فيقول: عن أبي زينب، وروى عطاء عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال: وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوما إلى الليل، وأن عنقي هذه ضربت بالسيف (شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٣).
(٥) محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص ١١١، شرح نهج البلاغة ٣ / ١٥.

هذا ورغم اعتراض أبي زهرة على بعض جمل جاءت في كلام الإمام الباقر، تومئ إلى
أن الشيخين قد اغتصبا حق علي، ويستبعد أن يكون ذلك من
الإمام الباقر، لأن لآثار المتضافرة تثبت أنه كان يرى صحة إمامة أبي بكر
وعمر (١)، غير أنه يقرر أن ما ذكر عن حال آل البيت في العصر الأموي - الذي
عاش فيه الإمام الباقر - صادق كل الصدق، ولم يذكر الباقر ما اتخذه ملوك بني
أمية من سنة لعن إمام الهدى - علي كرم الله وجهه في الجنة - وإنه ليدل على
مقدار ما يكنه حكام بني أمية من حقد دفين لآل البيت، ولقد لام كثيرون معاوية
على ذلك العمل البالغ أقصى حدود الحقد، ولقد أرسلت أم المؤمنين، السيدة
أم سلمة، تقول: إنكم تلعنون الله ورسوله إذ تلعنون علي بن أبي طالب، ومن
يحبه، وأشهد أن الله ورسوله يحبانه.
روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت
على أم سلمة، فقالت لي: أيسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فيكم، فقلت: معاذ
الله، أو
سبحان الله، أو كلمة نحوها، فقالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول:
" من سب
عليا فقد سبني "، وفي رواية: " ومن سبني فقد سب الله " (٢).
ولقد ارتكب معاوية بن أبي سفيان، أشد ما ارتكب لطمس معالم الشورى

---

(١) كانت وجهة نظر بني هاشم جميعا أن الإمام علي بن أبي طالب هو أحق بالخلافة - بعد
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - من دون الناس جميعا، وأن الإمام علي إنما يؤكد أنه صاحب الحق،
كما أنه لم
يستشر في اختيار الصديق خليفة، (أنظر: البلاذري: أنساب الأشراف ١ / ٥٨٢، تاريخ الطبري
٣ / ٢٠٢، ٢٠٨، المسعودي: مروج الذهب ١ / ٥٩٤) ولهذا فقد استأخرت يمين الإمام عن بيعة
الصديق، وقد أعطي الإمام السبب في ذلك، في وضوح، خلال حواره مع الصحابة، وعلى
رأسهم أبو بكر وعمر، قال الإمام علي: " إنكم تدفعون آل محمد عن مقامه ومقامهم في الناس،
وتنكرون عليهم حقهم، أما والله لنحن أحق بالأمر منكم، ما دام فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه
في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، القاسم بينهم بالسوية (في رحاب
علي ص ١٠٣).
(٢) المستدرك للحاكم ١ / ١٢١، ٣ / ١٢١، خصائص النسائي ص ٥٦، كنز العمال ٦ / ٤٠١، مسند
أحمد ٦ / ٣٢٣.

وفي الحكم الإسلامي، فقد عهد إلى ابنه " يزيد " فحول الخلافة إلى ملك
عضوض، بل إلى ملك فاجر، وقد زعم - وهو يعهد إلى ابنه - بأنه يقتدي
بأبي بكر، إذ عهد من بعده إلى عمر بن الخطاب، وأن المفارقة بين العهدين
واضحة، كالفرق بين عمر بن الخطاب، ويزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وقد
قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في عمر بن الخطاب " إن الله قد كتب الحق
على لسان عمر
وقلبه "، بينما يعرف التاريخ أن يزيد بن معاوية كان لا يمتنع عن إتيان
المحرمات، وأبو بكر الصديق إنما عهد بالخلافة إلى رجل لم تربطه به قرابة، ثم
هو وزير من وزراء النبي (صلى الله عليه وسلم)، وقد قال فيه: " إن الشيطان لا يسير
في فج يسير
فيه عمر " وقال: " إنه العبقري الذي لم يفر فرية في الإسلام أحد ".
وأما " معاوية بن أبي سفيان " فقد عهد إلى ابنه الذي علم التاريخ عنه ما
علم (١) وقد قال في المقام الإمام " الحسن البصري " - فيما يروي الطبري
وابن الأثير وابن كثير - " أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا
واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء، حتى ابتزها أمرها بغير
مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيرا
خميرا، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زيادا، وقد قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " الوالد للفراش، وللعاهر الحجر " (٢)، وقتله
حجرا، ويلا له من
حجر، مرتين " (٣).
وعن الشعبي: أول من خطب الجمعة جالسا معاوية، حين كثر شحمه،
وعظم بطنه، وعن سعيد بن المسيب: أول من أذن وأقام يوم الفطر والنحر

---

(١) أبو زهرة: الإمام الصادق ص ١١٢.
(٢) روى البخاري في صحيحه: قال ابن شهاب قالت عائشة، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " الولد
للفراش،
وللعاهر الحجر " (صحيح البخاري ٥ / ١٩٢).
(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٢٧٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣ / ٤٨٧، ابن كثير: البداية والنهاية
٨ / ١٤١، وانظر ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥ / ١٢٩ - ١٣١.

معاوية، وقال الإمام أبو جعفر محمد الباقر: كانت أبواب مكة لا أغلاق لها، وأول من اتخذ لها الأبواب معاوية، وقال أبو اليمان عن شعيب عن الزهري: مضت السنة أن لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر، وأول من ورث المسلم من الكافر معاوية، وقضى بذلك بنو أمية بعده، حتى كان عمر بن عبد العزيز، فراجع السنة، وأعاد هشام ما قضى به معاوية وبنو أمية من بعده، وبه قال الزهري، ومضت السنة أن دية المعاهد كدية المسلم، وكان معاوية أول من قصرها إلى النصف، وأخذ النصف لنفسه " (١)

١٠ - علم الباقر:

لا ريب في أن الإمام الباقر - رضوان الله عليه - إنما هو أعلم أهل زمانه - حتى وإن أنكر ابن تيمية ذلك، بل وذهب إلى أن الزهري (٢)، وهو من أقرانه، هو عند الناس أعلم منه (٣) - وقد سمي الإمام " بالباقر " والباقر ليس اسما للإمام أبو جعفر محمد بن علي، وإنما هو وصف له - كما كان زين العابدين وصفا لأبيه علي - وإنما سمي محمد بالباقر إشارة إلى أنه يبقر العلم بقرا، أو يشقه شقا، ويصل إلى قلب الحكمة، والمقصود هنا بالعلم: علم التفسير والحديث

---

(١) ابن كثير: البداية النهاية ٨ / ١٥٠ - ١٥١.

(٢) الزهري: هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، ولد عام ٥١ ه‍ (٦٧٠ م) - أو عام ٥٦ ه‍ أو ٥٧ ه‍ أو ٨٥ ه‍ - وتوفي عام ١٢٤ ه‍ (٧٤٢ م)، وكان محدثا ومؤرخا، عارفا بالشعر، واشتهر في الحديث بأنه أول من أسند الحديث، وأول من دون الحديث، ووصفه الطبري بأنه كان مؤرخا ورائدا في علم المغازي وفي أخبار قريش، كما كان راوية لأخبار الرسول والصحابة، كما عرف مصطلح السيرة، وأما أهم مصادر ترجمته فهي (حلية الأولياء ٣ / ٣٦٠ - ٣٦١، صفة الصفوة لابن الجوزي ٢ / ٧٧ - ٧٨)، البداية والنهاية لابن كثير ٩ / ٣٤٠ - ٣٤٨، غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ٢٦٢، الكامل لابن الأثير ٧ / ٢٨٩، تاريخ الإسلام للذهبي ٥ / ١٣٦ - ١٥٢، علم التاريخ للدوري ص ٢٠ - ٣٢، ٧٦ - ١٠٢، ١٤٣ - ١٥١، الأعلام للزركلي ٧ / ٣١٧، معجم المؤلفين لكحالة ١٢ / ٢١، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي - المجلد الأول ٢ / ٧٤ - ٧٩)، وأما أهم آثاره (المغازي - نسب قريش - أسنان الخلفاء - الناسخ والمسوخ في القرآن - تنزيل القرآن - مشاهد النبي).

(٣) ابن تيمية: المنتقي ص ١٧١، منهاج السنة ١ / ١٣٢، النشار: المرجع السابق ص ١٣٩.

والفقه، فقد كان الإمام الباقر مفسرا ومحدثا وفقيها.
وكان الإمام الباقر عالما سيدا كبيرا (١)، كثر الرواة عنه أكثر مما كان عن آبائه، لأنه لم يلق التضييق الذي لقيه آباؤه من بني (٢) أمية، كما كان الإمام الباقر وحيد عصره، ذكره الكثيرون من المؤلفين، وأفاضوا فيه، وأثنوا عليه، ورووا وتلقوا، منهم عبد الرحمن الأوزاعي (ت ١٥٧ ه) و " ابن جريح المكي " (ت ١٥٠ ه) ومحمد بن مسلم الزهري (ت ١٢٤ ه) والأعمش (ت ١٤٨ ه) والإمام زيد بن علي زين العابدين وغيرهم.
هذا وقد التف الناس حول الإمام الباقر، واستقوا من منهله، رغم كل الخطط التي وضعها أرباب السلطة من بني أمية، وازدحم العلماء للارتشاف من معينه، فضلا عن الحجازيين من مكة والمدينة، ممن أخلص الحب لآل البيت وأئمتهم، فكان الإمام الباقر مرجعا لهم جميعا، والحكم العدل فيهم، حتى بني أمية - الذين جبلوا على كراهيته وكراهية أسرته من آل بيت النبوة، إنما كانوا يضطرون إليه أحيانا لحل المشاكل، كما كان الإمام الباقر أول من أسس علم الأصول (٣).
هذا ولعل أشهر رواته إنما كان " جابر الجعفي " و " زرارة بن أعين " و " بريدة العجلي " و " سدير الصيرفي " وقيل إن جابر الجعفي قد روى عنه أكثر من خمسين ألف حديث، كما روى عنه محمد بن مسلم ثلاثين ألف حديث، ومهما يكن من المبالغة في عدد هذه الأحاديث، فإنها إنما تدل على أن الإمام الباقر قد تفرغ للعلم والحديث، وسار على نهج أبيه الإمام علي زين العابدين

---

(١) شمس الدين بن طولون: الشذرات الذهبية ص ٨١.
(٢) المظفري: تاريخ الشيعة ص ٤٢ (مطبعة الزهراء - النجف ١٣٤٢ ه).
(٣) السيد الشريف عبد الرحمن بن محمد بن حسين المشهور: شمس الظهيرة في نسب أهل البيت من بني علوي - فرع فاطمة الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الجزء الأول ص ٣٧ - ٣٨ (ط جدة ١٩٨٤).

في تأكيد " الإمامة الروحية " دون الخوض في السياسة أو طلب الحكم (١).
ولعل من أهم آثار الإمام الباقر " تفسير القرآن " وقد رواه عنه تلميذه
" أبو الجارود زياد بن المنذر " (٢)، ومن أمثلة تفسيره الملهم، ما رواه أبو نعيم في
الحلية بسنده عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال: كنت جالسا عند خالي
محمد بن علي، وعنده يحيى بن سعيد (٣) و " ربيعة الرأي " (٤)، إذ جاء الحاجب
فقال: هؤلاء قوم من أهل العراق، فدخل أبو إسحاق السبيعي وجابر الجعفي
وعبد الله بن عطاء والحكم بن عيينة، فتحدثوا فأقبل محمد بن علي الباقر على
جابر فقال: ما يروي فقهاء أهل العراق في قوله عز وجل: (ولقد همت به وهم
بها، لولا أن رأى برهان ربه) (٥) ما البرهان؟ قال: رأى يعقوب عليه السلام،
عاضا على إبهامه.
فقال الباقر: لا: حدثني أبي عن جدي عن علي بن أبي طالب،
رضي الله تعالى عنه: أنه هم أن يحل التكة فقامت إلى صنم لها مكلل بالدر
والياقوت في ناحية البيت فسترته بثوب أبيض بينها وبينه، فقال: أي شئ

---

(١) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٥٨.
(٢) أنظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٣، العاملي: أعيان الشيعة ٤ / ٣ / ١٩، فؤاد سزكين: تاريخ التراث - المجلد الأول - ٢ / ٢٦٦.
(٣) يحيى بن سعيد الأنصاري: تابعي من المدينة، روى عن الصحابي أنس بن مالك، وعن عدد من كبار التابعين، وروى عنه الزهري ومالك والأوزاعي وسفيان الثوري وشعبة وغيرهم، ولي القضاء في المدينة، زمن الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ ه‍ / ٧٠٥ / ٧١٥ م)، ويعد من فقهاء المدينة ذوي المكانة العالية، ويقول الثوري أن أهل المدينة كانوا يعتبرونه أعلم من الزهري، وقد دون ربيعة الرأي آراءه، وتوفي في البصرة عام ١٤٣ ه‍ - (٧٦٠ م).
(٤) ربيعة الرأي: هو ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ التيمي، ولد بالمدينة وعاش بها، وروى عن الصحابي أنس وعن كبار التابعين، وكان هو تابعيا، وروى عنه مالك وسفيان الثوري وشعبة وحماد بن سلمة وغيرهم، وكان ربيعة من أصحاب الرأي في الفقه أفادوا منه عند عدم وجود نص ولذا سمي " ربيعة الرأي " تقديرا، وكان أصحاب الحديث يعدونه من أفضل رواته ويعارضون اللقب السابق، ويعد الإمام مالك من أحسن تلاميذه، وتوفي في العراق عام ١٣٦ ه‍ (٧٥٣ م) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي - المجلد الأول ٣ / ٢٣ - ٢٤) (الرياض ١٩٨٣).
(٥) سورة يوسف: آية ٢٤.

تصنعين؟ فقالت: أستحي من إلهي أن يراني على هذه الصورة، فقال يوسف عليه السلام: تستحين من صنم لا يأكل ولا يشرب، ولا أستحي أنا من إلهي الذي هو قائم على كل نفس بما كسبت، ثم قال: والله لا تناليها مني أبدا، فهو البرهان الذي رأى (١).

وروى الحافظ أبو نعيم (٢) في حليته بسنده عن " بسام الصيرفي " قال: سألت أبا جعفر محمد الباقر بن علي بن الحسين عن القرآن؟ فقال: كلام الله عز وجل غير مخلوق، وعن عبد الله بن عباس الخراز عن يونس بن بكير عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن عبد الله بن محمد بن علي، قال: سئل علي بن الحسين عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، وهو كلام الله عز وجل.

وروى الحافظ أبو نعيم في حليته (٣) بسنده عن ثابت بن محمد بن علي الباقر، في قوله عز وجل: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا) (٤) قال: على الفقر في دار الدنيا (٥)، وفي نور الأبصار: سئل الإمام الباقر عن قوله تعالى: (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا)، فقال: بصبرهم على الفقر، ومصائب الدنيا، حكت سلمى مولاة أبي جعفر الباقر: أنه كان رجل عليه بعض إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطيب، ويكسوهم في بعض الأحيان، ويعطيهم الدراهم، قال فكنت أكلمه في ذلك، لكثرة عياله، وتوسط حاله، فيقول: يا سلمى، ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف، فكان يصل بالخمسمائة درهم وبالستمائة إلى ألف درهم (٤).

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨١.
(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٨٨.
(٣) سورة الفرقان: آية ٧٥.
(٤) حلية الأولياء ٣ / ١٨١ - ١٨٢.
(٥) نور الأبصار ص ١٤٤.

وعن أبي حمزة الثمالي عن الإمام أبي جعفر الباقر، في قوله عز وجل: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) (١)، قال: " بما صبروا على الفقر ومصائب الدنيا " (٢).

وسئل الإمام الباقر عن قول الله عز وجل: (وقولوا للناس حسنا)، قال: قولوا لهم أحسن ما تحبون أن يقال لكم، ثم قال: إن الله - سبحانه وتعالى - يبغض اللعان السباب، الطعان الفحاش، المتفحش، السائل الملحف، ويحب الحيي الحليم، العفيف المتعفف (٣).

وفي المراجعات (٤) عن بريدة العجلي قال: سألت أبا جعفر (الإمام محمد الباقر) عن قوله عز وجل: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، فكان جوابه (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا) يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النار، هؤلاء أهدى من آل محمد سبيلا (أولئك الذين لعنهم الله، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا، أم لهم نصيب من الملك) يعني الإمام والخلافة (فإذا لا يؤتون الناس نقيرا، أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)، ونحن الناس المحسدون على ما أتانا الله من الإمامة دون خلقه (فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) يقول: جعلنا منهم الرسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون به في آل إبراهيم، وينكرونه في آل محمد (فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه، وكفى بجهنم سعيرا) (٥).

وعن محمد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله جعفر عن هذه الآية (إنما

---

(١) سورة الإنسان: آية ١٢.
(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٨٢.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢١.
(٤) المراجعات (رسائل متبادلة بين شيخ الأزهر، الإمام سليم البشري، والإمام شرف الدين العاملي عام ١٣٢٩ ه).
(٥) المراجعات ص ٢٨ وانظر: سورة النساء: آية ٥١ - ٥٥، ٥٩.

أنت منذر، ولكل قوم هاد) (١) فقال: كل إمام هاد في زمانه، وقال: الإمام أبو جعفر الباقر، في تفسيرها: المنذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والهادي علي، ثم قال:
والله ما زالت فينا إلى الساعة (٢).

وأما الحديث الشريف: فقد كان الإمام الباقر محدثا كبيرا، روى أبو نعيم في حليته أن الإمام الباقر أسند عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وروى عن ابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وأنس بن مالك وعن الإمامين الحسن والحسين، عليهما السلام، وأسند عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن أبي رافع.

وروى عنه من التابعين: عمرو بن دينار وعطاء بن أبي رباح وجابر الجعفي وأبان بن تغلب، وروى عنه من الأئمة والأعلام، ليث بن أبي سليم وابن جريح وحجاج بن أرطأة وآخرين (٣).

ولنشرف هنا بذكر بعض الأحاديث الشريفة التي رويت عن طريقه:
حدثنا أحمد بن القاسم بن الريان ثنا محمد بن يونس القرشي ثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود ثنا سفيان بن سعيد الثوري (٤) ثنا جعفر بن محمد (الصادق)

---

(١) سورة الرعد: آية ٧.

(٢) المراجعات ص ٢٨.

(٣) حلية الأولياء ٣ / ١٨٨.

(٤) سفيان الثوري هو أبو سعيد سفيان بن سعيد مسروق الثوري الكوفي، ولد عام ٩٥ ه (٧١٣ م) أو ٩٦ ه، وتوفي عام ١٦١ ه - (٧٧٨ م) وكان محدثا ومتكلما وزاهدا، تعلم على والده وعلماء عصره، وروى عنهم، ورفض منصب القضاء تحرجا وورعا، فغضب عليه الخليفة حتى اضطر أن يقضي بقية عمره مستترا، والثوري أول من رتب الأحاديث ترتيبا موضوعيا في الكوفة، وقد أسس مذهبا فقهيا لم يبق طويلا، وقيل إنه كان عالما بالرياضيات، وأهم مصادر ترجمته (طبقات ابن سعد ٦ / ٣٧١ - ٣٧٤، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢١ / ٢٢٢ - ٢٢٧، تاريخ بغداد ٩ / ١٥١ - ١٧٤، حلية الأولياء ٦ / ٣٥٦ - ٣٩٣، ٧ / ٣ - ١٤٤، الرجال للقيسراني ١ / ١٩٤ - ١٩٥، وفيات الأعيان ٢ / ٣٨٦ - ٣٩١، التهذيب لابن حجر ٤ / ١١١ - ١١٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٢٠٣ - ٢٠٧، معجم المؤلفين لكحالة ٤ / ٢٣٤ - ٢٣٥، الأعلام للزركلي ٣ / ١٥٨).

عن أبيه (الباقر) عن جابر (١) رضي الله تعالى عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) " أمر النفساء أن
تحرم، وتفيض عليها الماء " (رواه القرباني عن الثوري فقال: أمر أسماء - يعني بنت عميس) -.
حدثنا محمد بن أحمد ثنا الحسن بن سفيان ثنا عتبة بن عبد الله، حدثنا
عبد الله بن المبارك (٢)، حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد (الصادق) عن أبيه
(الباقر) عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول في خطبته:
يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول: " من يهده الله فلا مضل له، ومن
يضلل فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد،
وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في
النار، ثم يقول: بعثت أنا والساعة كهاتين، وكان إذا ذكرت الساعة احمرت
وجنتاه، وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه نذير جيش صبحتكم مستكم، ثم قال:
من ترك مالا فلأهله، ومن ترك ضياعا أو دينا فإلي، أو علي، وأنا أولى
المؤمنين (هذا حديث صحيح ثابت من حديث محمد بن علي (الباقر) رواه وكيع وغيره عن الثوري).
حدثنا سليمان بن أحمد ثنا مطر بن شعيب الأزدي ثنا محمد بن عبد العزيز
الرملي ثنا الفرياني ثنا سفيان عن جعفر بن محمد (الصادق) عن أبيه (الباقر) عن
جابر رضي الله تعالى عنه: قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " كيف أنعم وصاحب القرن
قد التقمه، وحنى جبهته، وأصغى بسمعه ينتظر متى يؤمر، فينفخ، قالوا: يا

---

(١) أنظر: (أسد الغابة ١ / ٣٠٧ - ٣٠٨).
(٢) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، لقبه أبو عبد الرحمن، ولد عام ١١٨ ه‍ (٧٣٦ م) وتوفي في " هيت " عام ١٨١ ه‍ (٧٩٧ م)، وكان أحد كبار المحدثين والمؤرخين والصوفية، كان واسع الثراء، ولديه مكتبة ضخمة، وكان صاحب التصانيف العديدة في علوم الحديث والقرآن والتاريخ والتصوف، وأهم مصادر ترجمته (تاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢ - ١٦٩، حلية الأولياء ٨ / ١٦٢ - ١٩٠، المشاهير لابن حبان ص ١٩٤ - ١٩٥، تذكرة الحفاظ للذهبي ٢٧٤ - ٢٨٢، الجواهر للقرشي ١ / ٢٨١ - ٢٨٢، معجم المؤلفين لكحالة ٦ / ١٠٦، الأعلام ٤ / ٢٥٦، التهذيب لابن حجر ٥ / ٣٨٢ - ٣٨٧).

رسول الله فما تأمرنا، قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل " (هذا حديث غريب
من حديث الثوري عن جعفر تفرد به الرملي عن الفرياني، ومشهورة ما رواه
أبو نعيم وغيره عن الثوري عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري)
أنظر: حلية الأولياء ٣ / ١٨٩).
وعن الأوزاعي (١) قال: قدمت المدينة فسألت محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، عن قوله عز وجل: (يمحو الله
ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فقال نعم: حدثنيه أبي عن جده علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه قال: سألت عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال: "
لأبشرنك بها
يا علي، فبشر بها أمتي من بعدي، الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف،
وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي
مصارع السوء " (٢).
وعن الأوزاعي قال: قدمت المدينة في خلافة هشام فقلت: من ههنا من
العلماء، قالوا: ههنا محمد بن المنكدر، ومحمد بن كعب القرظي، ومحمد بن
علي بن عبد الله بن عباس، ومحمد (الباقر) بن علي بن الحسين بن فاطمة بنت
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقلت: والله لأبدأن بهذا قبلكم، قال: فدخلت
المسجد

---

(١) الأوزاعي: هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، ولد عام ٨٨ ه‍ (٧٠٧ م)
سكن دمشق وبيروت وتوفي فيها عام ١٥٧ ه‍ (٧٧٤ م)، وسمع من عطاء بن أبي رباح وقتادة
والزهري وغيرهم، وقد فضله البعض على سفيان الثوري، ومع ذلك فإن الحكم على عمله
محدثا كان سلبيا، لأن صحف أحاديثه التي رواها عن الزهري - مثلا - لم يكن أخذها سماعا أو
قراءة، وهو من أوائل من ألفوا كتبا مبوبة في السنن، وأما أهم مصادر ترجمته (طبقات ابن سعد
٧ / ١٨٥ تاريخ الطبري ٣ / ٢٥١٤، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٢ / ٢٦٦ - ٢٦٧، التقدمة
لابن أبي حاتم ص ١٧٤ - ٢١٨، الفهرست لابن النديم ص ٢٢٧، حلية الأولياء ٦ / ١٣٥
- ١٤٢، التهذيب لابن حجر ٦ / ٢٣٦ - ٢٤٢، البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ١١٥ - ١٢٠، تذكرة
الحفاظ للذهبي ص ١٧٨ - ١٨٣، وفيات الأعيان ٣ / ١٢٧ - ١٢٨، معجم المؤلفين للكحالة
٥ / ١٦٣، الأعلام للزركلي ٤ / ٩٤).
(٢) حلية الأولياء ٦ / ١٤٥.

فسلمت، فأخذ بيدي فأدناني منه، قال: من أي إخواننا أنت؟ فقلت له: رجل
من أهل الشام، قال: من أي أهل الشام؟ فقلت: رجل من أهل دمشق، قال: نعم،
أخبرني أبي عن جدي أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: " للناس ثلاثة
معاقل،
فمعقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق أنطاكية دمشق، ومعقلهم من
الدجال بيت المقدس، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء " (١) ومن
مرويات الإمام الباقر عن خالد بن مخلد عن يحيى بن عمر قال: حدثني أبو
جعفر الباقر قال: جاء أعرابي إلى أبي بكر في عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وقال له:
أوصني، فقال: لا تتأمر على اثنين، ثم إن الأعرابي شخص إلى " الربذة " فبلغه
بعد ذلك وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فسأل عن أمر الناس: من وليه، فقيل:
أبو بكر،
فقدم الأعرابي إلى المدينة، فقال لأبي بكر: ألست أمرتني ألا تأمر على اثنين؟
قال: بلى، قال: فما بالك، فقال أبو بكر: لم أجد لها أحدا غيري، أحق مني.
قال: ثم رجع أبو جعفر الباقر يديه وخفضهما، فقال: صدق، صدق (٢).
وعن سليمان الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب عن
رافع بن أبي الطائي قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جيشا، فأمر عليهم
عمرو بن
العاص - وفيهم أبو بكر وعمر - وأمرهم أن يستنفروا من مروا به، فمروا علينا،
فنفرنا معهم في غزوة ذات السلاسل (٣) - وهي التي تفخر أهل الشام فيقولون:
استعمل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمرو بن العاص على جيش فيه أبو بكر
وعمر - قال
فقلت: والله لأختاره في هذه الغزوة لنفسي رجلا من أصحاب رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)،
استهد به، فإني لست أستطيع إتيان المدينة، فاخترت أبا بكر، ولم آل، وكان له

---

(١) حلية الأولياء ٦ / ١٤٦.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦ / ٤١.
(٣) أنظر عن غزوة ذات السلاسل (سيرة ابن هشام ٤ / ٤٦٢ - ٤٦٤، تاريخ الطبري ٣ / ٣٠٢ - ٣٠٣، الكامل لابن الأثير ٢ / ٢٣٢، ابن كثير: السيرة النبوية ٣ / ٥١٦ - ٥٢١، مغازي الواقدي ٢ / ٧٦٩ - ٧٧٤، محمد بيومي مهران: السيرة النبوية الشريفة ٢ / ٣٧١ - ٣٧٣)

كساء فدكي يخله عليه إذا ركب ويلبسه، إذا نزل، وهو الذي عيرته به هوازن، بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) وقالوا: لا نبايع ذا الخلال.
قال: فلما قضينا غزوتنا، قلت له: يا أبا بكر، إني قد صحبتك، وإن لي عليك حقا، فعلمني شيئا أنتفع به، فقال: كنت أريد ذلك، لو لم تقل لي: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتحج البيت وتصوم شهر رمضان، ولا تتأمر على رجلين، فقلت: أما العبادات فقد عرفتها، أرأيت نهيك لي عن الإمارة، وهل يصيب الناس الخير والشر، إلا بالإمارة، فقال: إنك استجهدتني فجهدت لك، إن الناس دخلوا في الإسلام طوعا وكرها، فأجارهم الله من الظلم، فهم جيران الله، وعواد الله، وفي ذمة الله، فمن يظلم منكم، إنما يحقر ربه، والله إن أحدكم ليأخذ شويهة جاره أو بعيره، فيظل عمله بأسا بجاره، والله من وراء جاره.
قال: فلم يلبث إلا قليلا، حتى أتتنا وفاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فسألت: من استخلف بعده؟ قيل: أبو بكر، فقلت: أصاحبي الذي كان ينهاني عن الإمارة، فشددت على راحلتي، فأتيت المدينة، فجعلت أطلب خلوته، حتى قدرت عليها، فقلت: أتعرفني؟ أنا فلان بن فلان، أتعرف وصية أوصيتني بها؟ قال: نعم، إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبض، والناس حديثو عهد بالجاهلية، فخشيت أن
يفتتنوا، وإن أصحابي حملونيها، فما زال يعتذر إلي حتى عذرته، وصار من أمري بعد أن صرت عريفا (١).
١١ - الإمام الباقر وقضية الجبر والاختيار:
كان الإمام الباقر يقول: " يا معشر الشيعة، شيعة آل محمد، كونوا النمرقة (أي الوسادة) الوسطى، يرجع إليكم الغالي، ويلحق إليكم التالي "، وفسر " الغالي " بأنه من يقول فيه ما لا يقول في نفسه، و " التالي " بأنه المرتاد، يريد

---

(١) بن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٦ / ٤١ - ٤٢.

الخير، ويؤجر عليه، وهذا هو السبب في أن الأئمة لم يدخلوا في معترك الصفات والجبر والاختيار والقدر، ولم يدلوا بدلوهم في طريق الكلام المتشعبة، إلا ليجمعوا الآراء كلها، فيخرجوا منها، كما دخلت هي في القرآن، ومعنى هذا أن أهل الجبر اختاروا ناحية من القرآن، واختار أهل الاختيار ناحية أخرى، والأمر كذلك بالنسبة للصفات، والكل يستند
إلى آيات من القرآن (١).

وكان دور الأئمة أن يعودوا بهذه الآراء المتشعبة والمختلفة إلى القرآن من جديد، فيحملوا على التحديد والاختيار، ويردوا الأمر إلى نصابه، فحين سئل الإمام الباقر عن الجبر والاختيار (٢) قال: " إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمرا فلا يكون " (٣).

ثم سئل: هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قال: نعم، أوسع مما بين
الأرض والسماء.

فالإمام الباقر إذن: ينفي الجبر على الإطلاق أولا، ثم ينفي الاختيار على الإطلاق أيضا، ومعنى هذا: أنه يجمعهما، ثم يجعل بين الجبر والقدرة منزلة ثالثة.

---

(١) كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع - ١ / ١٧١ (بغداد ١٩٦٣).

(٢) أنظر عن قضية القضاء والقدر - أو الجبر والاختيار - (محمد متولي الشعراوي: القضاء والقدر - القاهرة ١٩٨٩، ابن تيمية: الجزء الثامن من فتاوي ابن تيمية - الرياض ١٣٨١ ه، أحمد بن ناصر الحمد: ابن حزم وموقفه من الإلهيات ص ٤٠٦ - ٤٦٤ (نشر جامعة أم القرى بمكة المكرمة - ١٤٠٦ / ١٩٨٦ م)، عبد الفتاح أحمد فؤاد: الأصول الإيمانية لدى الفرق الإسلامية ص ١٠٨ - ١١٦، ١٧٣، ١٨٠، ٤٥٠، ٤٥٦ (الإسكندرية ١٩٩٠)، عبد القادر محمود: الإمام جعفر الصادق - رائد السنة والشيعة ص ٣٨ - ٥٥ (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - مصر).

(٣) الشيبي: المرجع السابق ص ١٧١، ثم قارن: الكليني: الكافي ٣٦، الصدوق القمي: الإعتقادات ص ٤٧٠ - ٤٧١.

وهكذا يعيد الإمام الباقر المياه إلى مجاريها الحقيقية قياما بواجبه الذي يحتمه عليه جوهر التشيع الأساسي (١).

١٢ - من أقوال الإمام الباقر:

عن عبد الله بن المبارك قال: قال الإمام محمد بن علي الباقر: " من أعطي الخلق والرفق، فقد أعطي الخير والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حرمهما كان ذلك سبيلا إلى كل شر وبلية - إلا من عصمه الله " (٢).

وقال: أيدخل أحدكم يده في كم صاحبه فيأخذ ما يريد تماما إلا قال: فلستم إخوانا، كما تزعمون.

وقال: أعرف مودة أخيك لك، بما له من المودة في قلبك، فإن القلوب تتكافأ

وقال: - قد سمع عصافير يصحن - أتدري ماذا يقلن؟ قلت: لا، قال: يسبحن الله، ويسألنه رزقهن يوما بيوم.

وقال: تدعو الله بما تحب، وإذا وقع الذي تكره، لم تخالف الله عز وجل فيما أحب.

وقال: ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شئ أحب إلى الله عز وجل، من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير صوابا البر، وأسرع الشر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمي عليه من نفسه، وأن يأمر الناس، بما لا يستطيع أن يفعله، وينهى الناس بما لا يستطيع أن يتحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه، هذه كلمات جوامع موانع، لا ينبغي لعاقل أن يفعلها.

---

(١) نفس المرجع السابق ص ١٧١.

(٢) البداية والنهاية ٩ / ٣٥٠.

وقال: القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق
وقال: صحب عمر بن الخطاب رجلا إلى مكة، فمات في الطريق، فاحتبس عليه عمر، حتى صلى عليه ودفنه، فقل يوم إلا كان عمر يتمثل بهذا البيت:
وبالغ أمر كان يأمل دونه * ومختلج من دون ما كان يأمل (١)
وعن الأصمعي قال: قال محمد بن علي (الباقر) لابنه: يا بني إياك والكسل والضجر، فإنهما مفتاح كل شر، إنك إن كسلت لم تؤد حقا، وإن ضجرت لم تصبر على حق.
وعن أبي خالد الأحمر عن حجاج عن أبي جعفر الباقر قال: أشد الأعمال ثلاثة: ذكر الله على كل حال، وإنصافك من نفسك، ومواساة الأخ في المال.
وعن محمد بن عبد الله الزبيري عن أبي حمزة الثمالي قال: حدثني أبو جعفر محمد بن علي (الباقر) قال: أوصاني أبي فقال: لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، قال: قلت: جعلت فداك يا أبة من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقا، فإنه بايعك بأكلة فما دونها، قال: قلت يا أبة وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.
قال: قلت يا أبة ومن الثاني؟ قال: لا تصحبن البخيل، فإنه يقطع بك في ماله، أحوج ما كنت إليه.
قال: قلت يا أبة ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذابا، فإنه بمنزلة السراب، يبعد منك القريب، ويقرب منك البعيد.

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨٦ - ١٨٨.

قال: قلت يا أبة ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمقا، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك.
قال: قلت يا أبة ومن الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع راحم، فإني وجدته ملعونا في كتاب الله تعالى، في ثلاثة مواضع (١).
وعن أبي الربيع الأعرج ثنا شريك عن جابر قال: قال لي محمد بن علي (الباقر): أنزل الدنيا كنزل نزلت به، وارتحلت منه، أو كمال أصبته في منامك، فاستيقظت وليس معك منه شئ، إنما هي - مع أهل اللب، والعالمين بالله تعالى - كفئ الظلال، فاحفظ ما استرعاك الله تعالى من دينه وحكمته.
وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت محمد بن علي (الباقر) يقول:
يقول الله عز وجل: " إذا جعل عبدي همه في هما واحدا، جعلت غناه في نفسه، ونزعت الفقر من بين عينيه، وجمعت له شمله، وكتبت له من وراء تجارة كل تاجر، وإذا جعل همه في مفترقا، جعلت شغله في قلبه، وفقره بين عينيه، وشتت عليه أمره، ورميت بحبله على غاربه، ولم أبال في أي واد من أودية الدنيا هلك " (٢).
وقيل للإمام الباقر: أتعرف شيئا خيرا من الذهب؟ قال: نعم، معطيه.
وقال: اصبر للنوائب، لا تتعرض للحقوق، ولا تعط أحدا من نفسك ما ضره عليك أكثر من نفعه.
وقال: كفى العبد من الله ناصرا، أن يرى عدوه يعصي الله.
وقال: شر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق.

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨٣ - ١٨٤.
(٢) حلية الأولياء ٣ / ١٨٧.

وقال: لو صمت النهار لا أفطر، وصليت الليل لا أفتر، وأنفقت مالي في سبيل الله علقا علقا، ثم لم تكن في قلبي محبة لأوليائه، ولا بغضه لأعدائه، ما نفعني ذلك شيئا (١).
وروى زرارة بن أعين عن أبيه عن أبي جعفر محمد الباقر، عليه السلام، قال: كان علي عليه السلام إذا صلى الفجر، لم يزل معقبا إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس، فيعلمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك، فقام يوما فمر برجل، فرماه بكلمة هجر، قال: لم يسمعه محمد بن علي الباقر، عليه السلام، فرجع عوده على بدئه، حتى صعد المنبر، وأمر فنودي الصلاة جامعة: فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على نبيه، ثم قال: أيها الناس، إنه ليس شئ أحب إلى الله، ولا أعم نفعا من حلم إمام وفقيه، ولا شئ أبغض إلى الله، ولا أعم ضررا من جهل إمام وخرقه، ألا وإنه من لم يكن له من نفسه واعظ، لم يكن له من الله حافظ، ألا وإنه من أنصف من نفسه، لم يزده الله إلا عزا، ألا وإن الذل في طاعة الله، أقرب إلى الله من التعزز في معصيته.
ثم قال: أين المتكلم آنفا؟ فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني لو أشاء لقلت، فقال: إن تعف وتصفح، فأنت أهل ذلك، قال: قد عفوت وصفحت.
فقيل لمحمد بن علي الباقر: ماذا أراد أن يقول؟ قال: أراد أن ينسبه (٢).
وعن خالد بن دينار عن أبي جعفر الباقر: أنه كان إذا ضحك، قال: اللهم لا تمقتني.
وعن محمد بن مسعر قال قال جعفر بن محمد (الصادق): فقد أبي بغلة

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٢٣٠ - ٣٢١.
(٢) شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٩ - ١١٠.

له، فقال: لئن ردها الله تعالى علي لأحمدنه محامد يرضاها، فما لبث أن أتي بها بسرجها ولجامها، فركبها، فلما استوى عليها، وضم إليه ثيابه، رفع رأسه إلى السماء، فقال: الحمد لله، لم يزد عليها، فقيل له في ذلك، فقال: وهل تركت أو أبقيت شيئا، جعلت الحمد كله لله عز وجل (١).

وروى صاحب الكامل عن أبي جعفر الباقر، عليه السلام، قال: لما حضرت الوفاة علي بن الحسين عليه السلام، أبي، ضمني إلى صدره، ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي (أي الإمام الحسين) يوم قتل، وبما ذكر لي أن أباه عليا عليه السلام، أوصاه به: يا بني عليك ببذل نفسك، فإنه لا يسر أباك بذل نفسه، حمر النعم (٢).

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: أخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد (الصادق) عن أبيه (الباقر): أن عقيل بن أبي طالب، دخل على معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية: هذا عقيل وعمه أبو لهب، فقال عقيل: هذا معاوية، وعمته حمالة الحطب (٣)، وزاد " ابن عبد ربه " في عقده الفريد: ثم قال يا معاوية: إذا دخلت النار، فاعدل ذات اليسار، فإنك ستجد عمي أبا لهب مفترشا عمتك حمالة الحطب، فانظر أيهما خيرا، الفاعل أو المفعول به (٤).

وفي نهج البلاغة: قال معاوية - وعنده عمرو بن العاص - وقد أقبل عقيل بن أبي طالب، لأضحكنك من عقيل، فلما سلم قال معاوية: مرحبا برجل عمه أبو لهب، فقال عقيل: وأهلا برجل عمته " حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد " - لأن امرأة أبي لهب، هي أم جميل بنت حرب بن أمية، أخت أبي سفيان بن حرب، وعمة معاوية -.

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١٨٦.

(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٧ / ١٠٨.

(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٠٤ (القاهرة ١٩٦٤).

(٤) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٤ / ٩١ (بيروت ١٩٨٣).

قال معاوية: يا أبا يزيد، ما ظنك بعمك أبي لهب، قال: إذا دخلت النار، فخذ على يسارك، تجده مفترشا عمتك " حمالة الحطب "، أفناكح في النار خير، أم منكوح؟ قال: كلاهما شر، والله (١).

١٣ - الإمام الباقر والعلم:

قال الإمام الباقر: " تعلموا العلم، فإن تعلمه حسنة، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد، وبذله لأهله قربة، وهو ثمار الجنة، وأنس الوحشة، وصاحب في الغربة، ورفيق في الخلوة، ودليل على السراء، وعون على الضراء ".

" وهو دين عند الأخلاء، وسلاح على الأعداء، يرفع الله به قوما فيجعلهم في الخير سادة، وللناس أئمة، يقتدى بأفعالهم، ويقتص آثارهم، ويصلى عليهم كل رطب ويابس، وحيتان البحر وهوامه، وسباع البر وأنعامه ".

فالعالم عند أهل البيت كالأنبياء، إذا نفع الناس بعلمه، تصلي عليه سكان الأرض والسماء، حتى حيتان البحر، وسباع البر (٢).

١٤ - من كرامات الإمام الباقر:

روى الشبلنجي في نور الأبصار عن أبي بصير قال: قلت يوما للباقر: أنتم ورثة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال: نعم، قلت: ورسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وارث الأنبياء جميعهم، قال: وارث جميع علومهم، قلت: وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: نعم، قلت: فأنتم تقدرون أن تحبوا الموتى، وتبرؤوا الأكمه والأبرص، وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخلون في بيوتهم، قال: نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى، ثم قال: أدن مني يا أبا بصير - وكان أبو بصير مكفوف النظر - قال: فدنوت منه، فمسح بيده على وجهي، فأبصرت السماء

---

(١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٤ / ٩٣.

(٢) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٢٧ بيروت ١٩٨١.

والجبل والأرض، فقال: أتحب أن تكون هكذا تبصر، وحسابك على الله، أو تكون كما كنت، ولك الجنة، قلت: الجنة، فمسح بيده على وجهي، فعدت كما كنت (١).

وفي كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم قال: كنت مع أبي جعفر بن علي الباقر، فمر بنا أخوه " زيد بن علي " فقال أبو جعفر الباقر: أما رأيت هذا ليخرجن بالكوفة، وليقتلن، وليطافن برأسه، فكان كما قال (٢).

وروى أبو الفرج بسنده عن يونس بن جناب قال: جئت مع أبي جعفر (الباقر) إلى الكتاب، فدعى زيدا، ثم اعتنقه، وألصق ببطنه، وقال: أعيذك بالله أن تكون صليب الكناسة (٣).

١٥ - تواضع الإمام الباقر وزهده:

كان التواضع من أبرز صفات الإمام الباقر - كما كان من أبرز صفات أبيه الإمام زين العابدين - وكان تواضع الإمام الباقر مبنيا على نظر ورأي يتصلان بقدر المعرفة الذي يتناسب عكسيا مع الكبر والعجب، ومن ثم فقد كان يقول: " ما دخل قلب ابن آدم شئ من الكبر، إلا نقص من عقله، مثل ما دخله من ذلك، قل أو كثر "، وبدهي أنه إذا صدر من مثل الإمام الباقر مثل هذا القول، فلا بد أن يكون مثلا أعلى يطمح إليه، ومبدأ يطبق، وهكذا اختط الإمام الباقر للزهد أساسا من أسسه، وهو التواضع (٤).

---

(١) نور الأبصار ص ١٤٤.

(٢) نور الأبصار ص ١٤٤، وانظر عن صلب الإمام زيد بن علي (المقريزي: النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم ص ٣١، مروج الذهب للمسعودي ٢ / ١٩١، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٥ / ٢٤٦، وفيات الأعيان ٦ / ١١٠ شذرات الذهب ١ / ١٥٨ - ١٥٩، تاريخ الطبري ٧ / ١٨٩، محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١١٨، أبو زهرة: الإمام زيد، عبد الرزاق الموسوي: الشهيد زيد).

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ص ٩٥ (النجف ١٣٥٣ ه).

(٤) الشيبي: المرجع السابق ص ١٧٥.

وكان فريد الدين العطار يرى أن تواضع الإمام الباقر إنما كان مقاما ساميا لا يصل إليه أصحاب الكبر والجبروت، فقد نقل أنه سأل أحد خواص الإمام الباقر، كيف يقضي الإمام ليله؟ فقال: " إذا حل الليل، وفرغ من ترديد الأوراد، قال في صوت عال، إلهي وسيدي حل الليل، وآنت ولاية تصرف الملوك، وظهرت النجوم، ونام الخلائق " (١)، وهكذا ارتفع التواضع في نظر الصوفية، حتى صار جلالا بعد جلال السلطان المادي (٢).
على أن الدكتور النشار إنما يذهب إلى أن الكثير من المتصوفة والزهاد يحاولون وضع الإمام الباقر في سلسلة الزهد والتصوف، كما حاولوا أن يثبتوا انتقال العلم اللدني إليه خلال البشارة بمولده، ولكن تحليل كلمة " الباقر " نفسها يثبت العكس تماما، فقد قيل له الباقر، لأنه بقر العلم، أي شقه، وعرف أصله وخفيه، وتوسع فيه، والمقصود بالعلم هنا " علم الحديث " واستفاضت الآثار فيه أنه محدث وتابعي، ومدني تابعي ثقة، بل ينقل ابن سعد عنه قوله: " إنا آل محمد نلبس الخز واليمنة والمعصفرات والممصرات " (٣).
وهذا يعني - فيما يرى الدكتور النشار - أنه لم يتخذ الزهد نظاما معينا، له قواعده وأصوله، وقد ذكره أيضا زهد الغلاة، إنه إنما كان محدثا عابدا أو زاهدا، على طريقة أهل السنة، على أننا في الوقت نفسه نرى نصا يقدمه " ابن كثير " يقول فيه: " وسمي الباقر لبقره العلوم واستنباطه الحكم، وكان ذاكرا خاشعا صابرا، وكان من سلالة النبوة رفيع النسب، عالي الحسب، وكان عارفا بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضا عن الجدال والخصومات " (٤).
وعلينا أن نفسر النص في حدوده، وهي حدود " عالم الحديث "، فعالم

---

(١) صفة الصفوة ٢ / ٦٠.
(٢) الشيبي: المرجع السابق ص ١٧٥.
(٣) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦، النشار: المرجع السابق ص ١٤٢.
(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٣٤٨.

الحديث الحق - سنيا كان أو شيعيا - له زهده الخاص، وهو يختلف عن زهد غيره، فهو يلتزم بالقرآن والسنة، ولا تنبثق معاني زهده من أي مؤثر خارجي - سواء أكان مسيحيا أو هنديا أو فارسيا أو غنوصيا - إنه يتحرى الحديث تحريا علميا، ولا يتعبد إلا على ما ثبت له صحته، فالذكر والخشوع والصبر، ومعرفة الخطرات، وكثرة البكاء والعويل، كانت سمة لمحدثي الإسلام الحقيقيين، بل كانت سمة للمعتزلة أيضا، وكانوا يتحرون الدقة في الأخذ بالأحاديث.

وهكذا كان زهد الإمام الباقر، هو الزهد الذي عرفه علماء الحديث في الإسلام، وعرفوا به، وهو زهد من نوع خاص يبعده عن حركة الزهد العام التي عاصرته، بل إننا لا نرى كلمة الزهد في كلماته أو حتى في حكمه، وكذا نراه يتكلم عن الخطرات، وهي ليست من نوع خطرات النفس عند الزهاد والصوفية، وإنما يفسر بها اليقين، فيقول " الإيمان ثابت في القلب، واليقين خطرات، فيمر اليقين بالقلب، فيصير كأنه زبر الحديد، ويخرجه منه فيصير كأنه خرقة بالية، وما دخل قلبا شئ من الكبر، إلا نقص من عقله بقدره أو أكثر (١).

ثم هو يتابع أباه في سن البكاء للمسلمين، فيقول: ما اغرورقت عينا عبد بمائها إلا حرم الله وجه صاحبها على النار، فإن سالت على الخدين لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، وما من شئ إلا وله جزاء إلا الدمعة، فإن الله يكفر بها بحور الخطايا، ولو أن باكيا بكى من خشية الله في أمة، رحم الله تلك الأمة (٢).

هذا وقد استغل الصوفية كل هذا، وأدخلوا الإمام الباقر في تيار الزهد العام، ونرى " بشر الحافي " (٣) يقول: سمعت منصور يقول عن الباقر: الغنى

---

(١) النشار: المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ٩ / ٣٥١.

(٣) بشر الحافي: هو أبو نصر بشر بن الحارث، أصله من " مرو "، ولد عام ١٥٠ ه‍ (٧٦٧ م)، وتوفي عام ٢٢٧ ه‍ (٨٤١ م) عاش في بغداد، وكان زاهدا مشهورا، ومحدثا ثقة، دفعته رغبته عن رواية الحديث إلى دفن كتبه، وأهم آثاره " كتاب التصوف "، وأما أهم مصادر ترجمته (حلية الأولياء ١٨ / ٣٣٦ - ٣٦٠، تاريخ بغداد ٧ / ٦٧ - ٨٠، التهذيب لابن عساكر ٣ / ٢٢٨ - ٢٤٢، التهذيب لابن حجر ١ / ٤٤٤ - ٤٤٥، الأعلام للزركلي ٢ / ٢٦، تاريخ التراث العربي ٤ / ١١٠ - ١١، وفيات الأعيان ١ / ٢٧٤ - ٢٧٧ - بيروت ١٩٧٧).

والفقر يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل أوطناه، وأخيرا يقول الباقر: " والله لموت عالم أحب إلى إبليس، من موت ألف عابد "، وهو بهذا يضع العلم فوق العبادة، والحديث فوق الزهد (١).

١٦ - صفة الإمام الباقر وملبسه:

كان الإمام الباقر ربع القامة، رقيق البشرة، جعد الشعر، أسمر، له خال على خده، ضامر، حسن الصوت، مطرق الرأس (٢).

وروى ابن سعد في طبقاته بسنده عن جابر عن محمد بن علي (الباقر) قال: " إنا آل محمد نلبس الخز واليمنة والمعصفرات والممصرات " (٣)، وعن إسماعيل بن عبد الملك قال: رأيت على أبي جعفر الباقر ثوبا معلما فقلت له، فقال: لا بأس بالإصبعين من العلم بالإبريسم في الثوب (٤)، وعن عمرو بن عثمان عن موهب قال: رأيت على أبي جعفر ملحفة حمراء (٥).

وعن عبد الأعلى أنه رأى محمد بن علي (الباقر) يرسل عمامته خلفه (٦)، وعن جابر قال: رأيت على محمد بن علي (الباقر) عمامة لها علم، وثوبا له علم يلبسه (٧)، وعن حكيم بن حكيم بن حنيف قال: رأيت أبا جعفر متكئا على طيلسان مطوي في المسجد، قال محمد بن عمر: ولم يزل ذلك من فعل الأشراف، وأهل المروءة عندنا، الذين يلزمون المسجد يتكئون على طيالسة

---

(١) النشار: المرجع السابق ص ١٤٤ - ١٤٥، ابن كثير البداية والنهاية ٩ / ٣٥١ (القاهرة ١٩٣٣).
(٢) محمد جواد المغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٢٤ (بيروت ١٩٨١).
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٥ / ٢٣٦ (دار التحرير - القاهرة ١٩٦٠).
(٤) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦.
(٥) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦.
(٦) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٦ - ٢٣٧.
(٧) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧.

مطوية، سوى طيلسانه وردائه الذي عليه (١).
وعن ثوير قال قال أبو جعفر: يا أبا الجهم بم تخضب؟ قلت: بالحناء والكتم، قال: هذا خضابنا أهل البيت (٢).
وعن هارون بن عبد الله بن الوليد المعيصي قال: رأيت محمد بن علي (الباقر) على جبهته وأنفه أثر السجود، وليس بكثير (٣)، وعن زهير عن جابر عن محمد بن علي (الباقر) قال: كان في خاتمي اسمي، فإذا جامعت جعلته في فمي (٤).
١٧ - أولاد الإمام الباقر:
روى ابن سعد في طبقاته: ولد أبو جعفر الباقر: جعفر بن محمد (الصادق) وعبد الله بن محمد، وأمهما " أم فروة " بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وإبراهيم بن محمد، وأمه أم حكيم بنت أسيد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي، وعلي بن محمد، وزينب بنت محمد، وأمهما أم ولد، وأم سلمة بنت محمد، وأمها أم ولد (٥).
وقال أبو نصر البخاري في " سر السلسلة العلوية " ولد محمد الباقر عليه السلام: أربعة بنين وبنتين، درجوا كلهم، إلا أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق، عليه السلام، وإلى الصادق انتهى نسب الباقر وعقبه، فكل من انتسب إلى الباقر عليه السلام، من غير ولده الصادق، فهو كذاب دعي.
وقال العمري في " المجدي " ولد أم سلمة وزينب الصغرى وجعفر الصادق، وعبد الله - أولد وانقرض - وعلي، كانت له بنت، وزيد وعبيد الله بن الثقفية درج (٦).

---

(١) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧.
(٢) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧.
(٣) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧.
(٤) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٣٧.
(٥) طبقات ابن سعد ٥ / ٢٢٥ - ٢٢٦.
(٦) ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٥ (دار مكتبة الحياة).

(٢) الإمام موسى الكاظم

١ - نسب الإمام الكاظم ومولده:

هو الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي بن زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وسيدة نساء العالمين، السيدة فاطمة الزهراء، بنت سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأما أم الإمام الكاظم فهي السيدة " حميدة " البربرية (١).

وهناك في " الأبواء " - على مبعدة ٥٠ كيلا من المدينة في الطريق إلى مكة - حيث توفيت السيدة آمنة، أم سيدنا ومولانا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ودفنت هناك،

هناك، في الأبواء، ولد الإمام الكاظم في شهر صفر عام ١٢٨ ه‍ (٧٤٥ م)، وتوفي ببغداد في عام ١٨٣ ه‍ (٧٩٩ م) (٢).

وقال الخطيب: وكانت ولادته يوم الثلاثاء، قبل الفجر عام ١٢٨ ه‍ (وقيل ١٢٩ ه‍)، وتوفي لخمس بقين من رجب سنة ١٨٣ ه‍، وقيل ١٨٦ ه‍ ببغداد،

---

(١) أنظر عن أهم مصادر ترجمة الإمام الكاظم (تاريخ بغداد ١٣ / ٢٧ - ٣٢، شذرات الذهب ٣٠٤ - ٣٠٥ وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٨ - ٣١٠، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٥ - ٢٢٨، ميزان الاعتدال للذهبي ٣ / ٢٠٩، مقاتل الطالبيين ص ٤٩٩ - ٥٠٥، تاريخ التراث العربي ٣ / ٢٧٩ - ٢٨٠، أعيان الشيعة ٤ / ٨٠ - ١٠١، الإعلام ٨ / ٢٧٠) وأما آثاره (دعاء الجوش الصغير - أدعية الأيام السبعة، مسند بتهذيب أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي - وصيته إلى هشام - إجابات على أسئلة أخيه علي - وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي).

(٢) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي - المجلد الأول - الجزء الثالث - الفقه - الرياض ١٩٨٣ ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

وقيل إنه توفي مسموما، وتوفي في الحبس، ودفن في مقابر " الشونيزيين " خارج القبة، وقبره هناك مشهور يزار، ويعرف عند الشيعة باسم " باب الحوائج "، وعليه مشهد عظيم، فيه قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحد، وهو في الجانب الغربي (١). من بغداد، وتعرف المدينة التي فيها قبره الشريف باسم " الكاظمية " نسبة إليه وهي متصلة ببغداد.

وكان الإمام الكاظم يكنى بأبي الحسن، وأما ألقابه فكثيرة، أشهرها الكاظم، ثم الصابر والصالح والأمين (٢)، وكان - رضوان الله عليه - ربعة، أسمر، شديد السمرة، كث اللحية.

هذا وقد عاصر من خلفاء بني العباس: المهدي (١٥٨ - ١٦٩ ه‍ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) وموسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠ ه‍ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م) وهارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ ه‍ / ٧٨٦ - ٨٠٩ م).

٢ - الإمام الكاظم والشيعة:

لقد حدث خلاف على خلافة الإمام جعفر الصادق بعد موته، بل يبدو أن الانقسام إنما قد بدأ على أيام الإمام الصادق نفسه، إذ أن نفرا من أتباع الصادق قد توقفوا في موت ولده إسماعيل - وهم الذين سيطلق عليهم الإسماعيلية فيما بعد - وتوقف فريق في موت الإمام الصادق نفسه، وهم أتباع " عجلان بن ناووس " وأعلنوا أن الصادق حي لم يمت، ولن يموت حتى يظهر، فيظهر أمره، وهو القائم المهدي، ورووا عنه أنه قال: " لو رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا، فإن صاحبكم صاحب السيف " وقد عرف هؤلاء باسم " الناووسية " (٣).

---

(١) وفيات الأعيان ٥ / ٣١٠.

(٢) نور الأبصار ص ١٤٨.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٦٦ - ١٦٧، أبو خلف القمي: كتاب المقالات ص ٨٠، النوبختي: فرق الشيعة ص ٦٧.

على أن هناك فريقا آخر عرفوا باسم " الأفطحية " وهم الذين نادوا بإمامة " عبد الله الأفطح "، أسن أولاد الإمام الصادق، ونقلوا عن الصادق " الإمامة في أكبر أولاد الإمام " غير أن أهم الفرق تلك التي جعلت الإمامة في الإمام موسى الكاظم، لأنه أعلم أبناء الإمام الصادق، ومن ثم فقد اجتمع عليه وجوه الشيعة ومتكلميهم - وخاصة هشام بن سالم وهشام بن الحكم ومؤمن الطاق وغيرهم -.

وكانت إمامة الإمام كاظم طوال ربع قرن (١٤٨ - ١٨٣ ه)، وقد دخلت فيها الإمامة دورها السري، ودورها العبادي، وانتهى دور الفقه إلى حد ما، فلا نسمع فقها خاصا للإمام الكاظم، فضلا عن الدور الكلامي في عقائد الإمامية، فقد قضى الإمام الكاظم معظم حياته يتنقل من سجن إلى سجن، حيث صب عليه المهدي والرشيد صنوفا كثيرة من العذاب، احتملها الإمام بصبر عجيب، حتى لقب " بالكاظم ".

وكان الإمام الكاظم أقرب إلى جده الأكبر الإمام علي زين العابدين، نقلت عنه أوراد الليل، ودعاؤه المشهور في جوف الليل، ما زال يردده أهل مصر من السنة " عظم الذنب من عندي، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى، يا أهل المغفرة " (١).

٣ - الإمام الكاظم عند أهل السنة:

يقول الشعراني (١٤٩١ - ١٥٦٥ م) في وصف الإمام موسى الكاظم: الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمى لفرط صبره على الحبس والأذى كاظما (٢).

ويقول الخطيب البغدادي في تاريخه: كان موسى يدعى العبد الصالح،

---

(١) النشار: المرجع السابق ص ٢٧٩ - ٢٨١.

(٢) طبقات الشعراني ص ٣٣.

من عباداته واجتهاده، روي أنه دخل مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فسجد سجدة في
أول الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: " عظم الذنب عندي، فليحسن العفو من عندك، يا أهل التقوى، ويا أهل المغفرة "، فجعل يرددها حتى أصبح، وكان سخيا كريما، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار، وكان يصر الصرر ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة (١).
ويقول الشبلنجي: قال بعض أهل العلم: الكاظم هو الإمام الكبير القدر، الأوحد الحجة، الحبر الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما، وهو المعروف عند أهل العراق " بباب الحوائج إلى الله "، وذلك لنجح حوائج المتوسلين به (٣).
ويقول الصبان: وكان موسى الكاظم معروفا عند أهل العراق " بباب قضاء الحوائج عند الله "، وكان من أعبد زمانه، ومن أكابر العلماء الأسخياء (٣).
ويقول الحافظ ابن كثير: هو أبو الحسن الهاشمي، ويقال له الكاظم، ولد سنة ثمان أو تسع وعشرين ومائة، وكان كثير العبادة والمروءة، إذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه أرسل إليه بالذهب والتحف (٤).
ويقول أبو الفداء - عن ورع الإمام وزهده - وتولى خدمته في الحبس أخت السندي، وحكت عنه أنه كان إذا صلى العتمة، حمد الله ومجده، ودعا إلى أن يزول الليل، ثم يقوم يصلي حتى يطلع الصبح، فيصلي الصبح، ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس، ثم يقعد إلى ارتفاع الضحى، ثم يرقد ويستيقظ قبل الزوال، ثم يتوضأ ويصلي العصر، ثم يذكر الله تعالى حتى يصلي المغرب، ثم

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٢٧، وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٨.
(٢) نور الأبصار ص ١٤٨.
(٣) إسعاف الراغبين ص ٢٢٦.
(٤) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

يصلي ما بين المغرب والعتمة، فكان هذا دأبه إلى أن مات رحمه الله تعالى، وكان يلقب " الكاظم " لأنه كان يحسن إلى من يسئ إليه (١).
ويقول صاحب الفصول المهمة: كان موسى الكاظم، رضي الله عنه، أعبد أهل زمانه، وأعلمهم وأسخاهم كفا، وأكرمهم نفسا، وكان يتفقد فقراء المدينة، فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلا وكذلك النفقات، ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك، ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته، وكان كثيرا ما يدعو " اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب " (٢).
ويقول المحدث الفقيه المحب الطبري في صواعقه: موسى الكاظم:
وارث أبيه الصادق علما ومعرفة، وكمالا وفضلا، سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفا عند أهل العراق " بباب قضاء الحوائج عند الله "، وكان أعبد أهل زمانه، وأسخاهم (٣).
ويقول " ابن عنبة ": " وكان أسود اللون، عظيم الفضل، رابط الجأش، واسع العطاء، لقب ب‍ " الكاظم " لكظمه الغيظ وحلمه، وكان يخرج في الليل، وفي كمه صرر من الدراهم، فيعطي من لقيه، ومن أراد بره، وكان يضرب المثل بصرة موسى، وكان أهله يقولون: عجبا لمن جاءته صرة موسى فشكا القلة " (٤).
وأهدى إليه مرة عبد عصيدة، فاشتراه واشترى المزرعة التي هو فيها بألف دينار، وأعتقه ووهب له المزرعة (٥).

---

(١) أبو الفداء المختصر في أخبار البشر ٢ / ١٥ - ١٦، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٢ / ١٥٥.
(٢) نور الأبصار ص ١٥١.
(٣) المحب الطبري: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص ٣٠٧ (بيروت ١٩٨٣).
(٤) ابن عنبة: المرجع السابق ص ٢٢٦.
(٥) ابن كثير: المرجع السابق ص ١٨٣.

٤ - الإمام الكاظم والمهدي العباسي:
روى ابن كثير أن الخليفة العباسي المهدي (١٥٨ - ١٦٩ ه‍ / ٧٧٥ - ٧٨٥ م) استدعى الإمام موسى الكاظم إلى بغداد، فحبسه، فلما كان في بعض الليالي رأى المهدي الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - وهو يقول له: يا محمد: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) (١)، فاستيقظ مذعورا، وأمر به فأخرج من السجن ليلا، فأجلسه وعانقه وأقبل عليه، وأخذ عليه العهد أن لا يخرج عليه، ولا على أحد من أولاده، فقال: والله ما هذا من شأني، ولا حدثت فيه نفسي، فقال: صدقت، وأمر له بثلاثة آلاف دينار، وأمر به فرد إلى المدينة، فما أصبح الصباح إلا وهو على الطريق، فلم يزل بالمدينة حتى خلافة الرشيد (٢).
على أن " ابن عنبة " إنما ينسب هذه الرواية إلى عهد الخليفة موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠ ه‍ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م) فيقول: " وقيض عليه موسى الهادي وحبسه، فرأى علي بن أبي طالب، عليه السلام، في نومه يقول له: (يا موسى، هل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم)، فانتبه من نومه، وقد عرف أنه المراد، فأمر بإطلاقه، ثم تنكر له من بعد ذلك، فهلك قبل أن يوصل إلى الكاظم عليه السلام أذى (٣).
ويقول الخطيب البغدادي: وكان يسكن المدينة فأقدمه المهدي العباسي بغداد وحبسه، فرأى في نوم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وهو يقول: يا محمد، (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض، وتقطعوا أرحامكم)، قال الربيع: فأرسل إلي ليلا، فراعني ذلك، فجئته، فإذا هو يقرأ هذه الآية، وكان أحسن الناس صوتا، وقال: علي بموسى بن جعفر، فجئته به فعانقه

---

(١) سورة محمد: آية ٢٢.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.
(٣) ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٦.

وأجلسه إلى جنبه، وقال: يا أبا الحسن، إني رأيت أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب، رضي الله عنه، في النوم، يقرأ علي كذا، فتؤمنني أن لا تخرج
علي، أو على أحد من أولادي، فقال: والله لا فعلت ذلك، ولا هو من شأني،
قال: صدقت، اعطه ثلاثة آلاف دينار، ورده إلى أهله، إلى المدينة، قال
الربيع: فأحكمت أمره ليلا، فما أصبح إلا وهو في الطريق، خوف العوائق (١).
٥ - الإمام الكاظم وهارون الرشيد:
يقول الشبلنجي في نور الأبصار: يحكى أن هارون الرشيد (١٧٠ -
١٩٣ ه / ٨٧٦ - ٨٠٩ م) سأل الإمام موسى الكاظم يوما فقال: كيف قلتم نحن
ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأنتم بنو علي، وإنما ينسب الرجل إلى جده
لأبيه، دون
جده لأمه؟.
فقال الإمام الكاظم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن
الرحيم (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك
نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى) (٢)، وليس لعيسى أب، وإنما ألحق
بذرية الأنبياء من قبل أمه، وكذلك ألحقنا بذرية النبي (صلى الله عليه وسلم)، من قبل
أمنا فاطمة.
ثم قال الإمام الكاظم: وزيادة أخرى يا أمير المؤمنين، قال الله عز وجل:
(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم
ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم نبتهل) (٣)، ولم يدع رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)،
عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين، رضي الله عنهم، وهم
الأبناء (٤).

---

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٠ - ٣١، وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٨ - ٣٠٩.
(٢) سورة الأنعام: آية ٨٤ - ٨٥.
(٣) سورة آل عمران: آية ٦١.
(٤) الشبلنجي: نور الأبصار ص ١٤٨ - ١٤٩.

ويروي الشعبي (أبو عامر بن شرحيل ١٩ - ١٠٣ ه / ٦٤٠ - ٧٢١ م) أنه
كان بواسط، فحضر صلاة العيد مع الحجاج الثقفي، فدعاه وقال له: هذا يوم
أضحى، وقد أردت أن أضحي برجل من العراق، وأحب أن تسمع لقوله، لتعلم
أني أصيب الرأي فيما أفعل، فقلت: أيها الأمير، كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، يضحي
بكبش، فاستن أنت بسنته (صلى الله عليه وسلم)، قال: إذ سمعت ما يقول صوبت رأيي، فلما
أحضروه، فإذا هو " يحيى بن يعمر " (١) فاغتممت غما شديدا ثم قال له
الحجاج: أنت فقيه أهل العراق، قال: أنا من فقهائهم. قال الحجاج: كيف
زعمت أن الحسن والحسين من ذرية رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟ قال يحيى: ما أنا بزاعم
ذلك، بل قائله بحق، قال الحجاج: وأي حق، قال يحيى: كتاب الله نطق
بذلك، قال: لعلك تريد قوله تعالى (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من
العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، ونساءنا ونساءكم، وأنفسنا وأنفسكم،
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (٢)، وأن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خرج للمباهلة،
ومعه علي والحسن والحسين وفاطمة (٣)، قال يحيى: وإنها والله حجة بليغة (٤)،
ولكني مع ذلك لا أحتج بها.

____

(١) هو أبو سعيد يحيى بن يعمر العدواني النحوي، كان تابعيا، لقي ابن عباس وابن عمر وغيرهما،
وأخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي، وروى عن قتادة وإسحاق بن سويد، وهو أحد قراء البصرة،
وكان عالما بالقرآن والنحو ولغات العرب، وتولى القضاء في " مرو "، وكان ينطق العربية
المحضة، واللغة الفصحى طبيعية فيه من غير تكلف، وكان شيعيا من القائلين بتفضل أهل البيت
من غير تنقيص لذي فضل من غيرهم، توفي عام ١٢٨ ه أو ١٢٩ ه، وأما أهم مصادر ترجمته
(وفيات الأعيان ٦ / ١٣٧ - ١٧٦، شذرات الذهب ١ / ١٧٥ - ١٧٦، معجم الأدباء ٢٠ / ٤٢، غاية
النهاية ٢ / ٣١٨، مرآة الجنان ١ / ٢٧١، تهذيب التهذيب ١١ / ٣٠٥، بغية الوعاة ص ٤١٧،
النجوم الزاهرة ١ / ٢١٧، أخبار النحويين البصريين ص ٢٢ طبقات الزبيدي ص ٢٢).

(٢) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٣) أنظر: صحيح مسلم ١٥ / ١٧٦، صفوة التفاسير ١ / ٢٠٦، تفسير القرطبي ١٣٤٥ - ١٣٤٧،
تفسير ابن كثير ١ / ٥٥٥، المستدرك للحاكم ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤.

(٤) قال الزمخشري في الكشاف في تفسيره لآية المباهلة هذه (آل عمران: آية ٦١) أنه ليس هناك من
دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، عليهم
السلام، لأن الآية لما نزلت دعاهم النبي (صلى الله عليه وسلم)، فاحتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، ومشت
فاطمة خلفه، وعلي خلفهما، وهو يقول: أنا إذا دعوت فأمنوا، فقال الأسقف: يا معشر
النصارى إني لأرى وجوها، لو شاءت أن يزيل الله جبلا من مكانه، لأزاله بها، فلا تباهلوا

فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة، وصالحوه على الجزية.
ثم يقول الزمخشري: وخص الأبناء والنساء بالمباهلة، لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب،
وفيه دليل على أن أولاد فاطمة، عليها السلام، وأبناءهم يسمون أبناء النبي، وينسبون إليه نسبة
صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة.
وقال الرازي في التفسير الكبير: إن آية المباهلة دالة على أن الحسن والحسين كانا ابني
النبي (صلى الله عليه وسلم)، فلقد وعد النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين،
فوجب أن يكون ابنيه.
وقال جواد مغنية: أن السنة والشيعة اتفقت على أن المراد بأنفسنا في الآية: النبي (صلى الله عليه وسلم)،
وعلي بن أبي طالب وبنسائنا فاطمة، وبأبنائنا: الحسن والحسين.
وقال السيد المرتضى: إن آية المباهلة تدل على أن ابن البنت ابن حقيقي، وحتى لو لم يكن
كذلك، بالقياس لغير النبي (صلى الله عليه وسلم) فإن الحسن والحسين هما ابنا سيدنا رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) حقيقة، وهذا
خاص بالنبي (صلى الله عليه وسلم) بنص القرآن والسنة واستعمال الناس جميعا، وفي صحيح البخاري أن
النبي (صلى الله عليه وسلم) قال عن الحسن: ابني هذا سيد.
وقال ابن قيم الجوزية: إن المسلمين مجمعون على دخول أولاد فاطمة رضي الله عنها في
ذرية النبي (صلى الله عليه وسلم) المطلوب لهم من الله الصلاة، لأن أحدا من بناته لم يعقب غيرها، فمن
انتسب
إليه (صلى الله عليه وسلم) من أولاد بنته، فإنما هو من جهة فاطمة، رضي الله عنها، خاصة، ولهذا قال النبي
(صلى الله عليه وسلم)
في الحسن ابن ابنته " إن ابني هذا سيد " فسماه ابنه، ولما نزلت آية المباهلة (آل عمران: آية ٦١)
دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) فاطمة وحسنا وحسينا وعليا رضي الله عنهم، وخرج للمباهلة.
ثم يقول: وأما دخول فاطمة رضي الله عنها في ذرية النبي (صلى الله عليه وسلم)، فلشرف هذا الأصل
العظيم،
والوالد الكريم، الذي لا يدانيه أحد من العالمين، سرى ونفذ إلى أولاد البنات، لقوته وجلالته
وعظم قدره. (صحيح البخاري ٣ / ٢٤٣، ٥ / ٣٢، تفسير الكشاف ١ / ١٤٧ - ١٤٨)، ابن قيم
الجوزية: جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام ص ١٥٠ - ١٥٣ (القاهرة ١٩٧٢)،
محمد جواد مغنية: فضائل علي ص ١٥ - ٢٠).

قال: إن جئت بغيرها من كتاب الله، فلك عشرة آلاف درهم، وإلا قتلتك، وكنت في حل من دمك، قال يحيى: نعم وتلا الآيتين ٨٤، ٨٥ من سورة الأنعام (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى.... وإلياس كل من الصالحين) فترك كلمة " عيسى ".
فقال الحجاج: (ومن عجب أنه كان يحفظ القرآن، وكان أبوه كذلك حيث كان يحفظ الصبيان القرآن) وأين تركت عيسى؟ قال يحيى: ومن أين كان عيسى

من ذرية إبراهيم، ولا أب له؟ قال الحجاج: من قبل أمه. قال يحيى: أيكون
عيسى من ذرية إبراهيم بواسطة أمه مريم، وبينه وبينه ما تعلم من الأجداد (ما
يقرب من عشرين قرنا فيما نرى) (١)، ولا يكون الحسن والحسين من ذرية
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بواسطة أمهما فاطمة، وهي ابنته بلا واسطة، وكأنما
ألقم
الحجاج حجرا، فقال: أعطوه عشرة آلاف درهم، لا بارك الله له فيها (٢).
وروى الحافظ ابن كثير في تفسيره بسنده عن الشعبي عن جابر (جابر بن
عبد الله الأنصاري رضي الله عنه) قال: قدم على النبي (صلى الله عليه وسلم)، العاقب
والطيب،
فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة، قال: فغدا رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)،
فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما، فأبيا أن يجيبا وأقرا
بالخراج، قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " والذي بعثني بالحق لولا أن
قالا: لا،
لأمطر عليهم الوادي نارا "، قال جابر: وفيهم نزلت (ندع أبناءنا أبناءكم
ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) قال جابر: " أنفسنا وأنفسكم " رسول
الله (صلى الله عليه وسلم)، وعلي بن أبي طالب، و " أبناءنا " الحسن والحسين،
ونساءنا فاطمة
(رواه الحاكم في المستدرك، وأبو داود الطيالسي، كما روي عن ابن عباس
والبراء نحو ذلك) (٣).
وفي " عيون أخبار الرضا للصدوق " أن الرشيد قال للإمام الكاظم: كيف
جوزتم للناس أن ينسبوكم إلى رسول الله، ويقولوا لكم: يا أبناء رسول الله،
وأنتم بنو علي، وإنما ينسب المرء إلى أبيه، لا إلى أمه؟.
فقال له الإمام: لو أن النبي (صلى الله عليه وسلم) نشر، وخطب إليك كريمتك، هل
كنت

---

(١) أنظر عن التأريخ لسيدنا إبراهيم عليه السلام في الفترة (١٩٤٠ - ١٧٦٥ ق. م) (محمد بيومي
مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم ١ / ١٢٣ - ١٢٧).
(٢) أنظر روايات أخرى عن القصة (تفسير ابن كثير ٢ / ٢٤٨ - ٢٤٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد
٥ / ٢٨١، وفيات الأعيان: ٦ / ١٧٤، شذرات الذهب ١ / ١٧٥ - ١٧٦).
(٣) تفسير ابن كثير ١ / ٥٥٥ (بيروت ١٩٨٦)، المستدرك للحاكم ٢ / ٥٩٣ - ٥٩٤.

تجيبه؟ قال الرشيد: سبحان الله، وكيف لا أجيبه؟.
قال الإمام: ولكنه لا يخطب إلي، ولا أجيبه، قال الرشيد: ولم؟
قال الإمام: لأنه ولدني، ولم يلدك.
ولو تدبر الرشيد القرآن الكريم لم يسأل الإمام هذا السؤال، وينكر عليه
هذا الإنكار، فإن الله سبحانه وتعالى قد سماهم " أبناء الرسول " قبل أن
يسميهم بذلك أحد من الناس، حيث قال: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم، فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم، ثم
نبتهل
فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (١).
وقد اتفق المسلمون بكلمة واحدة أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، دعا عليا وفاطمة
والحسن والحسين، فكان " علي " نفس النبي، وكانت " فاطمة " نساءه، وكان
" الحسن والحسين " أبناءه، فإن كان الرشيد وغيره ممن اعترض على نسبة
آل البيت إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم)، فهو اعتراض ورد على الله -
تعالى الله عن
ذلك علوا كبيرا (٢).
وروى ابن عمران العبدي في " العفو والاعتذار ": أن الرشيد سأل
يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أينا أقرب إلى
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال يحيى: يا أمير المؤمنين إن الطينة واحدة،
والنسب واحد،
وأنا أسألك لما أعفيتني من الجواب في هذا، فحلف بالعتق والطلاق
والصدقة (٣)، لا يعفيه، فقال: يا أمير المؤمنين، ليس من يمين إلا ولها كفارة،
وأنا أسأل أمير المؤمنين بحق الله، وحق رسوله، وبقرابته منه لما أعفاني، قال:
قد حلفت، هبني أحتال لكفارة اليمين في المال والرقيق، فكيف الحيلة في

---

(١) سورة آل عمران: آية ٦١.
(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٣٨.
(٣) العتق: أن يعتق رقيقه وجواريه، والصدقة: أن يخرج عن ماله كله.

الطلاق وبيع أمهات الأولاد؟ قال يحيى: إن في نظر أمير المؤمنين، وتفضله ما
يصلح هذا، قال: لا والله، لا أعفيك.
قال يحيى: أما إذا كان ذاك، فنشدتك الله، لو بعث فينا رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)،
أفكان له أن يتزوج فيكم؟ قال: نعم، قال: أفكان له أن يتزوج فينا؟ قال: لا،
قال: فهذه، فوثب الرشيد عنه، وقام إلى غير مجلسه.
قال: وخرجنا - والفضل بن الربيع ساكت ينفخ، ثم قال لي (أي
لعبد الله بن محمد بن زبير، وقد حضر المجلس) أسمعت أعجب مما كنا فيه
قط، يقول (أي الرشيد) ليحيى: أينا أحسن وجها؟ وأينا أسخى نفسا، وأينا
أقرب إلى رسول لله (صلى الله عليه وسلم)، والله لوددت أني فديت هذا المجلس
بشطر ما
أملك (١).
وفي تفسير القرطبي أن " أبناءنا " في الآية (آل عمران: ٦١) دليل على أن
أبناء البنات يسمون أبناء، وذلك أن النبي (صلى الله عليه وسلم) جاء بالحسن والحسين
وفاطمة
تمشي خلفه، وعلي يمشي خلفهما، وهو يقول لهم: " إن أنا دعوت فأمنوا "،
وهو معنى قوله: " ثم نبتهل " أي نتضرع في الدعاء (٢).
وفي عيون أخبار الرضا للصدوق: أن المأمون قال: ما زلت أحب أهل
البيت، ولكنه أظهر للرشيد بغضهم تقربا إليه، فلما حج الرشيد كنت معه، ولما
كان بالمدينة دخل عليه الإمام موسى بن جعفر الكاظم، فأكرمه، وجثى على
ركبتيه، وعانقه يسأله عن حاله وعياله، ولما قام الإمام نهض الرشيد، وودعه
بإجلال واحترام، فلما خرج سألت أبي، وقلت له: من هذا الذي فعلت معه

---

(١) أبو الحسن محمد بن عمران العبدي: العفو والاعتذار ٢ / ٥٧٢ - ٥٧٥ (تحقيق عبد القدوس
أبو صالح - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٩٨١).
(٢) تفسير القرطبي ص ١٣٤٦.

شيئا لم تفعله بأحد سواه؟، فقال: هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر، فإن أردت العلم الصحيح فعند هذا (١).
وهكذا عانق الرشيد الإمام الكاظم وأكرمه، وجلس متأدبا بين يديه، وشهد له بأنه وارث علم النبيين ولكن ما جدوى ذلك كله: إن علم النبيين لم يشفع للإمام الكاظم عند هارون الرشيد، حين رأى من حب الناس، وتعلقهم به، ما رأى، فاستعرت في قلبه نيران الحقد، وسيطرت عليه الأنانية، فقتل من أبناء النبيين ما قتل، وما ذنب الإمام الكاظم إذا أحب الناس العلم وأهله، والحق ومن انتصر له.
إن الإمام الكاظم لم يخرج على حاكم، ولا دعا أحدا إلى مبايعته ولم يحرك ساكنا ضد الرشيد ولا غيره، وكل ذنبه - عند أقربائه بني العباس - أنه وارث علم النبيين، وأنه إمام حق وهدى، وغيره إمام باطل وضلال (٢). وروى الصبان في " إسعاف الراغبين " لما اجتمع الرشيد والإمام الكاظم في المدينة المنورة أمام الوجه الشريف (في الروضة الشريفة بالمسجد النبوي الشريف)، قال الرشيد: " سلام عليك يا ابن عم "، وقال موسى: " السلام عليك يا أبة "، فلم يحتملها الرشيد، فحمله إلى بغداد مقيدا، فلم يخرج من حبسه إلا مقيدا ميتا مسموما (٣).
وفي رواية الحافظ ابن الكثير: لما حج الرشيد ودخل ليسلم على قبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، ومعه موسى بن جعفر الكاظم، فقال الرشيد: السلام عليك يا
رسول الله، يا بن العم، فقال موسى الكاظم: السلام عليك يا أبة، فقال الرشيد: هذا هو الفخر يا أبا الحسن، ثم لم يزل ذلك في نفسه، حتى استدعاه

---

(١) الصدوق: عيون أخبار الرضا ص ١٩٣ (ط ١٣٧٧)، محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١٦١.
(٢) نفس المرجع السابق ص ١٦٢.
(٣) الصبان: إسعاف الراغبين ص ٢٢٧.

في سنة تسع وستين وسجنه، فأطال سجنه، فكتب إليه موسى رسالة يقول فيها:
" أما بعد يا أمير المؤمنين، إنه لم ينقض عني يوم من البلاء، إلا انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون " (١).
ومن المعروف أن الرشيد كان قد أرسل جلاوزته إلى الإمام الكاظم،
وكان يتعبد عند قبر جده (صلى الله عليه وسلم) فأخرجوه منه وقيدوه، وأرسله الرشيد إلى البصرة
- وكان واليها عيسى بن جعفر بن المنصور العباسي - فحبسه عنده سنة، ثم كتب عيسى إلى الرشيد أن خذه مني، وسلمه إلى من شئت، وإلا أخليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة، فما قدرت على ذلك، فحبسه ببغداد عند
" الفضل بن الربيع "، ثم عند " الفضل بن يحيى "، ثم عند " السندي بن شاهك "، وأخيرا تخلص منه بالسم، وقيل: إن السندي لفه على بساط، وقعد الفراشون على وجهه، فانتقل إلى ربه خنقا (٢).
ويروي اليعقوبي أن " السندي بن شاهك " أحضر مسرورا الخادم، وأحضر القواد والكتاب والهاشميين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيين، ثم كشف عن وجهه، فقال لهم: أتعرفون هذا؟ قالوا: نعرفه حق معرفته، هذا موسى بن جعفر، فقال هارون: أترون أن به أثرا، وما يدل على اغتياله؟، قالوا: لا، ثم غسل وكفن وأخرج ودفن في مقابر قريش في الجانب الغربي (٣).
ويقول " ابن عنبة ": ولما ولي هارون الرشيد الخلافة أكرمه وأعظمه، ثم قبض عليه وحبسه عند الفضل بن يحيى، ثم أخرجه من عنده فسلمه إلى
" السندي بن شاهك " ومضى الرشيد إلى الشام، فأمر يحيى بن خالد السندي بقتله، فقيل إنه سم، وقيل بل غمر في بساط ولف حتى مات، ثم أخرج للناس

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.
(٢) الشيعة والحاكمون ص ١٦٢.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١٤.

وعمل محضر أنه مات حتف أنفه، وترك ثلاثة أيام على الطريق، يأتي من يأتي فينظر إليه، ثم يكتب في المحضر، ودفن في مقابر قريش (١).

ويذهب " ابن شهرآشوب " إلى أن الرشيد إنما كان يريد إرجاع " فدك " إلى موسى الكاظم، وكان موسى يأبى ذلك، ولما ألح عليه الرشيد، طلب موسى أن يأخذها بحدودها، ولما سأله الرشيد عن حدودها قال: الحد الأول عدن، والحد الثاني سمرقند، والحد الثالث إفريقية، والحد الرابع سيف البحر، مما يلي الخزر وأرمينيا، فغضب الرشيد وقال: فلم يبق لنا شئ، فتحول عن مجلسي، فعند ذلك عزم الرشيد على قتله (٢).

فإذا كانت رواية ابن شهرآشوب صحيحة، فهذا يعني أن الإمام الكاظم يرى أنه صاحب حق في الخلافة، لأنه ذكر أمصار الخلافة العباسية، وعلى أية حال، فإن رواية الصدوق إنما تشير إلى أن العباسيين إنما كانوا يضيقون على آل البيت، ويقلون من أعطياتهم، لئلا يلتف الأنصار من حولهم، ويروى أن الرشيد قد أعطى الإمام الكاظم مائتي دينار، بينما أعطى غيره خمسة آلاف دينار، ولما سأله الفضل بن الربيع عن ذلك، قال الرشيد: لو أعطيت هذا، ما كنت أمنته أن يضرب وجهي غدا بمائة ألف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا، ومواليه، أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم " (٣).

ويروي أبو الفرج الأصفهاني في " مقاتل الطالبيين " جريمة قتل الإمام موسى الكاظم - بعد إسنادها إلى رواتها - فيقول: " كان السبب في أخذ موسى بن جعفر الكاظم، عليه السلام، أن الرشيد جعل ابنه محمدا في حجر " جعفر بن الأشعث " فحسده " يحيى بن خالد بن برمك " على ذلك، وقال: إن

---

(١) ابن عنبة: المرجع السابق ص ٢٢٦.

(٢) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٣٢٠ - ٣٢١، سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص ص ٢٥٩ - ٣٦٠.

(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا ١ / ١٧٥ - ٧٦، نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ٢٣٦.

أفضت الخلافة له، زالت دولتي ودولة ولدي، فاحتال على " جعفر بن محمد "
وكان يقول بالإمامة، حتى داخله وأنس به، وأسر إليه، وكان يكثر غشيانه في
منزله، فيقف على أمره ويرفعه إلى الرشيد، ويزيد عليه في ذلك بما يقدم في
قلبه ".
ثم قال يوما لبعض ثقاته: أتعرفون لي رجلا من آل أبي طالب، ليس
بواسع الحال، يعرفني ما أحتاج إليه من أخبار موسى بن جعفر (الكاظم)، فدل
على " علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد " فحمل إليه يحيى بن خالد مالا،
وكان موسى الكاظم يأنس إليه ويصله، وربما أفضى إليه بأسراره.
فلما طلب ليشخص به، أحس موسى عليه السلام بذلك، فدعاه فقال:
إلى أين يا ابن أخي، قال: إلى بغداد، قال: وما تصنع في بغداد، قال: علي
دين، وأنا مملق، قال: فإني أقضي دينك، وأفعل بك وأصنع، فلم يلتفت إليه،
فعمل على الخروج، فاستدعاه أبو الحسن موسى عليه السلام، فقال له: أنت
خارج، فقال له: نعم، لا بد لي من ذلك، فقال له: أنظر يا ابن أخي،
واتق الله، لا تؤتم أولادي، وأمر له بثلاثمائة دينار، وأربعة آلاف درهم ".
قالوا: فخرج علي بن إسماعيل، حتى أتى يحيى بن خالد، فتعرف منه
خبر موسى بن جعفر عليه السلام، فرفعه إلى الرشيد وزاد فيه، ثم أوصله إلى
الرشيد فسأله عن عمه، فسعى به إليه، فعرف يحيى جميع خبره وزاد عليه،
وقال له: إن الأموال تحمل إليه من المشرق والمغرب، وأن له بيوت أموال،
وأنه اشترى ضيعة بثلاثين ألف دينار، فسماها " اليسيرة "، وقال له صاحبها، وقد
أحضر له المال، لا آخذ هذا النقد، ولا آخذ إلا نقدا كذا وكذا، فأمر بذلك المال
فرد، وأعطاه ثلاثين ألف دينار من النقد الذي سئل بعينه "
" فرفع ذلك إلى الرشيد كله، فأمر له بمائتي ألف درهم، يسبب له على
بعض النواحي، فاختار كور المشرق، ومضت رسله لقبض المال، ودخل هو في
بعض الأيام إلى الخلاء، فخرت حشوته كلها، فسقطت وجهدوا في ردها، فلم

يقدروا، فوقع لما به، وجاءته المال، وهو ينزع، فقال: وما أصنع به وأنا أموت ".
" وحج الرشيد في تلك السنة، فبدأ بقبر النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا رسول الله،
إني أعتذر إليك من شئ أيد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنه يريد التشتت بين أمتك، وسفك دمائها ثم أمر به فأخذ من المسجد، فأدخل عليه، وأخرج من داره بغلان عليهما قبتان مغطتان هو في إحداهما، ووجه مع كل واحد منهما خيلا، فأخذ بواحدة على طريق البصرة، والأخرى على طريق الكوفة ليعمي على الناس أمره ".
" وكان موسى عليه السلام في التي مضت إلى البصرة، فأمر الرسول أن يسلمه إلى " عيسى بن جعفر المنصور " - وكان على البصرة حينئذ - فمضى به فحبسه عنده سنة، ثم كتب إلى الرشيد: أن خذه مني، وسلمه إلى من شئت، وإلا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة، فما أقدر على ذلك، حتى أني لأتسمع عليه إذا دعا، لعله يدعو علي أو عليك، فما أسمعه يدعو إلا لنفسه، يسأل " الله الرحمة والمغفرة ".
" فوجه من تسلمه منه، وحبسه عنه الفضل بن الربيع ببغداد، فبقي عنده مدة طويلة، وأراد الرشيد على شئ من أمره فأتى، وكتب إليه ليسلمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلمه منه وأراد ذلك منه، فلم يفعله، وبلغه أنه عنده في رفاهية وسعة، وهم حينئذ بالرقة، فأنفذ مسرورا الخادم إلى بغداد على البريد، وأمره أن يدخل من فوره إلى موسى فيعرف خبره، فإن كان الأمر على ما بلغه، أوصل كتابا منه إلى العباس بن محمد، وأمره بامتثاله، وأوصل كتابا منه إلى السندي بن شاهك، يأمره بطاعة العباس بن محمد، فقدم مسرور فنزل في دار الفضل بن يحيى، لا يدري أحد ما يريد، ثم دخل على موسى، فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره إلى العباس بن محمد والسندي، وأوصل الكتابين إليهما ".

" فلم يلبث أن خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مدهوشا دهشا، حتى دخل العباس، فدعى العباس السياط وعقلين، فوجه بذلك إليه السندي، فأمر بالفضل فجرد، ثم ضربه مائة سوط، وخرج متغير اللون، بخلاف ما دخل، فذهبت قوته، فجعل يسلم على الناس يمينا وشمالا.

" وكتب مسرور بالخبر إلى الرشيد، فأمر بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك، وجلس مجلسا حافلا وقال: أيها الناس، إن الفضل بن يحيى قد عصاني، وخالف طاعتي، ورأيت ألعنه فالعنوه، فلعنه الناس من كل ناحية، حتى ارتج البيت والدار بلعنه، فبلغ يحيى بن خالد الخبر، فركب إلى الرشيد فدخل من غير الباب الذي يدخل منه الناس، حتى جاءه من خلفه، وهو لا يشعر، ثم قال له: التفت إلي يا أمير المؤمنين، فأصغى إليه فزعا، فقال له: إن الفضل حدث، وأنا أكفيك ما تريد، فانطلق وجهه وسر ".

فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين، قد غضضت من الفضل بلعنك إياه، فشرفه بإزالة ذلك، فأقبل على الناس فقال: إنه قد بلغني عن الفضل أمر أنكرته، وكان فيه فساد ملكي، ثم تبينت بعد ذلك وقد رجعت إليه وتوليته، فأقبل على الناس فقال: إن الفضل كان قد عصاني في شئ فلعنته، وقد تاب وأناب إلى طاعتي، فتولوه، فقالوا: نحن أولياء من واليت، وأعداء من عاديت، وقد توليناه ".

" ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد، حتى أوفى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شئ، وأظهر أنه ورد لتعديل السواد، والنظر في أمر العمال، وتشاغل ببعض ذلك، ودعى بالسندي وأمره فلفه على بساط، وقعد الفراشون النصارى على وجهه، وأمر السندي عند وفاته أن يحضر مولى له، ينزل عند دار العباس بن محمد، في مشرعة القصب ليغسله، ففعل ذلك ".

قال: " وسأله أن يكفنه فأبى وقال: إنا أهل بيت مهور نسائنا، وحج صرورتنا، وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفني ".
" فلما مات أدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا إليه، لا أثر به، وشهدوا على ذلك، وأخرج ووضع على الجسر ببغداد فنودي: هذا موسى بن جعفر قد مات، فانظروا إليه، فجعل الناس يتفرسون في وجهه وهو ميت.
هذا وقد حدث رجل عن بعض الطالبين أنه نودي عليه: هذا موسى بن جعفر، الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت، فانظروا إليه، فنظروا، قالوا: وحمل فدفن في مقابر قريش، فوقع قبره إلى جانب رجل من النوفليين، يقال له: عيسى بن عبد الله (١).
وهناك رواية تذهب إلى أن السندي بن شاهك، خادم الرشيد، حين سقى الإمام الكاظم السم، دعا ثمانين رجلا من الفقهاء والوجهاء، وأدخلهم على الإمام، وقال لهم: انظروا هل حدث به حدث، فإن الناس يزعمون أنه فعل به مكروه، وهكذا خاف الرشيد من الرأي العام - وليس من الله - فدعاهم إلى النظر، ليشهدوا على أنه لا جرح ولا ضرب ولا أي أثر للقتل، ثم وضعت جنازة الإمام على الجسر ببغداد، حيث يقيم أكثر الشيعة، ونودي: هذا موسى بن جعفر، قد مات، فانظروا إليه، فهاج الشيعة، وكادت الفتنة تقع، لولا أن تداركها " سليمان بن جعفر " عم الرشيد، فأخذ الجنازة من الشرطة، وشيعها بموكب حافل، ومشى خلفها حافيا حاسرا، لا حبا للإمام، ولا صلة للرحم - كما زعم - ولكن خوفا من الثورة على ابن أخيه الرشيد، وسلطان العباسيين (٢).

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٣٣٢ - ٣٣٦ (ط النجف).
(٢) محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١٦٥.

وعلى أية حال، فمن الواضح أن الرشيد – بعد أن حبس الإمام موسى
الكاظم ثم قتله – إنما يحاول أن يبرئ نفسه من التهمة الشنعاء، والجريمة
النكراء، فكان يحاول جاهدا، أن يظهر للناس أنه لا يد له في قتله، ويرى
الدكتور الدوري أن مجرد هذه المحاولة، إنما تؤكد الشكوك في قتل الإمام
الكاظم (١).
هذا وتجمع المصادر الإمامية على أن الإمام الكاظم إنما مات مسموما
في حبس الرشيد على يد السندي بن شاهك، وأن الرشيد إنما كان يحاول أن يبرئ
نفسه من مسؤولية قتل الإمام، غير أن الإمام نفسه إنما كان قد أخبر أنه سقي
السم (٢).
وعلي أية حال، فمن المعروف تاريخيا أن بني العباس إنما كانوا على أبناء
عمومتهم من العلويين، أشد عليهم من الأمويين، روى يحيى بن سلام (١٠٤
– ٢٠٠ ه) يرفعه إلى عبد الله بن مسعود، صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
أنه قال قال لي
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوما: انطلق معي يا ابن مسعود، فمضيت معه، حتى
أتينا بيتا قد
غص ببني هاشم، فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من كان معكم من
غيركم، فليقم،
فقام من كان معهم، من غيرهم، حتى لم يبق إلا بنو هاشم خاصة – بنو
عبد المطلب وبنو العباس – فقال لهم النبي (صلى الله عليه وسلم): ماذا تلقون من
بعدي؟ فقال
علي عليه السلام: أخبرنا يا رسول الله، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
أخبرني جبريل
أنك مقتول بعدي، فأردت أن أراجع فيك ربي، فأبى علي، ثم قال: كأن قد
وليتكم ولاة بني أمية يقصدون بكم الضرورة، ويلتمسون بكم المشقة، ثم تكون

---

(١) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول ص ١٤٢ (بغداد ١٩٤٤)، نبيلة عبد المنعم داود:
نشأة الشيعة الإمامية ص ٢٣٤ – ٢٣٨ (بغداد ١٩٦٨).
(٢) أنظر: الصدوق: الأمالي ص ١٤٩ – ١٥٠، المفيد: الإرشاد ص ٣٠١ – ٣٠٢، ابن الشحنة:
روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر ٨ / ٥٣، ابن زهرة: غاية الاختصار ص ٩١،
المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر ٢ / ٣٣٧ – ٣٣٨ (بيروت ١٩٨٢)

دولة لبني العباس يعملون فيها عمل الجبارين، فالويل لعترتي ولبني أمية مما يلقون من بني العباس، ويهرب من بني أمية رجال، فيلحقون بأقصى المغرب، فيستحلون فيها المحارم زمانا، ثم يخرج من عترتي رجل غضبان لما لقي أهل بيتي وعترتي، فيملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جورا وظلما، يسقيه الله من صوب الغمام، فقال ناس من بني العباس: أيكون هذا ونحن أحياء؟ فنظر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إليهم كالماقت لهم، ثم قال: والذي نفسي بيده، لمن في
أصلاب فارس والروم أرجى عندي لأهل بيتي من بني العباس " (١).

٦ - من مرويات الإمام الكاظم:

روى الإمام موسى بن جعفر الكاظم عن آبائه مرفوعا قال قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " نظر الولد والديه عبادة " وعن إسحاق ابن جعفر قال: سألت
أخي موسى الكاظم بن جعفر، قلت: أصلحك الله، أيكون المؤمن بخيلا؟ قال نعم، فقلت: أيكون خائنا؟ قال: ولا يكون كذابا " ثم قال: حدثني أبي جعفر الصادق عن آبائه، رضي الله عنهم، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: " كل
خلة، يطوي المؤمن عليها، ليس الكذب والخيانة " (٢).

بقيت الإشارة إلى قلة مرويات الإمام الكاظم، رغم أن مدة إمامته جاوزت خمسة وثلاثين عاما، وذلك بسبب ما تعرض له من اضطهاد من بني العباس، حتى أنه قضى مدة إمامته، إما مسجونا بسجن العباسيين، أو بسجنه نفسه بعيدا عن الناس خوفا من بني العباس، حتى أن الراوي لا يسند الحديث إليه بصريح اسمه - إذا روى عنه الحديث - بل قلما تجد اسمه صريحا في الحديث، لشدة التقية في أيامه (٣).

---

(١) الداعي إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب - تحقيق محمد اليعلاوي ص ٣٦ - ٣٧ (دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٨٥).

(٢) نور الأبصار ص ١٤٩.

(٣) أحمد صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية القاهرة ١٩٦٩ ص ٣٨٥

٧ - من أقوال الإمام الكاظم:
رأى الإمام الكاظم قبرا يحفر، فقال: إن شيئا هذه آخره، لحقيق أن يزهد في أوله، وأن شيئا هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره.
وقال الحسن بن أسد: سمعت موسى بن جعفر يقول: ما أهان الدنيا قوم، إلا هنأهم الله إياها، وبارك لهم فيها، وما أعزها قوم قط، إلا نغصهم الله إياها.
وقال إن قوما يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفا، فهم الآمنون يوم القيامة، إن كنت لأرى فلانا منهم.
وقال: حدثني أبي أن موسى بن عمران قال: يا رب أي عبادك شر؟
قال: الذي يتهمني، قال: يا رب، وفي عبادك من يتهمك، قال: نعم، الذي يستجيرني، ثم لا يرضى بقضائي.
وذكر عنده بعض الجبابرة، فقال: أما والله لئن عز بالظلم في الدنيا، ليذلن بالعدل في لآخرة. وقيل لموسى بن جعفر - وهو في الحبس - لو كتبت إلى فلان يكلم فيك الرشيد؟
فقال: حدثني أبي عن آبائه، أن الله عز وجل أوحى إلى داود: يا داود، إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني عرفت ذلك منه، إلا وقطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته (١).
وقال: للإنسان حياتان، بينهما من البعد والتباين، ما بين الوجود والعدم، فهو حين يخرج إلى حياته الأولى يجد فضاء شاسعا واسعا، وشمسا وقمرا، وطعاما وشرابا، وأما وأبا وأهلا يهتمون بشأنه، ويكونون له عونا في أموره، كما أنه يستطيع أن يختار لنفسه، فيفعل ويترك ويحترس. وأما حياته الثانية،

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١٤ - ٤١٥.

فأول ما يستقبله القبر وظلمته ووحشته، وربما كان خيرا من سائر مواقفه
الأخرى في المحشر، وبين يدي الله سبحانه وتعالى، حيث لا يملك لنفسه نفعا
ولا ضرا.
وقال: ليس حسن الجوار كف الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على
الأذى.
وقال: إذا كان يوم القيامة ينادي المنادي: ألا من كان له على الله أجر
فليقم، فلا يقوم إلا من عفا، وأصلح، فأجره على الله.
وقال: لا تكن إمعة، فتقول: أنا مع الناس، إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:
إنما
هي نجدان، نجد خير، ونجد شر، فلا يكن نجد الشر أحب إليك من نجد
الخير.
وقال: إن الله سبحانه بين لك طريق الخير، وطريق الشر، وأمرك بفعل
الخير، وإن تركه الناس، وبترك الشر، وإن فعله الناس، ونهاك عن التقليد، ولا
يقبل منك الاعتذار بأن الناس قد فعلوا، أو تركوا، ما دام الحق واضحا بينا.
ورأى الإمام رجلا فقيرا، ذميم المنظر، فسلم عليه، وطايبه وحادثه
طويلا، ثم قال له: إن كانت لك حاجة، فأنا أقوم بها.
فقال له قائل: يا ابن رسول الله، أنت تتواضع لهذا وتسأله عن حاجته.
فقال: هذا عبد من عبيد الله، وأخ في كتاب الله، وجار في بلاد الله،
يجمعنا وإياه خير الآباء آدم، وأفضل الأديان الإسلام، ولعل الدهر يرد حاجتنا
إليه، فيرانا – بعد الزهو عليه – متواضعين بين يديه.
وقال: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

وقال: أولى العلم بك، ما لا يصلح لك العمل إلا به، وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عنه. وقال: إن لله عرشا لا يسكن تحت ظله، إلا من أسدى لأخيه معروفا، ونفس عنه كربه، أو قضى له حاجة (١).

٨ - من كرامات الإمام الكاظم:

روى المسعودي في " مروج الذهب ومعادن الجوهر " قال: ذكر عبد الله بن مالك الخزاعي - وكان على دار الرشيد وشرطته - قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك منه.

فلما صرت إلى الدار سبقني الخادم، فعرف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول عليه، فدخلت فوجدته قاعدا على فراشه، فسلمت، فسكت ساعة، فطار عقلي، وتضاعف الجزع علي، ثم قال لي: يا عبد الله، أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟.

قلت: لا، والله يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيت الساعة في منامي، كأن جيشا قد أتاني، ومعه حربة، فقال لي: إن لم تخل عن موسى بن جعفر الساعة، وإلا نحرتك بهذه الحربة، فاذهب فخل عنه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أطلق موسى بن جعفر؟ (ثلاثا)

قال نعم، امض الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، واعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام قبلنا فلك عندي ما تحب، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالإذن في ذلك إليك.

---

(١) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ٢٣٢ - ٢٣٣.

قال: فمضيت إلى الحبس لأخرجه، فلما رآني موسى وثب إلي قائما، وظن أني قد أمرت فيه بمكروه فقلت: لا تخف، وقد أمرني أمير المؤمنين بإطلاقك، وأن أدفع إليك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام قبلنا فلك ما تحب، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة، فالأمر في ذلك مطلق إليك، وأعطيته الثلاثين ألف درهم، وخليت سبيله.

قلت: لقد رأيت في أمرك عجبا.

قال: فإني أخبرك، بينما أنا نائم، إذ أتاني النبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال: يا موسى، حسبت مظلوما، فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس.

فقلت: بأبي وأمي ما أقول؟ فقال: قل: " يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحما، ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى، وباسمك الأعظم الأكبر، المخزون المكنون، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليما ذا أناة، لا يقوى على أناته، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا، ولا يحصى عددا، فرج عني "، فكان ما ترى (١).

وروي أن " علي بن يقطين " كان مقربا عند هارون الرشيد، يثق به، وينتدبه إلى ما أهمه من الأمور، وكان " ابن يقطين " يكتم التشيع، والولاء لأهل البيت، عليهم السلام، ويظهر الطاعة للرشيد، وفي ذات يوم أهدى الرشيد إلى " ابن يقطين " ثيابا أكرمه بها، وكان في جملتها دراعة خز سوداء، من لباس الملوك، مثقلة بالذهب.

فأرسل " ابن يقطين " الثياب، ومعها الدراعة إلى الإمام موسى الكاظم، ومعها مبلغ من المال، ولما وصلت الهدية إلى الإمام قبل المال والثياب، ورد الدراعة إليه على يد رسول آخر، غير الذي جاء بالمال والثياب، وكتب الإمام

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠ (بيروت (١٩٨٢)، ابن خلكان: وفيات الأعيان ٥ / ٣٠٩ - ٣١٠ (بيروت ١٩٧٧).

إلى علي بن يقطين: " احتفظ بالدراعة، ولا تخرجها من يدك، فإن لها شأنا "، فاحتفظ علي بالدراعة، وهو لا يعرف السبب.
وبعد أيام سعى بعض الواشين إلى الرشيد، وقال له: إن ابن يقطين يعتقد في إمامة موسى بن جعفر، ويحمل إليه خمس ماله في كل سنة، وقد حمل الدراعة التي أكرمته بها، فاستشاط الرشيد غضبا، وأحضر " علي بن يقطين "، وقال له: ما فعلت بتلك الدراعة التي كسوتك بها؟.
قال: هي عندي في سقط مختوم، وقد احتفظت بها تبركا، لأنها منك، قال الرشيد: ائت بها الساعة.
وفي الحال نادى علي بن يقطين بعض غلمانه، وقال له: اذهب إلى البيت، وافتح الصندوق الفلاني تجد فيه سفطا، صفته كذا، جئني به الآن.
فلم يلبث الغلام، حتى جاء بالسفط، ووضعه بين يدي الرشيد، ففتح الرشيد السفط، ونظر إلى الدراعة كما هي، فسكن غضبه، وقال لعلي: ارددها إلى مكانها، وانصرف راشدا، فلن أصدق عليك بعدها ساعيا، وأمر له بجائزة سنية، ثم أمر أن يضرب الساعي ألف سوط، فضرب ٥٠٠، ومات قبل إكمال الألف (١).
وروى الشبلنجي في نور الأبصار: قال حسان بن حاتم الأصم: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجا سنة ست وأربعين ومائة، فنزلت بالقادسية، فبينما أنا أنظر في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، نحيف، فوق ثيابه ثوب صوف. مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان، وقد جاء منفردا، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفية، ويريد أن يخرج مع الناس، فيكون كلا عليهم في طريقهم، والله لأمضين إليه،

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

ولأوبخنه، فدنوت منه، فلما رآني مقبلا نحوه، قال: يا شقيق، اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم، ثم تركني وولى. فقلت في نفسي: إن هذا الأمر عجيب، تكلم بما في خاطري، ونطق باسمي، هذا عبد صالح، لألحقنه وأسألنه الدعاء، وأتحلله بما ظننت فيه، فغاب عني ولم أره، فلما نزلنا وادي فضة، فإذا هو قائم يصلي، فقلت: هذا صاحبي، امض إليه واستحله، فصبرت حتى فرغ من صلاته، فالتفت إلي وقال: يا شقيق، أتل (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)، ثم قام ومضى وتركني، فقلت: هذا فتى من الأبدال، قد تكلم على سري مرتين، فلما نزلنا " بالأبواء " إذا أنا بالفتى على البئر، وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء، فسقطت من يده في البئر، فرمق إلى السماء بطرفه، وسمعته يقول:

أنت شرابي إذا ظمئت من الماء * وقوتي إذا أردت طعاما

ثم قال: إلهي وسيدي ما لي سواك فلا تعدمنيها، فوالله لقد رأيت الماء، قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه، فمد يده فأخذها، فتوضأ منها، وصلى أربع ركعات، ثم مال إلى كثيب رمل، فجعل يقبض بيديه، ويجعله في الركوة ويحركها ويشرب، فأقبلت نحوه، وسلمت عليه، فرد علي السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك، فقال: يا شقيق: لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك، ثم ناولني الركوة فشربت منها، فإذا فيها سويق بسكر، فوالله ما شربت قط ألذ منه، ولا أطيب، فشربت ورويت حتى شبعت فأقمت أياما لا أشتهي طعاما ولا شرابا.

ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل، وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر، ثم قام إلى حاشية المطاف، فركع ركعتي الفجر هناك، ثم صلى الصبح مع الناس، ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس، ثم صلى خلف المقام، ثم رجع يريد الذهاب، فخرجت خلفه أريد السلام عليه، وإذا بجماعة أحاطوا به يمينا

وشمالا، ومن خلفه ومن أمامه، وخدم وحشم وأتباع، خرجوا معه، فقلت لأحدهم: من هذا الفتى يا سيدي؟ فقال هذا موسى الكاظم بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم.
ثم يقول المؤلف: وهذه الكرامة رواها جماعة من أهل التأليف، ورواها " ابن الجوزي " في كتابه " مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن "، ورواها " الجنابذي " في " معالم العترة النبوية "، ورواها " الرامهرمزي " في كتابه " كرامات الأولياء "، وهي كرامة، اشتملت على كرامات (١).
وفي كتاب الدلائل للحميري: روى أحمد بن محمد بن أبي قتادة عن أبي خالد الزبالي قال: قدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم، ومعه جماعة من أصحاب المهدي - الخليفة العباسي - لإحضاره لديه إلى العراق من المدينة، وذلك في مسكنه الأول، فأتيته فسلمت عليه، فسر برؤيتي، وأوصاني بشراء الحوائج، وتبقيتها عندي له، فرآني غير منبسط، فقال: ما لي أراك منقبضا، فقلت: كيف لا أنقبض، وأنت سائر إلى هذه الفرقة الطاغية، ولا آمن عليك، فقال: يا أبا خالد، ليس علي بأس، فإذا كان شهر كذا، في اليوم الفلاني منه، فانتظرني آخر النهار، مع دخول الليل، فإني أوافيك إن شاء الله تعالى.
قال أبو خالد: فما كان لي هم إلا إحصاء تلك الشهور والأيام إلى ذلك اليوم، الذي وعدني المجئ فيه، فخرجت غروب الشمس، فلم أر أحدا، فلما كان دخول الليل، إذ بسواد قد أقبل من ناحية العراق، فقصدته فإذا هو على بغله، فسلمت عليه وسررت بمقدمه وتخلصه، فقال لي: أداخلك الشك يا أبا خالد، فقلت: الحمد الله الذي خلصك من هذه الفرقة الطاغية، فقال: يا

---

(١) سيد الشبلنجي: نور الأبصار ص ١٤٩ وانظر: الصواعق المحرقة ص ٣٠٨.

أبا خالد، إن لهم إلي دعوة، لا أتخلص منها (١).
وعن عيسى المدائني قال: خرجت سنة إلى مكة، فأقمت بها مجاورا، ثم قلت: أذهب إلى المدينة وأقيم بها سنة، مثل ما أقمت بمكة، فهو أعظم لثوابي، فقدمت المدينة، فنزلت طرف المصلى، إلى جنب دار أبي ذر، وجعلت اختلف إلى سيدنا موسى الكاظم، فبينا أنا عنده في ليلة ممطرة، إذ قال: يا عيسى، قم، فقد انهدم البيت على متاعك، فقمت فإذا البيت قد انهدم على المتاع، فاكتريت قوما كشفوا عن متاعي، واستخرجته جميعه، ولم يذهب لي غير صطل للوضوء، فلما أتيته من الغد، قال: هل فقدت شيئا من متاعك، فندعو الله لك بالخلف، فقلت: ما فقدت غير صطل كان لي أتوضأ منه، فأطرق رأسه مليا، ثم رفعه فقال: قد ظننت أنك أنسيته قبل ذلك، فأت جارية قرب الدار، فأسألها عنه، وقل لها: أنسيت الصطل في بيت الخلاء فرديه، قال: فسألتها عنه فردته (٢).
وعن إسحاق بن عمار قال: لما حبس هارون الرشيد موسى الكاظم، دخل الحبس ليلا أبو يوسف (٣) ومحمد بن الحسن (٤) - صاحبا أبي حنيفة -

---

(١) نور الأبصار ص ١٤٩ - ١٥٠.
(٢) نور الأبصار ص ١٥٠.
(٣) أبو يوسف: هو أبو يوسف الكوفي، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة، وكان سعد بن حبتة صاحبيا، ولد أبو يوسف عام ١١٣ ه‍ (٧٣١ م) بالكوفة، وتوفي ببغداد عام ١٨٢ ه‍ (٧٩٨ م)، وقد قرأ على هشام بن عروة وأبي إسحاق الشيباني وسليمان التميمي وابن إسحاق، وكان شيوخه في الفقه ابن أبي ليلى وأبا حنيفة ثم اقتصر على دروس أبي حنيفة، وقد تولى القضاء في بغداد في خلافة الهادي (١٦٩ - ١٧٠ ه‍ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م) وكان أول من خوطب " بقاضي القضاة " وكان من أنصار مبدأ الرأي، ولكنه كان يعتمد على الحديث أكثر من شيخه أبي حنيفة، وفي كتابه " الخراج " يعترف بالحق الديني في حكم الدولة، وأهم مصادر ترجمته (أخبار القضاء لوكيع ٣ / ٢٥٤ - ٢٤٦، تاريخ بغداد ١٤ / ٢٤٢ - ٢٦٢، مناقب الإمام الأعظم للموفق المكي ٢ / ٢٠٨ - ٢٤٦، تذكرة الحفاظ للذهبي ص ٢٩٢ - ٢٩٤، البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ١٨٠ - ١٨٢، مرآة الجنان لليافعي ١ / ٣٨٢ - ٣٨٨، مناقب الإمام الأعظم للكردري ٢ / ١١٧ - ١٤٥، مناقب أبي يوسف للذهبي (القاهرة ١٣٦٦ ه‍)، وفيات الأعيان ٦ / ٣٧٨ - ٣٩٠ (سزكين: تاريخ التراث العربي ٣ / ٥١ - ٥٤).
(٤) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، ولد بواسط عام ١٣٢ ه‍ (٧٤٩ م) وتوفي في " برنبوية " من أعمال الري عام ١٨٩ ه‍ (٨٠٥ م) نشأ بالكوفة، وجالس أبا حنيفة وهو في الرابعة عشرة، وأخذ عنه، وتأثر بمذهبه في الرأي، ومن شيوخه سفيان الثوري والأوزاعي ومالك بن أنس، ولاه الرشيد القضاء بالرقة عام ١٨٠ ه‍ (٧٩٦ م) ثم عزله، ثم ولاه قضاء خراسان عام ١٨٩ ه‍ (٨٠٥ م) ولكنه مات في نفس السنة، وأهم مصادر ترجمته (تاريخ بغداد ٢ / ١٧٢ - ١٨٢، الوافي بالوفيات للصفدي ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٤، مرآة الجنان ١ / ٤٢٢ - ٤٢٤، الأعلام للزركلي ٦ / ٣٠٩، معجم المؤلفين لكحالة ٩ / ٢٠٧، لسان الميزان لابن حجر ٥ / ١٢١ - ١٢٢، الانتقاء لابن عبد البر ص ١٧٤، البداية والنهاية ١٠ / ٢٠٢ - ٢٠٣، وفيات الأعيان ٤ / ١٨٤ - ١٨٥،

شذرات الذهب ١ / ٣٢١ – ٣٢٤ (بيروت ١٩٧٩) تاريخ التراث العربي ٣ / ٥٤ – ٧٨ (الرياض ١٩٨٣).

فسلما عليه وجلسا عنده، وأرادا أن يختبراه بالسؤال، لينظر مكانه من العلم، فجاء بعض الموكلين به، فقال له: إن نوبتي قد فرغت، وأريد الانصراف من غد إن شاء الله تعالى، فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك به غدا، إذا جئت، فقال: ما لي حاجة انصرف، ثم قال لأبي يوسف ومحمد بن الحسن: إني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها معه غدا، إذا جاء، وهو ميت في هذه الليلة، فأمسكا عن سؤاله وقاما، ولم يسألاه عن شئ، وقالا: أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة، فأخذ يتكلم معنا في الغيب، والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره، وينظر ماذا يكون من أمره، فأرسلا شخصا من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل، فلما كان أثناء الليل، وإذا بالصراخ والناعية، فقيل لهم: ما الخبر؟ فقالوا: مات صاحب البيت فجأة، فعاد إليهما الرسول وأخبرهما، فتعجبا من ذلك غاية العجب (١).

وروي أن الإمام الكاظم: أحيا بقرة ماتت لامرأة بمنى، وحولها صبيان، فلما نظرت المرأة إلى البقرة صاحت، وقالت: عيسى بن مريم، ورب الكعبة، فخالط الناس، وصار بينهم ومضى (٢)

---

(١) نور الأبصار ص ١٥٠ – ١٥١.

(٢) أصول الكافي ص ١٣٠.

٩ - من كرم الإمام الكاظم:
كان الإمام موسى الكاظم أكبر أولاد الإمام جعفر الصادق قدرا، وأعظمهم محلا، وأبعدهم في الناس صيتا، ولم ير في زمانه أسخى منه، ولا أكرم نفسا، وكان يبلغه عن الرجل أنه ينال منه، فيبعث إليه بصرة فيها ألف دينار (١).
روي عن يحيى بن الحسن قال: إن رجلا من آل عمر بن الخطاب كان يشتم الإمام علي بن أبي طالب، إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: لا: ثم مضى راكبا حتى قصده في مزرعة له، فتوطاها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا، فلم يصغ إليه، وأقبل حتى نزل عنده، وجعل يضاحكه.
ثم قال له: كم عزمت على زرعك هذا؟ قال: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تربح، قال: لا أدري، قال: إنما سألتك كم ترجو؟، قال: مائة أخرى، قال: فأخرج ثلاثمائة، فوهبها له، فقام فقبل رأسه، فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري، فسلم عليه، وجعل يقول: " الله أعلم حيث يجعل رسالته "، فوثب أصحابه عليه، وقالوا: ما هذا؟ فشاتمهم.
وكان بعد ذلك، كلما دخل موسى خرج يسلم عليه، ويقوم له، فقال موسى لمن قال ذلك القول: أيما كان خيرا، ما أردتم أو ما أردت؟ (٢).
وروي أن الإمام الكاظم مر برجل، فرآه كئيبا، فسأله عن السبب؟ قال: لحقتني الديون من أجل حقل زرعته بطيخا وقثاء وقرعا، فلما استوى الزرع، وقرب الخير، جاء الجراد فأتى عليه، ولم يبق منه شيئا، فذهب الزرع، وبقيت

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٣٦.
(٢) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٣٣١ - ٢٣٢.

الديون، فأعطاه الإمام ما كان يأمله من زرعه، فوفى ديونه، وبقيت معه فضلة، جعل الله فيها البركة (١).

١٠ - من آثار الإمام الكاظم:

للإمام موسى الكاظم آثار كثيرة، لعل من أهمها: ١ - دعاء الجوشن الصغير، وقد طبع في " لكنو " عام ١٨٧١ م ٢ - أدعية الأيام السبعة وهي موجودة في كتاب " المجموع الرائق من أزهار الحدائق " لهبة الله بن أبي محمد الحسن الموسوي (حوالي ٨٠٣ ه‍ / ١٣٠٣ م) ٣ - مسند (بتهذيب أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي - المتوفى - ٣٥٤ ه‍ / ٩٦٥) ٤ - وصية إلى هشام بن الحكم (موجودة في كتاب " تحف العقول " لابن شعبة العاملي) ٥ - إجابات على أسئلة أخيه علي " ٦ - وصية النبي (صلى الله عليه وسلم) لعلي (٢).

١١ - أولاد الإمام الكاظم:

يقول " ابن عنبة " ولد موسى الكاظم عليه السلام ستين ولدا، سبعا وثلاثين بنتا، وثلاثة وعشرين ابنا، درج منهم خمسة لم يعقبوا بغير خلاف وهم: عبد الرحمن وعقيل والقاسم ويحيى وداود (٣)، على أن رواية اليعقوبي إنما تجعلهم ٤١ ولدا، ثمانية عشر ذكرا، وثلاث وعشرون بنتا (٤) بينما يجعلهم ابن كثير أربعين فقط (٥).

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٣٦ - ٢٣٧.
(٢) فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي - المجلد الأول - الجزء الثالث ص ٢٧٩ - ٢٨٠ (الرياض ١٩٨٣ - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).
(٣) ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص ٢٢٦ - ٢٢٧.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١٥.
(٥) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

(٣) الإمام علي الرضا

١ - نسب الإمام علي الرضا ومولده:

هو الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وسيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

هذا وقد ولد الإمام علي الرضا بالمدينة المنورة عام ١٤٣ ه‍ (٧٦٠ م) أو عام ١٤٨ ه‍ (٧٦٥ م) أو عام ١٥٣ ه‍ (٧٧٠ م)، وتوفي عام ٢٠٣ ه‍ (٨١٨ م)، وفي رواية المسعودي: وكان مولد الرضا بالمدينة سنة ثلاث وخمسين ومائة للهجرة، وكان الخليفة العباسي " المأمون " (١٩٨ - ٢١٨ ه‍ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) قد زوج ابنته " أم حبيبة " للإمام علي الرضا، وزوج الأخرى لولده الإمام محمد الجواد (٣).

ويذهب " ابن خلكان " (٦٠٨ - ٦٨١ ه‍) إلى أن ولادة الإمام الرضا إنما كانت يوم الجمعة في بعض شهور سنة ثلاث وخمسين ومائة بالمدينة، وقيل: بل ولد سابع شوال، وقيل ثامنه، وقيل سادسه، سنة إحدى وخمسين ومائة، وتوفي في آخر يوم من صفر سنة اثنتين ومائتين، وقيل بل توفي خامس ذي الحجة، وقيل: ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث ومائتين بمدينة " طوس "، وصلى عليه المأمون، ودفنه ملاصق قبر أبيه الرشيد، وكان سبب موته أنه أكل عنبا فأكثر منه، وقيل: بل كان مسموما، فاعتل منه ومات، رحمه الله تعالى (٤).

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤١٥.

(٢) ابن كثير البداية والنهاية ١٠ / ١٨٣.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٤١٨.

ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠.

وأما أم الإمام علي الرضا فهي أم ولد، يقال لها " أم البنين " واسمها " أزوى " وقيل " خيزران ". وكنية الإمام الرضا: أبو الحسن، وألقابه: الرضا - وهو أشهرها - والصابر والزكي والولي.

وأما أولاده: فلقد روي عن المفيد والطبرسي وابن شهرآشوب، أنه لم يترك من الولد، سوى الإمام محمد الجواد.

٢ - الإمام الرضا والإمامة:

يقول الإمام الرضا: " إن الإمام (١) زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعز المؤمنين، إن الإمامة أس الإسلام النامي، وفرعه السامي، بالإمامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وتوفير الفئ والصدقات، وإمضاء الحدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف ".

" والإمام يحل حلال الله، ويحرم حرام الله، ويقيم حدود الله، ويذب عن دين الله، ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحجة البالغة، الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها العالم، وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار، الإمام البدر المنير، والسراج الظاهر، والنور الساطع، والنجم الهادي ".

" الإمام المطهر من الذنوب، والمبرأ من العيوب، المخصوص بالعلم، الموسوم بالحلم، معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة، مخصوص بدعوة الرسول، ونسل المطهرة البتول، فهو معصوم مؤيد موفق مسدد، قد أمن من الخطأ والزلل والعثار، يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده، وشاهده على خلقه " (٢).

---

(١) يقول الإمام جعفر الصادق في الإمامة " الله عز وجل أعظم من أن يترك الأرض بغير عادل، إن زاد المسلمون شيئا ردهم، وإن نقصوا شيئا أتمه لهم، وهو حجة على عباده (أصول الكافي ص ٨٤، ٨٦).

(٢) الكليني: أصول الكافي ص ٩٦ - ٩٧، عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم في مصر في عصر الفاطميين (٣٥٨ - ٥٦٧ ه‍ / ٩٦٨ - ١١٧١ م) - القاهرة ١٩٤٨ ص ٢٧٠.

هذا وقد وصف الإمامة أيضا فقال: " إن الإمامة أحد قدرا، وأعظم شأنا، وأعلى مكانا، وأمنع جانبا، وأبعد غورا، من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالونها بآرائهم، أو يقيموا إماما باختيارهم، إن الإمام خص الله بها إبراهيم الخليل عليه السلام - بعد النبوة والخلة - مرتبة ثالثة، شرفه بها، وأشاد بها ذكره، فقال تعالى: (إني جاعلك للناس إماما) (١)، فقال الخليل سرورا بها (ومن ذريتي) (٣) قال تعالى: (لا ينال عهدي الظالمين) (٢)، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة، ثم أكرم الله خليله بأن جعلها في ذريته، أهل الصفوة والطهارة، فقال تعالى: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة، وكلا جعلنا من الصالحين، وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا، وأوحينا إليهم فعل الخيرات، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين) (٤).
وظلت في ذريته يرثها بعض عن بعض، حتى ورثها الله تعالى النبي
العربي محمدا (صلى الله عليه وسلم)، فقال تعالى (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه، وهذا
النبي، والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) (٥)، فكانت له خاصة، فقلدها عليا، عليه السلام، بأمر الله تعالى، على رسم ما فرض الله، فصارت في ذريته
الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان، بقوله تعالى: (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان، لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) (٦) فهي في ولد الإمام
علي بن أبي طالب خاصة إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) (٧).

---

(١) سورة البقرة: آية ١٢٤.
(٢) سورة البقرة: آية ١٢٤.
(٣) سورة البقرة: آية ١٢٤.
(٤) سورة الأنبياء: آية ٧٢.
(٥) سورة آل عمران: آية ٦٨.
(٦) سورة الروم: آية ٥٦.
(٧) الكليني: الكافي ١ / ١٩٩.

ويقول الإمام الرضا في الإمامة أيضا: هي منزلة الأنبياء، وإرث الأصفياء،
إن الإمامة خلافة الله، وخلافة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ومقام أمير المؤمنين علي
بن
أبي طالب، وميراث الحسن والحسين، عليهم السلام (١).
٣ - الإمام الرضا والرشيد:
روى صاحب " أعيان الشيعة " أنه بعد حياة الإمام الكاظم، أرسل الرشيد
أحد قواده إلى المدينة (وهو الجلودي)، وأمر أن يهجم على دور آل
أبي طالب، ويسلب نساءهم، ولا يدع على واحدة منهن، إلا ثوبا واحدا،
فامتثل الجلودي، حتى وصل إلى دار الإمام " علي الرضا " فجعل الإمام النساء
كلهن في بيت واحد، ووقف على باب البيت، فقال الجلودي: لا بد من دخول
البيت، وسلب النساء، فتوسل إليه، وحلف له أنه يأتيه بكل ما عليهن من حلي
وحلل، على أن يبقى الجلودي مكانه، ولم يزل يلاطفه حتى أقنعه، ودخل
الإمام الرضا، وأخذ جميع ما على النساء، من ثياب ومصاغ، وجميع ما في
الدار من أثاث، وسلمه إلى الجلودي، فحمله إلى الرشيد.
وعندما ملك المأمون غضب على هذا الجلودي، وأراد قتله، وكان الإمام
الرضا حاضرا، فطلب من المأمون أن يعفو عنه، وأن يهبه له، فظن الجلودي أن
الإمام الرضا يحرض المأمون على قتله، لما سبق من إساءته، فقال الجلودي
للمأمون: أسألك بالله أن لا تقبل قوله في فقال المأمون: والله لا أقبل قوله
فيك، اضربوا عنقه، فضربت (٢).

---

(١) الكليني: الكافي ١ / ٢٠٠، نبيلة عبد المنعم داود: نشأة الشيعة الإمامية ص ٣٧٤ - ٢٧٥ (بغداد ١٩٦٨).
(٢) أعيان الشيعة ١ / ٦٠، الشيعة والحاكمون ص ١٦٣ - ١٦٤.

٤ - الإمام الرضا والمأمون:
كان الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ ه / ٨١٣ - ٨٢٣ م) مولعا بالسماع إلى العلماء، وجدالهم ونقاشهم، فكان يجمع له العلماء والفقهاء والمتكلمين، من جميع الأديان، فيسألونه، ويجيب الواحد تلو الآخر، حتى لم يبق أحد منهم، إلا اعتراف بالفضل، وأقر على نفسه بالقصور، حتى قيل أن أحد العلماء - وهو محمد بن عيسى اليقطيني - جمع من مسائل الإمام الرضا أمامه، وأجوبتها حوالي ١٨ ألف مسألة -.

هذا وفي كتب الشيعة الكثير من هذه المسائل، ومنها:
أن المأمون سأل الإمام الرضا فقال: يا ابن رسول الله، إن الناس يروون عن جدك (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: خلق الله آدم على صورته، فما رأيك؟.
قال الإمام: إنهم حذفوا أول الحديث الذي يدل على آخره، وهذا هو الحديث كاملا: " مر رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، برجلين يتسابان، ويقول أحدهما للآخر:
قبح الله وجهك، ووجها يشبهك فقال النبي (صلى الله عليه وسلم)، للساب: لا تقل هذا، فإن الله
خلق آدم على صورته، أي على صورة من تشتمه، وعليه يكون شتمك لخصمك هذا، شتم لآدم عليه السلام.
ومنها: أنه سئل: أين كان الله؟ وكيف كان؟ وعلى أي شئ يعتمد؟.
فقال: إن الله تعالى كيف الكيف، فهو بلا كيف، وأين الأين فهو بلا أين، وكان اعتماده على قدرته.
ومعنى جواب الإمام: أن الله خلق الزمان، وخلق الأحوال، فلا زمان له ولا حال، وغني عن كل شئ، فلا يعتمد على شئ، غير ذاته بذاته.
ومنها: أنه سئل: عن معنى إرادة الله، فقال: هو فعله لا غير، ذلك أن يقول للشئ: كن فيكون، بلا لفظ ولا نطق لسان، ولا همة ولا تفكر، ولا يكف كذلك، ولا كما.

ومنها: أنه سئل عن معنى قول جده الإمام الصادق: " لا جبر ولا
تفويض، بل أمر بين الأمرين " رغم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه
- أي الأئمة - فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض
مشرك، أما معنى " الأمر بين الأمرين ". فهو وجود السبيل إلى إتيان ما أمر الله
به، وترك ما نهى عنه، أي أن الله سبحانه وتعالى، قدره على فعل الشر وتركه
كما أقدره على الخير وتركه، وأمره بهذا، ونهاه عن ذاك.
ومنها: أنه سئل عن الإمامة، فقال: إن الله لم يقبض نبيه حتى أكمل له
الدين، وأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شئ، حيث قال عز من قال: " ما فرطنا
في الكتاب من شئ) (١)، وأنزل في حجة الوداع، (اليوم أكملت لكم دينكم،
وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا) (٢).
والإمامة من إكمال الدين، وإتمام النعمة، وقد أقام لهم الإمام علي علما
وإماما، ومن زعم أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، لم يكمل دينه - ببيان الإمام - فقد
رد
كتاب الله، ومن رد كتاب الله فهو كافر.
إن الإمامة لا يعرف قدرها، إلا الله، فهي أجل قدرا، وأعظم شأنا، وأعلى
مكانة من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالونها بآرائهم.
إن الإمامة خلافة الله والرسول، وزمام الدين ونظام المسلمين، والإمام
يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله، ويقيم الحدود، ويذب عن الدين، والإمام
أمين الله في أرضه، وحجته على عباده، وخليفته في بلاده، وهو مطهر من
الذنوب، مبرأ من العيوب، لا يدانيه أحد من خلقه، ولا يعادله عالم، ولا يوجد
له بديل، ولا له مثيل، فأين للناس أن تستطيع اختيار مثل هذا (٣).

---

(١) سورة الأنعام: آية ٣٨.
(٢) سورة المائدة: آية ٣.
(٣) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٤٠ - ٢٤٢.

هذا وقد سئل الإمام الرضا عن العترة: أهم الآل أم غير الآل؟
فقال: هم الآل، فقالت العلماء: فهو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: أمتي آلي،
وهؤلاء الأصحاب يقولون: آل محمد هم أمته.
فقال الإمام: أخبروني: فهل تحرم الصدقة على الآل؟ قالوا: نعم، قال: فتحرم على الأمة، قالوا: لا. قال: هذا فرق بين الآل والأمة، أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين، دون سواهم، قالوا: ومن يا أبا الحسن، فقال: من قوله تعالى: (ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون) (١)، فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين، دون الفاسقين (٢).
وفي مناظرة جرت في مجلس المأمون بين الإمام الرضا والعلماء، وقد بين فيها الرضا فضل آل البيت، فلقد سأل المأمون عن معنى قول الله تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) (٣).
فقالت العلماء: أراد الله بذلك الأمة كلها، فسأل المأمون الرضا عن ذلك.
فقال الإمام الرضا: أراد الله العترة الطاهرة، لأنه لو أراد الأمة، لكانت جميعها في الجنة، يقول الله: (فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير) (٤)، ثم جمعهم كلهم في الجنة،

---

(١) سورة الحديد: آية ٢٦.
(٢) أنظر: الصدوق: عيون الأخبار ١ / ٢٣٠، الطبري: بشارة المصطفى ص ٢٨٢، نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ٢٧٢.
(٣) سورة فاطر: آية ٣٢.
(٤) سورة فاطر: آية ٣٢.

فقال تعالى: (جنات عدن يدخلونها) (١) فصارت الوراثة للعترة الطاهرة، لا
لغيرهم.
فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟.
فقال الإمام الرضا: الذين وصفهم الله في كتابه فقال: (إنما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، ويطهركم تطهيرا) (٢)، وهم الذين قال فيهم
سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " إني مخلف فيكم الثقلين، كتاب الله
وعترتي أهل
بيتي " (٣).
وهناك كذلك آية المباهلة: قال الله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما
جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا
وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) (٤).
والذين اختارهم الله في هذه الآية، واصطفاهم للمباهلة، هم بالذات الذين
اصطفاهم وعناهم في آية (ثم أورثنا الكتاب)، ولا يختلف اثنان في أن المراد
بأنفسنا " على " وبأبنائنا " الحسن والحسين " ونسائنا " فاطمة " وهذه خاصة لا
يتقدمهم فيها أحد، وفضل لا يلحقهم فيه بشر، وشرف لا يسبقهم إليه
مخلوق (٥).

---

(١) سورة النمل: آية ٣١
(٢) سورة الأحزاب: آية ٣٣.
(٣) أنظر عن حديث الثقلين (صحيح مسلم ١٥ / ١٧٩، مسند الإمام أحمد ٣ / ١٧، ٤ / ٤٦٦، ٣٧١، ٥ / ١٨١، فضائل الصحابة للإمام أحمد ١ / ١٧١ - ١٧٢، ٢ / ٥٧٢، ٥٨٥، ٦٠٣، ٧٨٦، كنز العمال ١ / ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٩٦، ٩٧، ٦ / ٣٩٠، ٧ / ١٠٣، سنن البيهقي ٢ / ١٤٨، ٧ / ٣٠، مجمع الزوائد للبيهقي ٥ / ١٩٥، ٩ / ١٦٣ - ١٦٤، المستدرك للحاكم ٣ / ١٧، ١٠٩، ١٤٨، سنن الدارمي ٢ / ٤٣١، مشكل الآثار للطحاوي ٤ / ٣٦٨، صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨، أسد الغابة لابن الأثير ٢ / ١٣، ٣ / ١٤٧، حلية الأولياء لأبي نعيم ١ / ٣٥٥، ٩ / ٦٤، ابن تيمية: رسالة فضل أهل البيت وحقوقهم ٧٥، ٩٠٨٦، ١١٧).
(٤) سورة آل عمران: آية ٦١.
(٥) أنظر أدلة أخرى (محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٥٨ - ٢٦١).

ومن المعروف أن آية التطهير، وحديث الثقلين، من أهم الأدلة - عند
الشيعة الإمامية خاصة - في حصر الإمامة في سيدنا الإمام علي بن أبي طالب
- رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - وأولاده من بعده، وبهذا احتج
الإمام الرضا على الخليفة المأمون، وأكد أن الوراثة فيهم، لا في غيرهم.
وسأل المأمون الإمام الرضا فقال. يا أبا الحسن، إني فكرت في أمرنا
وأمركم، ونسبنا ونسبكم، فوجدت الفضيلة فيه واحدة، ورأيت اختلاف شيعتنا
في ذلك، محمولا على الهوى والعصبية؟.
فقال الإمام الرضا: لو أن الله تعالى بعث محمدا (صلى الله عليه وسلم)، من وراء أكمة
من
هذه الأكمات، فخطب إليك ابنتك، أكنت تزوجه إياها؟.
فقال المأمون: سبحان الله، وهل أحد يرغب عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
فقال الرضا: أفتراه يحل له أن يخطب إلي؟.
قال: فسكت المأمون، ثم قال: أنتم والله أمس برسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
رحما (١).
وسأل المأمون الإمام الرضا يوما، فقال: ما يقول بنو أبيك في جدنا
العباس بن عبد المطلب؟.
فقال الإمام الرضا: ما يقولون في رجل فرض الله طاعة بنيه على خلقه،
وفرض طاعته على بنيه فأمر له المأمون بألف درهم (٢).
٥ - المأمون وولاية العهد للإمام الرضا:
اختلفت الآراء بالنسبة لموقف المأمون بالنسبة للعلويين، فمن قائل: إنه
كان شديد الميل إليهم - طبعا لا تكلفا - يقول السيوطي: وفي سنة إحدى

----
(١) المفيد: الفصول المختارة من العيون والمحابس ١ / ١٥ - ١٦، نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ٢٧٣ - ٢٧٤.
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٧١.

ومائتين خلع المأمون أخاه المؤتمن من العهد، وجعل ولي العهد من بعده، " علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق "، حمله على ذلك إفراطه في التشيع، حتى قيل: إنه هم أن يخلع نفسه، ويفوض الأمر إليه، وهو الذي لقبه " الرضا "، وضرب الدراهم باسمه، وزوجه ابنته، وكتب إلى الآفاق بذلك، وأمر بترك السواد، ولبس الخضرة (١).

هذا وكان الخليفة المأمون يحرص على حضور جنائز رؤساء العلويين، مثل " يحيى بن الحسين بن زيد " الذي صلى عليه بنفسه، ورأى الناس عليه من الحزن والكآبة ما تعجبوا منه، على حين أرسل أخاه " صالحا " لينوب عنه في جنازة أحد العباسيين الأقرباء، وقد مات بعد " يحيى " بقليل، فلما عزى صالح أم المتوفى - وهي زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، ابنة عم الخليفة المنصور - وكانت لها عند العباسيين هيبة ومنزلة عظيمة، واعتذر عن تخلفه عن الصلاة عليه، ظهر غضبها، وقالت لحفيدها: تقدم فصل على أبيك، وتمثلت بقول الشاعر:

سبكناه ونحسبه لجينا * فأبدى الكير عن خبث الحديد

ثم قالت لصالح: قل له يا ابن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد " لوضعت ذيلك على فيك، وعدوت خلف جنازته ".

وحين مات " محمد بن جعفر " - وكان قد أرسل إلى خراسان بعد خروجه على المأمون - دخل المأمون بين عمودي السرير، فحمله حتى وضعه في لحده، وقال: هذه رحم مجوفة منذ مائتي سنة، وقضى دينه، وكان عليه نحو ثلاثين ألف دينار.

ويرى بعض الباحثين أن المأمون - كما سنرى - إنما كان يفضل الإمام

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ (القاهرة ١٩٦٤).

علي بن أبي طالب على غيره من الخلفاء الراشدين، ويرى أنه أحق بالخلافة منهم، ويرجعون هذا الاعتقاد إلى تأثير البيئة التي تربى فيها المأمون، فإنه كان في أول أمره في حجر " جعفر البرمكي " ثم انتقل إلى " الفضل بن سهل "، وكلاهما يضمر التشيع، فاختمرت عنده هذه الفكرة - على غير ما كان عليه آباؤه - ولهذا كان المأمون يعامل الطالبيين معاملة تناسب اعتقاده في فضل أبيهم، وظل على عقيدته هذه إلى آخر حياته (١).
ويستدل هذا الفريق على صحة رأيه بما رواه الطبري في تاريخه،
والذهبي في دول الإسلام، والسيوطي في تاريخ الخلفاء من أنه في سنة إحدى عشرة ومائتين أمر بأن ينادي: " برئت الذمة ممن ذكر معاوية بن أبي سفيان بخير، وأن أفضل الخلق - بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) - علي بن أبي طالب " (٢).
ويروي المسعودي: أنه في سنة اثنتي عشرة ومائتين نادى منادي المأمون:
" برئت الذمة من أحد الناس ذكر معاوية بخير، أو قدمه على أحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتكلم في شئ من التلاوة أنها مخلوقة، وغير ذلك، وتنازع
الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية، فقيل في ذلك أقاويل، منها أن بعض سماره حدث بحديث عن مطرق بن المغيرة بن شعبة الثقفي.
وقد ذكر هذا الخبر " الزبير بن بكار " (١٧٢ ه / ٧٨٨ م - ٢٥٦ ه / ٨٧٠ م) في كتاب " الموفقيات " قال: سمعت المدائني يقول: قال مطرق بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة إلى معاوية، فكان أبي يأتيه يتحدث عنده ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب مما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة

---

(١) محمد مصطفى هدارة: المأمون - الخليفة العالم - القاهرة ١٩٦٦ ص ٧٠ - ٧١ (أعلام العرب رقم ٩٥).
(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨، تاريخ الطبري ١٠ / ٢٤٣.

فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتما، فانتظرته ساعة، وظننت أنه لشئ حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: ما لي أراك مغتما منذ الليلة.
قال: يا بني إني جئت من عند أخبث الناس، قلت له: وما ذاك؟ قال:
قلت له وقد خلوت به: إنك قد بلغت منا يا أمير المؤمنين، فلو أظهرت عدلا، وبسطت خيرا، فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوانك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شئ تخافه.
فقال لي: هيهات هيهات، ملك أخو " تيم " فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو " عدي "، فاجتهد وشمر عشر سنين، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره، وذكر ما فعل به، وأن أخا هاشم (وفي رواية ابن أبي كبشة) يصرخ به في كل يوم خمس مرات: " أشهد أن محمدا رسول الله "، فأي عمل يبقى مع هذا؟ لا أم لك، والله إلا دفنا دفنا (١).
وأن المأمون لما سمع هذا الخبر، بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وضعنا، وأنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر، فأعظم الناس ذلك وأكبروه، واضطربت العامة منه، فأشير عليه بترك ذلك، فأعرض عما كان هم به (٢).
هذا فضلا عن وصية المأمون (١٩٨ - ٢١٨ ه‍ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) لأخيه المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ ه‍ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) والتي يقول فيها " وهؤلاء بنو

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٤٢٩ - ٤٣٠ (بيروت ١٩٨٢)، ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥ / ١٢٩ - ١٣٠ (بيروت ١٩٦٥) (وانظر مخالفة معاوية للسنة في أمور عدة شرح نهج البلاغة ٢ / ١٣٠ - ١٣١).
(٢) المسعودي ٢ / ٤٣٠.

عمك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فأحسن صحبتهم وتجاوز عن سيئتهم، واقبل من محسنهم، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى " (١).

وفي الكامل: قال: " يا أبا إسحاق، عليك عهد الله وميثاقه، وذمة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لتقومن بحق الله في عباده، ولتؤثرن طاعة الله على معصيته، إذ أنا

نقلتها من غيرك إليك، قال: اللهم نعم، قال: هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي - صلوات الله عليه - فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأقبل من محسنهم، ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى " (٢).

ويمكن أن نفسر في ضوء هذا الاعتقاد، ما قاله المأمون للسيدة زينب بنت سليمان بن علي، التي كان العباسيون يعظمونها - كما أشرنا آنفا - حين سألته عما دعاه من نقل الخلافة من بيته إلى بيت الإمام علي بن أبي طالب، قال: يا عمة، إني رأيت عليا حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس، وما رأيت أحدا من أهل بيتي، حين أفضى الأمر إليهم، كافؤوه على فعله في ولده، فأحببت أن أكافئه على إحسانه (٣).

وأسند الصولي: أن بعض آل بيته (أي بيت المأمون) قال: إنك على بر أولاد علي بن أبي طالب، والأمر فيك، أقدر منك على برهم، والأمر فيهم، فقال: إنما فعلت ما فعلت، لأن أبا بكر لما ولي لم يول أحدا من بني هاشم شيئا، ثم عمر ثم عثمان كذلك، ثم ولي علي فولى عبد الله بن عباس البصرة، وعبيد الله اليمن، ومعبدا مكة، وقثم البحرين، وما ترك أحدا منهم حتى ولاه

---

(١) محمد مصطفى هدارة: المأمون ص ٧١ - ٧٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٦ / ٤٣١، وانظر تاريخ الطبري ١٠ / ٢٩٥.

(٣) محمد مصطفى هدارة: المأمون ص ٧٢.

شيئا، فكانت هذه منة في أعناقنا، حتى كافأته في ولده بما فعلت (١).
والمأمون حين قال ذلك، وحين كتب وصيته، وحين أخذ المواثيق على أخيه المعتصم - وهو يحتضر - كان بعيدا عن تأثير " الفضل بن سهل "، بعد أن قضى الأخير نحبه منذ زمن طويل، وإن كان اعتقاده - مع ذلك - لا يخلو من تأثير قديم، صحب نشأته.
على أن هناك وجها آخر للنظر، يذهب أصحابه إلى أن التشيع إنما كان قد انتشر في عهد المأمون - فضلا عن عهد أبيه من قبله - حتى امتدت جذوره إلى البلاط الملكي، فكان الفضل بن سهل، ذو الرياستين، وزير المأمون شيعيا، وكذلك كان " طاهر بن الحسين الخزاعي " قائد المأمون، الذي فتح له بغداد، وقتل أخاه الأمين (١٩٣ - ١٩٨ ه‍ - / ٨٠٨ - ٨١٣ م) وكثير سواهما، كانوا شيعة، حتى أن المأمون خشي عاقبة هذين الرجلين، فقتل الفضل، وولى طاهرا إمارة هرات - أي عزله عن قيادة الجيش إلى وظيفة أدنى - وكانت الطاهرية كلها تتشيع - كما قال ابن الأثير في حوادث عام ٢٥٠ ه‍ (٢).
وجاء المأمون إلى الحكم، ورأى ما رأى من كثرة الشيعة، وإقبال الناس على الإمام الرضا، ونقمتهم على أبيه، والحاكمين من أسلافه، فحاول أن يداهن، ويستميل الرأي العام، فأظهر التشيع كذبا ونفاقا، وأخذ يدافع ويناظر عن إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأنه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر، وهو لا يؤمن بشئ إلا بتثبيت ملكه، وتوطيد سلطانه، والغريب أن حيل المأمون قد انطلت على كثير من الشيعة، فظنوا به خيرا.
والحقيقة أن الرشيد والمأمون قد بنيا على أساس واحد، وهو الاحتفاظ بالسلطة، وإن اختلف شكل البناء، فلقد دس الرشيد السم للإمام الكاظم، ودس

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨.
(٢) محمد الحسين المظفري: تاريخ الشيعة ص ٥٠ (ط ١٣٥٣ ه‍)، محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١٦٤ - ١٦٥ الشيعة في الميزان ص ١٦٥ - ١٦٦

المأمون السم للإمام الرضا، ولكن المأمون كان قد أفاد من أخطاء أبيه الرشيد، الذي جاهر بالعداء لأهل البيت، وسجن الإمام الكاظم علنا، ثم اغتاله بأسلوب يدينه، وأفاد المأمون من أخطاء أبيه، فأحكم الخطط، لإخفاء جرائمه وآثامه، وقصته مع الإمام الرضا - كما سنرى - تدل على ذلك بوضوح.

وروي أن الخليفة المأمون اجتمع بالإمام علي الرضا، وقال له: رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، وأجعلها لك.

قال الرضا: إن كانت الخلافة حقا لك، وأنت أهل لها، فلا يجوز أن تخلع نفسك منها، وإن لم يكن لك حق بها، فلا يجوز أن تعطيها لغيرك.

قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر.

قال الرضا: إني بالعبودية (لله) أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالردع عن محارم الله، أرجو الفوز بالمغانم، وبالتواضع أرجو الرفعة عند الله.

قال المأمون: إن لم تقبل الخلافة فكن ولي عهدي.

قال الرضا: لست أفعل ذلك مختارا أبدا.

قال المأمون: إنك تريد بهذا أن يقول الناس عنك، أنك زاهد في الدنيا.

قال الرضا: والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد.

قال المأمون: وما أريد، قال الرضا: تريد أن يقول الناس: إن علي بن موسى الرضا لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد، حين أتيحت له الفرصة.

فغضب المأمون، وقال: والله إن لم تقبل ضربت عنقك.

قال الرضا: إن الله سبحانه قد نهاني أن ألقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان

الأمر كذلك، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل، على: أن لا آمر، ولا أنهى، ولا أقضي، ولا أغير شيئا، فأجابه المأمون إلى ذلك.
وهكذا أراد المأمون أن يري الناس أن الإمام الرضا راغب في الدنيا بقبوله، ولاية العهد، فيسقط محله في قلوبهم، ولكن ما زاده ذلك إلا رفعة وعظمة عندهم، ولما أعيت المأمون الحيل في أمر الرضا اغتاله بالسم.
ومن ثم، فإن موقف المأمون من الإمام الرضا، كموقف أبيه الرشيد من الإمام الكاظم، وموقف جده " المنصور " من الإمام الصادق، وموقف معاوية بن أبي سفيان من الإمام الحسن، لقد هانت دماء الأبرياء والأولياء على حكام الجور من أجل الملك والسلطان، وهانت على المصلحين نفوسهم من أجل الحق (١).
ويروي الحافظ ابن كثير القصة كالتالي: وبايع المأمون لعلي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي بن
أبي طالب، أن يكون ولي العهد من بعده، وسماه " الرضا من آل محمد "، وطرح لبس السواد، وأمر بلبس الخضرة، فلبسها هو وجنده، وكتب بذلك إلى الآفاق، وكانت مبايعته له يوم الثلاثاء لليلتين خلتا من شهر رمضان، سنة إحدى ومائتين، وذلك أن المأمون رأى أن عليا الرضا خير أهل البيت، وليس في بني العباس مثله في عمله ودينه، فجعله ولي عهده من بعده (٢).
ويروي الإمام الطبري (٣): أن علي الرضا لما قدم " مرو " أحسن المأمون وفادته، وجمع رجال دولته وأخبرهم أنه قلب نظره في أولاد العباس، وأولاد

---

(١) الصدوق: عيون الأخبار، محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١٦٧ - ١٦٨ (بيروت ١٩٨١).
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٧ (القاهرة ١٣٥١ ه‍ / ١٩٣٣ م).
(٣) تاريخ الطبري ١٠ / ٤٣، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٢ / ١٨٥ - ١٨٦. القاهرة ١٩٦٤).

علي بن أبي طالب، فلم يجد أحدا أفضل، ولا أورع ولا أعلم منه، لولاية عهده، ولقبه " الرضا من آل محمد " وأمر جنده بطرح السواد - شعار العباسيين - وكتب بذلك إلى الآفاق، وذلك لليلتين خلتا من رمضان عام ٢٠١ ه.

وفي تاريخ اليعقوبي: وبايع المأمون للرضا علي بن موسى بن جعفر، بولاية العهد من بعده، وكان ذلك يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة ٢٠١ ه، وألبس الناس الأخضر مكان السواد، وكتب بذلك إلى الآفاق، وأخذ البيعة للرضا، ودعا له على المنابر، وضربت الدنانير والدراهم باسمه (١).

ويقول المسعودي (٢): ووصل إلى المأمون أبو الحسن علي بن موسى الرضا، وهو بمدينة " مرو " فأنزله المأمون أحسن إنزال، وأمر المأمون بجميع خواص الأولياء، وأخبرهم أنه نظر في ولد العباس، وولد علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، فلم يجد في وقته أحدا أفضل، ولا أحق بالأمر من " علي بن موسى الرضا "، فبايع له بولاية العهد، وضرب اسمه على الدنانير والدراهم، وزوج محمد بن علي بن موسى الرضا بابنته " أم الفضل ". وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، وأظهر بدلا من ذلك الخضرة في اللباس والأعلام وغير ذلك، ونمى ذلك إلى من بالعراق من ولد العباس، فأعظموه، إذ علموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم.

وحج بالناس " إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق " - أخو الرضا بأمر المأمون - واجتمع من في مدينة السلام (بغداد) من ولد العباس ومواليهم وشيعتهم، على خلع المأمون، ومبايعة إبراهيم بن المهدي، المعروف " بابن

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٤٨ (بيروت ١٩٨٠).

(٢) المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٤١٧.

شكلة " فبويع له يوم الخميس لخمس ليال خلون من المحرم، سنة اثنتين ومائتين وقيل: إن ذلك في سنة ثلاث ومائتين.
وفي رواية ابن خلكان: كان المأمون قد زرج علي الرضا ابنته " أم حبيبة " في سنة اثنتين ومائتين، وجعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم، وكان السبب في ذلك أنه استحضر أولاد العباس - الرجال منهم والنساء - وهو بمدينة " مرو " من بلاد خراسان، وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفا، ما بين الكبار والصغار، واستدعى علي الرضا، فأنزله أحسن منزلة، وجمع خواص الأولياء وأخبرهم: أنه نظر في أولاد العباس، وأولاد علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، فلم يجد في وقته أحدا أفضل، ولا أحق بالأمر، من علي الرضا، فبايعه، وأمر بإزالة السواد من اللباس والأعلام، ونمى الخبر إلى من بالعراق من أولاد العباس، فعلموا أن في ذلك خروج الأمر عنهم، فخلعوا المأمون، وبايعوا إبراهيم المهدي - وهو عم المأمون - وذلك يوم الخميس لخمس خلون من المحرم سنة اثنتين ومائتين، وقيل: سنة ثلاث ومائتين (١).
على أن هناك اتجاها يذهب إلى أن " الفضل بن سهل " إنما هو الذي كان من وراء تولية المأمون للرضا ولاية العهد، ذلك أن المأمون عندما بلغه موت أبيه الرشيد، ورجوع رجاله إلى أخيه " الأمين " بالأموال والأحمال، وقد نكثوا عهده، خاف على نفسه فجمع خاصته في " مرو " وشاورهم في الأمر، وأظهر لهم ضعفه، وأنه لا يقوى على أخيه، فنشطوه ووعدوه خيرا، وقال له الفضل بن سهل: أنت نازل في أخوالك، وبيعتك في أعناقهم، اصبر، وأنا أضمن لك الخلافة، فاطمأن خاطر المأمون بهذا الوعد الصريح وقال له: صبرت: وجعلت الأمر لك، فقم به " وسماه ذا الرياستين " - أي رياسة السيف والقلم - وجهز الفضل الجيوش بقيادة " طاهر بن الحسين "، وانتهت الحرب بفتح بغداد، وقتل

----

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠.

الأمين عام ١٩٨ ه، وحملت رأسه إلى المأمون في خراسان، وأصبح الفضل صاحب الكلمة النافذة في الدولة، وولى أخاه " الحسن بن سهل " كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن، على أن يكون مقامه في بغداد.
وبذل الفضل كل جهده في تحريض المأمون على بيعة الإمام علي الرضا بولاية العهد من بعده، وربما كانت تلك البيعة شرطا لمساعدته في استرجاع الخلافة له، وربما حسن الفضل له ذلك، وإن لم يشترطه، فأجابه المأمون إلى ذلك، إما وفاء لوعده، أو مجاراة له للمكر به، أو أنه فعله عن حسن ظن في العلويين، وقد رضع حب الشيعة منذ طفولته، وكان يظهر التشيع، فبايع لعلي الرضا سنة ٢٠١ ه، وجعله الخليفة من بعده، ولقبه " الرضا من آل محمد "، وأمر جنده بطرح السواد، ولبس الخضرة، وكتب بذلك إلى الآفاق (١).
هذا وتذهب رواية إلى أن " الفضل بن سهل " لم يفعل ذلك حبا للإمام علي الرضا، يروي الجهشياري أن كلاما دار بين الفضل وبين " نعيم بن أبي حازم " - بحضرة المأمون - فقال له نعيم: إنك تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي، ثم تحتال لتجعل الملك كسرويا، ولولا أنك أردت ذلك، لما عدلت عن لبسه إلى علي وولده وهي البياض إلى الخضرة، وهي لباس كسرى والمجوس (٢)، هذا فضلا عن الخلاف الذي حدث بين الإمام الرضا والفضل بن سهل بعد البيعة.
هذا ويذهب " ابن طباطبا " (٣) إلى أن الفضل بن سهل، وزير المأمون، هو

---

(١) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ٣ / ٤٣٨ - ٤٣٩ (بيروت ١٩٦٧).
(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص ٣١٢ - ٣١٣ (القاهرة ١٩٣٨).
(٣) ابن طباطبا: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، الحجازي الأصل، المصري الدار والوفاة، كان طاهرا فاضلا كريما، واسع الثراء، ولد عام ٢٨٦ ه، وتوفي في الرابع من رجب عام ٣٤٨ ه، ودفن بقرافة مصر، وقبره مشهور بإجابة الدعاء، روي أن رجلا حج وفاته أن يزور النبي (صلى الله عليه وسلم)، فضاق صدره لذلك، فرأى النبي (صلى الله عليه وسلم) في نومه فقال له: إذا فاتتك
الزيارة، فزر قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا (وفيات الأعيان ٣ / ٨١ - ٨٣).

القائم بهذا الأمر (أي بيعة الإمام الرضا) والمحسن له (١)، ويعتقد الدكتور الدوري أن تأثير الفضل بن سهل، ووجود المأمون في خراسان، مما اضطره إلى هذه الخطة (٢).

هذا وتذهب المصادر الإمامية إلى أن هناك أسبابا أخرى - فضلا عن الأسباب التي جاءت في المصادر التاريخية - دفعت المأمون إلى مبايعة الإمام الرضا بولاية العهد، فيذهب الصدوق إلى أن المأمون إنما كان يعتقد أن الإمام الرضا إنما كان يدعو إلى نفسه في السر، فأراد أن يجعله ولي عهده، وبالتالي يعترف بخلافة العباسيين وملك المأمون، وليعتقد فيه المفتونون به، أنه ليس مما ادعى من قليل ولا كثير، وإن هذا الأمر لهم دونه (أي للعباسيين) (٣).

وهكذا كان الخلفاء العباسيون يعتقدون أن الأئمة إنما يدعون إلى أنفسهم، ويطلبون الخلافة، وإن لم يخرج منهم أحد، لاتخاذهم الجانب السلبي تجاه الأحداث السياسية، بعد أن رأوا أنه لا جدوى من الخروج، غير أن الواضح أن الخلفاء العباسيين إنما كانوا يخشون أتباع الأئمة الذين كانوا يعتقدون في إمامتهم، وينكرون شرعية الحكم العباسي (٤).

هذا إلى أن منزلة الأئمة عند الناس، وما كانوا يتمتعون من تقدير وإجلال، إنما قد أثار خوف العباسيين، يروي الكليني عن الإمام الرضا قوله: " والله ما زادني هذا الأمر الذي دخلت فيه من نعمة عندي شيئا، ولقد كنت بالمدينة، وكتابي ينفذ في المشرق والمغرب، ولقد كنت أركب حماري وأمر

---

(١) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ص ٢١٧ (بيروت ١٩٦٠).
(٢) عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول ص ٢٠٨ (بغداد ١٩٤٤).
(٣) الصدوق: عيون أخبار الرضا ٢ / ١٧٠.
(٤) نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

في سكك المدينة، وما بها أعز مني، وما كان بها أحد منهم يسألني حاجة يمكنني قضاؤها، إلا قضيتها له " (١).

ويروي الطبرسي - عن ابن نوح قال: قلت للرضا إنا نرجو أن تكون صاحب هذا الأمر، وأن يسديه الله إليك من غير سيف، فقد بويع لك، وضربت الدراهم باسمك، فقال: ما منا أحد اختلفت إليه الكتب، وسئل عن المسائل، وأشارت إليه الأصابع، وحملت إليه الأموال، إلا أغتيل أو مات على فراشه، حتى يبعث الله عز وجل بهذا الأمر، رجلا خفي المولد والمنشأ، غير خفي في نسبه " (٢).

وأما قصة اختيار الإمام الرضا وليا لعهد المأمون - عند أبي الفرج الأصفهاني (٣) - فيرويها كالتالي:

" وجه المأمون إلى جماعة من آل أبي طالب، فحملوا إليه من المدينة، وفيهم علي بن موسى الرضا، فلما قدموا على المأمون، أنزلهم دارا، وأنزل علي بن موسى الرضا دارا، ووجه إلى الفضل بن سهل، فأعلمه أنه يريد العقد له، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك، ففعل واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما فيه إخراج الأمر من أهله عليه، فقال له: إن عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب، إن ظفرت بالمخلوع، وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل، فاجتمعا معه على ما أراد،

---

(١) الكليني: الكافي ٨ / ١٥١.

(٢) الطبرسي: إعلام الورى بأعلام الهدى ص ٤٠٧ (طهران ١٤٧٩ ه‍).

(٣) أبو الفرج الأصفهاني: هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي، صاحب " الأغاني " و " مقاتل الطالبيين " كان عالما بالأنساب والسير وأيام الناس، ولد عام ٢٨٤ ه‍، وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة عام ٣٥٦ ه‍، ببغداد (وفيات الأعيان ٣ / ٣٠٧ - ٣٠٩، شذرات الذهب ٣ / ١٩ - ٢٠، ميزان الاعتدال ٣ / ١٢٣، معجم الأدباء ١٣ / ٩٤، تاريخ بغداد ١١ / ٣٩٨).

فأرسلهما إلى علي بن موسى الرضا، فعرضا ذلك عليه فأبى، فتهدداه وتهدده المأمون حتى قبل، وحين أجلسه للبيعة جعل ابنه العباس أول المبايعين " (١).
ومن الواضح من هذا النص أن المأمون كانت له رغبة حقيقية في اختيار ولي عهده من آل أبي طالب، وأن فكره قد اتجه إلى " علي الرضا " فأنزله في دار مستقلة، وأن معارضة الحسن بن سهل ربما كانت من تدبير أخيه الفضل حتى يبعدا عن نفسيهما تهمة التأثير على المأمون في هذا الأمر الخطير، وربما كانت فكرة اختيار أحد العلويين فكرتهما في الأصل، وأن اختيار الإمام الرضا إنما كان اختيار المأمون وحده، ومن المعروف أن هناك ودا غير متبادل بين الإمام الرضا وبين الفضل والحسن ابني سهل، وقد نجح الإمام الرضا في إزالة الغشاوة عن عيني المأمون من ناحيتهما، وتبصيره بما كان يحاول الفضل إخفاءه عنه من أحوال البلاد المضطربة حتى أنهم بايعوا عمه " إبراهيم بن المهدي " خليفة بدله، وبدا المأمون وكأنه يسمع ذلك لأول مرة، حتى رد على الإمام الرضا قائلا: " إنهم لم يبايعوا له بالخلافة، وإنما صيروه أميرا يقوم بأمرهم "، بل وأخبر الإمام الرضا عن الحرب التي تدور رحاها بين إبراهيم و " الحسن بن سهيل "، وأن الناس تكره مقام الفضل وأخيه من المأمون (٢).
ولنقدم الآن صورة مختصرة من كتاب العهد الذي كتبه المأمون بخطه للإمام علي الرضا - كما جاء في كتاب الفصول المهمة:
" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد، لعلي بن موسى بن جعفر، ولي عهده، أما بعد، فإن الله عز وجل، اصطفى الإسلام دينا، واختار له من عباده رسلا، دالين عليه، هادين إليه، يبشر أولهم بآخرهم، ويصدق تاليهم ماضيهم، حتى انتهت نبوة الله تعالى إلى محمد (صلى الله عليه وسلم)،

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٣٦٨ - ٣٧٠.
(٢) محمد مصطفى هدارة: المأمون ص ٧٥ - ٧٦.

على فترة من الرسل، ودروس من العلم، وانقطاع من الوحي، واقتراب من
الساعة، فختم الله به النبيين، وجعله شاهدا عليهم، ومهيمنا، وأنزل عليه كتابه
العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم
حميد، فلما انقضت النبوة، وختم الله بمحمد (صلى الله عليه وسلم)، الرسالة، جعل
قوام الدين،
ونظام المسلمين في الخلاقة ونظامها، والقيام بشرائعها وأحكامها ".
" ولم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، وحمل مشاقها، وخبر
مرارة طعمها، وذاقها مسهرا لعينيه، منصبا لبدنه، مطيلا لفكره، فيما فيه عز
الدين، وقمع المشركين، وصلاح الأمة، وجمع الكلمة، ونشر العدل، وإقامة
الكتاب والسنة، منعه ذلك من الخفض والدعة، ومهنأ العيش، محبة أن يلقى الله
سبحانه وتعالى، مناصحا له في دينه، وعباده، ومختارا لولاية عهده، ورعاية
الأمة من بعده، أفضل من يقدر عليه، في دينه وورعه وعلمه، وأرجاهم للقيام
في أمر الله وحقه، مناجيا لله تعالى، بالاستخارة في ذلك، ومسألته الهامة، ما
فيه رضاه وطاعته، في آناء ليله ونهاره، معملا فكره ونظره في طلبه والتماسه،
في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس، وعلي بن أبي طالب، رضي الله عنهم،
مقتصرا ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه، وبالغا في المسألة ممن خفي
عليه أمره، جهده وطاقته، حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم
مشاهدة، واستبرأ أحوالهم معاينة، وكشف ما عندهم مسألة ".
وكانت خبرته – بعد استخارة الله تعالى – وإجهاده نفسه في قضاء حقه في
عباده وبلاده في الفئتين جميعا: علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن
الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، لما رأى من فضله البارع،
وعلمه الذائع، وورعه الظاهر والشائع، وزهده الخالص النافع، وتخليه عن
الدنيا، وتفرده عن الناس، وقد استبان له منذ لم تزل الأخبار عليه منطبقة،
والألسنة عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، والأخبار واسعة، ولما لم يزل يعرف
به من الفضل، يافعا وناشئا، وحدثا وكهلا، فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من

بعده، واثقا بخيرة الله في ذلك، إذ علم الله أنه فعله إيثارا للدين، ونظرا للإسلام
والمسلمين، وطلبا للسلامة، وثبات الحجة، والنجاة في اليوم الذي تقوم فيه
الناس لرب العالمين ".
" ودعا أمير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصته وقواده وخدمه، فبايعه الكل
مطيعين مسارعين، عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده
وغيره ممن هو أشبك رحما، وأقرب قرابة، وسماه " الرضا "، إذ كان مرضيا
عند الله تعالى، وعند الناس، وقد آثر طاعة الله تعالى، والنظر لنفسه
وللمسلمين، والحمد لله رب العالمين ".
" كتبه بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان المعظم، سنة
إحدى ومائتين " (١).
ولنقدم الآن صورة ما على ظهر العهد، بخط الإمام علي بن موسى
الرضا:
" بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الفعال لما يشاء، لا معقب لحكمه،
ولا راد لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وصلاته على نبيه
محمد (صلى الله عليه وسلم)، خاتم النبيين، وآله الطيبين الطاهرين، أقول، وأنا علي بن
موسى بن
جعفر، أن أمير المؤمنين، عضده الله بالسداد، ووفقه للرشاد، عرف من حقنا ما
جهله غيره، فوصل أرحاما قطعت، وأمن نفوسا فزعت، بل أحياها، بعد أن
كانت من الحياة أيست، فأغناها بعد فقرها، وعرفها بعد نكرها، متبعا بذلك
رضا رب العالمين، لا يريد جزءا من غيره، وسيجزي الله الشاكرين، ولا يضيع
أجر المحسنين ".
" وإنه جعل إلي عهده، والإمرة الكبرى، إن بقيت بعده، فمن حل عقدة

----
(١) نور الأبصار ص ١٥٦ - ١٥٧.

أمر الله بشدها، أو فصم عروة أحب الله اتساقها، فقد أباح حريمه، وأحل محرمه، إذ كان بذلك زاريا على الإمام، منتهكا حرمة الإسلام ".
" وخوفا من شتات الدين، واضطراب أمر المسلمين، وحذر فرصة تنتهز، وعلقة تبتدر، جعلت لله تعالى على نفسي عهدا، أن استرعاني أمر المسلمين، وقلدني خلافة العمل فيهم عامة، وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة، أن أعمل فيهم بطاعة الله، وطاعة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا أسفك دما، ولا أبيح فرجا،
ولا مالا، إلا ما سفكته حدوده، وأباحته فرائضه، وأن أتحرى الكفاءة جهدي وطاقتي ".
" وجعلت بذلك على نفسي عهدا مؤكدا، يسألني الله عنه، فإنه عز وجل يقول: وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا، وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت، كنت للعزل مستحقا، وللنكال متعرضا، وأعوذ بالله من سخطه، وإليه أرغب في التوفيق لطاعته، والحول بيني وبين معصيته في عافية، وللمسلمين، والجامعة والجفر، يدلان على ضد ذلك، وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم، إن الحكم إلا لله يقص الحق، وهو خير الفاصلين، لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين، وآثرت رضاه، والله يعصمني وإياه، وأشهدت الله تعالى على نفسي بذلك، وكفى بالله شهيدا ".
" وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، والحاضرين من أولياء نعمته، وخواص دولته، هم: الفضل بن سهل، وسهل بن الفضل، والقاضي يحيى بن أكثم، وعبد الله بن طاهر، وثمامة بن الأشرس، وبشر بن المعتمر، وحماد بن النعمان، وذلك في شهر رمضان، سنة إحدى ومائتين " (١).
ثم بعد ذلك صورة لشهادة الشهود: القاضي يحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر وحماد بن النعمان وبشر بن المعتمر والفضل بن سهل.

---

(١) نور الأبصار ص ١٧٥.

ثم أمر أمير المؤمنين بقراءة هذه الصحيفة - التي هي صحيفة العهد
والميثاق - ظهرا وبطنا، بحرم سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بين الروضة
والمنبر، على
رؤوس الأشهاد، بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم، وسائر الأولياء،
والأجناد، بعد أخذ البيعة عليهم، واستيفاء شروطها، بما أوجبه أمير المؤمنين
من العهد لعلي بن موسى الرضا، لتقوم به الحجة على جميع المسلمين، ولتبطل
الشبهة التي كانت اعترضت لآراء الجاهلين، وما كان الله ليذر المؤمنين على ما
أنتم عليه (١).
هذا وقد كتب الخليفة المأمون إلى " عبد الجبار بن سعد المساحقي "
- عامله على المدينة - أن أخطب الناس، وأدعهم إلى بيعة " الرضا علي بن
موسى " فقام خطيبا فقال:
" يا أيها الناس، هذا الأمر الذي كنتم فيه ترغبون، والعدل الذي كنتم
تنتظرون، والخير الذي كنتم ترجون، هذا " علي بن موسى بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب "، ستة آباء، هم ما هم، من
خير، من يشرب صوب الغمام " (٢).
٦ - وفاة الرضا
هذا وقد اختلف في أمر وفاة الرضا؟ وكيف كان سببه السم الذي سقيه؟
فروي أن المأمون أمره أن يطول أظافره ففعل، ثم أخرج إليه شيئا يشبه التمر
الهندي، وقال له: افركه واعجنه بيديك جميعا ففعل، ثم دخل علي الرضا،
عليه السلام، فقال: ما خبرك؟ فقال: أرجو أن أكون صالحا، فقال: هل جاءك
أحد من المترفقين اليوم، قال: لا، فغضب وصاح على غلمانه، وقال له: فخذ
ماء الرمان فإنه مما لا يستغني عنه، ثم دعى برمان، فأعطاه عبد الله بن بشير،

---

(١) نور الأبصار ص ١٥٧ - ١٥٨.
(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥ / ٣٥٩ (بيروت ١٩٨٣).

وقال له: أعصر ماءه بيدك، ففعل، وسقاه المأمون الرضا بيده فشربه، وكان ذلك سبب وفاته، ولم يلبث إلا يومين، حتى مات عليه السلام.
وروي عن أبي الصلت الهروي، أنه دخل علي الرضا، عليه السلام، بعد ذلك، فقال له: يا أبا الصلت: قد فعلوها، أي سقوني السم.
وروي عن محمد بن الجهم: أن الرضا عليه السلام كان يعجبه العنب، فأخذ له عنب، وجعل في موضع الابر، فتركت أياما، فأكل منه في علته فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم.
ولما توفي الرضا لم يظهر المأمون موته في وقته، وتركه يوما وليلة، ثم وجه إلى محمد بن جعفر بن محمد، وجماعة من آل أبي طالب، فلما أحضرهم أراهم إياه، صحيح الجسد، لا أثر له، بكى، وقال: " عز علي يا أخي أن أراك في هذه الحالة، وقد كنت أؤمل أن أكون قبلك، فأبى الله إلا ما أراد "، وأظهر جزعا شديدا، وحزنا كثيرا، وخرج مع جنازته يحملها حتى أبى الموضع الذي هو مدفون فيه الآن، فدفنه هناك إلى جانب أبيه هارون الرشيد (١).
ويروي اليعقوبي عن أبي الحسن بن أبي عباد قال: رأيت المأمون يمشي في جنازة الرضا، حاسرا في مبطنة بيضاء، وهو بين قائمتي النعش يقول: " إلى من أروح بعدك يا أبا الحسن، وأقام عند قبره ثلاثة أيام، يؤتى في كل يوم برغيف وملح فيأكله، ثم انصرف في اليوم الرابع، وكان سن الرضا أربعا وأربعين سنة (٢).
وفي رواية المسعودي: وفي خلافته (أي المأمون) قبض علي بن موسى

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص ٣٧١ - ٣٧٢.
(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٥٣.

الرضا مسموما بطوس، ودفن هناك، وهو يومئذ ابن تسع وأربعين سنة، وستة أشهر، وقيل غير ذلك (١).
ولعل من الجدير بالإشارة أن الشيعة لا تجد تناقضا بين أن يجد الرضا كل هذه الحظوة لدى المأمون حين بايع له بولاية العهد، وزوجه أخته (الصحيح ابنته)، وبين أن يدس له المأمون السم في العنب، ثم يصلي عليه، ويدفنه بجوار قبر أبيه الرشيد في مشهده بطوس، فقد أصبح مقدرا على الأئمة - منذ الإمام الحسين بن علي - أن يكون قاتلوهم هم الخلفاء، أو بإيعاز منهم (٢).
هذا ولما كان الإمام علي الرضا مات شهيدا، فقد أقيمت حول قبره مدينة جديدة يعيش فيها زوار قبر الإمام، والمتبركون به، سميت " المشهد الرضوي " أو " مشهد " والتي أخذت بالتدريج تأخذ مكان مدينة " طوس " القديمة، حتى قضت عليها، وغدت تمثل الآن أكبر عتبات الشيعة المقدسة - بجوار كربلاء والنجف - وهكذا يحق للشيعة أن يذكروا أن مدفن الإمام علي الرضا في طوس - والذي يعد من أكبر مزارات الشيعة بجوار مدفن هارون الرشيد - وهو من كان في عليائه وجبروته، وذيوع صيته، حتى فاقت شهرته جميع الخلفاء - يحق للشيعة أن يذكروا أن قبر الرشيد هذا، إنما قد اندرس، وأهمل شأنه، بينما ظهر قبر الإمام الرضا، يقصده زوار الشيعة، ومحبي آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، من أطراف
البلاد، وشاسع الأمصار، وهكذا يعلو شأن الأئمة الروحيين بعد مماتهم، بينما لا يعار سلاطين الأرض، أدنى اهتمام منذ اللحظة التي توارى فيها أجسادهم التراب (٣).
وروى ابن خلكان (٤) (٦٠٨ - ٦٨١ ه) أن بعض أصحاب أبي نواس

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٣٩٥.
(٢) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٧٨.
(٣) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٨٩.
(٤) وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٠ - ٢٧١.

- الشاعر المشهور - قال له: ما رأيت أقبح منك، ما تركت حمرا، ولا طردا، ولا معنى، إلا قلت فيه شيئا، وهذا " علي بن موسى الرضا " في عصرك لم تقل فيه شيئا، فقال: والله ما تركت ذلك، إلا إعظاما له، وليس قدر مثلي أن يقول في مثله، ثم أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

قيل لي أنت أحسن الناس طرا * في فنون الكلام النبيه

لك من جيد القريض مديح * يثمر الدر في يدي مجتنيه

فعلام تركت مدح ابن موسى * والخصال التي تجمعن فيه

قلت لا أستطيع مدح إمام * كان جبريل خادما لأبيه

وفي الإمام علي الرضا يقول أيضا:

مطهرون نقيات جيوبهم * تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه * فما له في قديم الدهر مفتخر

الله لما أبرأ خلقا فأتقنه * صفاكم واصطفاكم أيها البشر

فأنتم الملأ الأعلى وعندكم * علم الكتاب وما جاءت به السور

٧ - موقف المأمون من الإمام علي بن أبي طالب:

رأينا من قبل كيف أمر المأمون في عام ٢١١ ه، بأن ينادي: برئت الذمة من ذكر معاوية بخير، وأن أفضل الخلق - بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) - علي بن أبي طالب (٢).

ولعل رواية الفقيه ابن عبد ربه في عقده الفريد، إنما تشير بوضوح إلى عقيدة المأمون من الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة -.

روى ابن عبد ربه في العقد الفريد: " أن إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨.

عن حماد بن زيد قال: بعث إلي يحيى بن أكثم (١) وإلى عدة من أصحابي، وهو يومئذ قاضي القضاة، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن حضر معي غدا مع الفجر أربعين رجلا، كلهم فقيه، يفقه ما يقال له، ويحسن الجواب، فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين، فسمينا له عدة، وذكر هو عدة، حتى تم العدد الذي أراد، وكتب تسمية القوم، وأمر بالبكور في السحر، وبعث إلى من لم يحضره، فأمره بذلك، فغدونا عليه قبل طلوع الفجر، فوجدناه قد لبس ثيابه، وهو جالس ينتظرنا ".

" فركب وركبنا معه، حتى صرنا إلى الباب، فإذا بخادم واقف، فلما نظر إلينا قال: يا أبا محمد، أمير المؤمنين ينتظرك، فأدخلنا، فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها، فلم نستتم حتى خرج الرسول، فقال: ادخلوا، فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه، وعليه سواده وطيلسانه، والطويلة وعمامته، فوقفنا وسلمنا، فرد السلام، وأمر لنا بالجلوس، فلما استقر بنا المجلس، انحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه، ووضع قلنسوته، ثم أقبل علينا، فقال: إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك، وأما الخف فمنع من خلعه علة، من قد عرفها منكم،

---

(١) يحيى بن أكثم: من ولد أكثم بن صيفي التميمي، حكيم العرب، كان عالما بالفقه، بصيرا بالأحكام، ذكره الدارقطني في أصحاب الشافعي، وقال الخطيب في تاريخ بغداد: كان يحيى بن أكثم سليما من البدعة، ينتحل مذهب أهل السنة، سمع عبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وغيرهما، وروى عنه أبو عيسى الترمذي وغيره، وكان يحيى من أعلام الدنيا، وكان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، قائم بكل معضلة، وغلب على المأمون، حتى لم يتقدمه أحد غيره من الناس جميعا وكان المأمون ممن برع في العلوم، فعرف من حال يحيى بن أكثم، وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه، حتى قلده قضاء القضاة، وتدبير أهل مملكته، فكانت الوزراء لا تعلم في تدبير الملك شيئا، إلا بعد مطالعة يحيى، وقد توفي يحيى بن أكثم في خلافة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ ه‍) وذلك في يوم الجمعة منتصف ذي الحجة عام ٢٤٢ ه‍ بالربذة، وهو في طريقه من مكة إلى العراق، وقبل توفي في غزة سنة ٢٤٣ ه‍، وعمره ثلاث وثمانون سنة (وفيات الأعيان ٦ / ١٤٧ - ١٦٥، أخبار القضاة لوكيع ٢ / ١٦١، طبقات الحنابلة ١ / ١٤٠، النجوم الزاهرة ٢ / ٢١٧، ٣٠٨، مرآة الجنان ٢ / ١٣٥، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٦١، شذرات الذهب ٢ / ١٠١ - ١٠٢).

فقد عرفها، ومن لم يعرفها فسأعرفه بها، ومد رجله، وقال: انزعوا قلانسكم
وخفافكم وطيالستكم، قال: فأمسكنا، فقال لنا يحيى: انتهوا إلى ما أمركم به
أمير المؤمنين، فتنحينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا وقلانسنا ورجعنا ".
" فلما استقر بنا المجلس قال: إنما بعثت إليكم معشر القوم في المناظرة،
فمن كان به شئ من الأخبثين لم ينتفع بنفسه، ولم يفقه ما يقول، فمن أراد
منكم الخلاء فهناك، وأشار بيده، فدعونا له، ثم ألقى مسألة من الفقه، فقال: يا
أبا محمد، قل، وليقل القوم من بعدك، فأجابه يحيى، ثم الذي يلي يحيى، ثم
الذي يليه حتى أجاب آخرنا في العلة، وعلة العلة، وهو مطرق لا يتكلم، حتى
إذا انقطع الكلام، التفت إلى يحيى فقال: يا أبا محمد: أصبت الجواب،
وتركت الصواب في العلة، ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته، ويخطئ
بعضنا، ويصوب بعضنا، حتى أتى على آخرنا ".
ثم قال: إني لم أبعث فيكم لهذا، ولكني أحببت أن أنبئكم أن
أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه، الذي هو عليه، والذي يدين الله به،
قلنا: فليفعل أمير المؤمنين - وفقه الله - فقال: إن أمير المؤمنين يدين الله على أن
" علي بن أبي طالب " خير خلق الله - بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) - وأولى
الناس بالخلافة
له ".
قال إسحاق: فقلت يا أمير المؤمنين، إن فينا من لا يعرف ما ذكر
أمير المؤمنين في " علي "، وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة.
قال: يا إسحاق، اختر، إن شئت سألتك، وإن شئت أن تسأل، فقل.
فقال إسحاق: فاغتنمتها منه، فقلت: بل أسألك يا أمير المؤمنين، قال:
سل، قلت: من أين قال أمير المؤمنين: إن علي بن أبي طالب، أفضل الناس،
بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأحقهم بالخلافة بعده؟

قال: يا إسحاق، أخبرني عن الناس، بم يتفاضلون حتى يقال: فلان
أفضل من فلان؟.
قلت: بالأعمال الصالحة، قال صدقت قال: فأخبرني عمن فضل
صاحبه على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ثم إن المفضول عمل بعد وفاة
رسول الله
بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أيلحق به؟.
قال: فأطرقت، فقال لي: يا إسحاق، لا تقل نعم، فإنك إن قلت نعم
أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهادا وحجا وصياما وصلاة وصدقة.
فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، لا يلحق المفضول على عهد
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، الفاضل أبدا.
قال يا إسحاق، فانظر ما رواه لك أصحابك، ومن أخذت عنهم دينك.
وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب، فقس عليها ما أتوك به من
فضائل أبي بكر، فإن رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي، فقال: إنه أفضل منه.
لا والله، ولكن فقس إلى فضائله، ما روي لك من فضائل أبي بكر
وعمر، فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده، فقل إنهما أفضل منه، ولا
والله، ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان، فإن وجدتها مثل
فضائل علي، فقل إنهم أفضل منه، لا والله قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالجنة، فإن وجدتها تشاكل فضائله، فقل: إنهم
أفضل منه.
قال: يا إسحاق: أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)؟.
قلت: الإخلاص بالشهادة، قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم،
قال: إقرأ ذلك في كتاب الله تعالى، يقول: (والسابقون السابقون أولئك

المقربون) (١)، إنما عنى من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحدا سبق عليا إلى
الإسلام؟.
قلت: يا أمير المؤمنين، إن عليا أسلم وهو حديث السن، لا يجوز عليه
الحكم، وأبو بكر سلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم.
قال: أخبرني أيهما أسلم قبل، ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال.
قلت: علي أسلم قبل أبي بكر، على هذه الشريطة.
فقال: نعم، فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم: لا يخلو من أن يكون
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، دعاه إلى الإسلام، أو يكون إلهاما من الله؟.
قال: فأطرقت، فقال لي: يا إسحاق، لا تقل إلهاما، فتقدمه على
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لأن الرسول (صلى الله عليه وسلم)، لم يعرف
الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله
تعالى.
قال: أجل بل دعاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إلى الإسلام.
قال: يا إسحاق، فهل يخلو رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حين دعاه إلى الإسلام،
من
أن يكون دعاه بأمر الله، أو تكلف ذلك من نفسه. قال: فأطرقت.
فقال: يا إسحاق، لا تنسب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إلى التكلف، فإن الله
يقول:
(وما أنا من المتكلفين) (٢)، قلت: أجل يا أمير المؤمنين، بل دعاه بأمر الله.
قال: فهل من صفة الجبار، جل ثناؤه، أن يكلف رسله دعاء من لا يجوز
عليه حكم؟ قلت: أعوذ بالله فقال: أفتراه في قياس الناس قولك يا إسحاق، " إن
عليا أسلم صبيا، لا يجوز عليه الحكم " إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد كلف
من دعاء

----

(١) سورة الواقعة: آية ١٠.
(٢) سورة ص: آية ٨٦.

الصبيان ما لا يطيقون، فهو يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة، فلا يجب
عليهم في ارتدادهم شئ، ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه الصلاة والسلام،
أنى هذا جائزا عندك أن تنسبه إلى الله عز وجل؟ قلت: أعوذ بالله.
قال: يا إسحاق، فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)، عليا
على هذا الخلق، إبانة بها منهم، ليعرف مكانه وفضله، ولو كان الله تبارك
وتعالى أمره بدعاء الصبيان لدعاهم، كما دعا عليا؟ قلت: بلى.
قال: فهل بلغك أن رسول (صلى الله عليه وسلم)، دعا أحدا من الصبيان من أهله
وقرابته
- لئلا نقول إن عليا ابن عمه -؟ قلت: لا أعلم، ولا أدري فعل أم لم يفعل.
قال: يا إسحاق، رأيت ما لم تدره، ولم تعلمه، هل تسأل عنه؟ قلت:
لا.
قال: فدع ما وضعه الله عنا وعنك.
قال: ثم أي الأعمال كانت أفضل، بعد السبق إلى الإسلام؟ قلت: الجهاد
في سبيل الله.
قال: صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ما تجد
لعلي في الجهاد؟.
قلت: في أي وقت؟ قال: في أي الأوقات شئت، قلت: بدر.
قال: لا أريد غيرها؟ فهل تجد لأحد، إلا دون ما تجد لعلي يوم بدر؟.
أخبرني: كم قتلى بدر؟ قلت: نيف وستون رجلا من المشركين.
قال: فكم قتلى علي وحده؟ قلت: لا أدري، قال ثلاثة وعشرين أو اثنين
وعشرين، والأربعون لسائر الناس.
قلت: يا أمير المؤمنين، كان أبو بكر مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في عريشه.
قال: يصنع ماذا؟ قلت: يدبر، قال: ويحك، يدبر دون رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)، أو

يكون معه شريكا أو افتقارا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إلى رأيه؟ أي الثلاث أحب إليك؟.
قلت: أعوذ بالله أن يدبر أبو بكر، دون رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، أو يكون معه
شريكا، أو أن يكون برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، افتقارا إلى رأيه.
قال: فما الفضيلة بالعريش، إذا كان الأمر كذلك؟ قلت: يا
أمير المؤمنين، كل الجيش كان مجاهدا.
قال: صدقت، كل مجاهد، ولكن الضارب بالسيف، المحامي عن
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وعن الجالس، أفضل من الجالس، أما قرأت كتاب الله (لا
يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر، والمجاهدون في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين
درجة، وكلا وعد الله الحسنى، وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا
عظيما) (١).
قلت: وكان أبو بكر وعمر مجاهدين، قال: فهل كان لأبي بكر وعمر
فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم، قال: فكذلك، سبق الباذل
نفسه فضل أبي بكر وعمر، قلت: أجل.
قال: يا إسحاق، هل تقرأ القرآن؟ قلت: نعم.
قال: إقرأ علي (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا
مذكورا) فقرأت منها حتى بلغت قوله: (يشربون من كأس كان مزاجها
كافورا) إلى قوله تعالى: (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
وأسيرا) (٢).
قال: فهل بلغك أن عليا حين أطعم المسكين واليتيم والأسير، قال: إنما
.

----

(١) سورة النساء: آية ٩٥.
(٢) سورة الإنسان: آية ١ - ٨

نطعمكم لوجه الله؟ وهل سمعت الله وصف في كتابه أحدا بمثل ما وصف به عليا؟ قلت: لا.

قال: صدقت، لأن الله، جل ثناؤه، عرف سيرته، يا إسحاق، ألست تشهد أن العشرة في الجنة؟.

قلت: بلى يا أمير المؤمنين. قال: أرأيت لو أن رجلا قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا، ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله، أكان عندك كافرا؟ قلت: أعوذ بالله.

قال: أرأيت لو أنه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا؟ كان كافرا؟ قلت: نعم.

قال: يا إسحاق، أرى بينهما فرقا، يا إسحاق: أتروي الحديث؟ قلت: نعم، قال: فهل تعرف حديث الطير (١)، قلت نعم، قال: فحدثني به. قال:

____

(١) روى الإمام أحمد في الفضائل بسنده عن ثابت البجلي عن سفينة قال: أهدت امرأة من الأنصار إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، طيرين مع رغيفين، فقدمت إليه الطيرين فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): اللهم ائتني
بأحب خلقك إليك وإلى رسولك، ورفع صوته، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): من هذا، فقال: علي:
قال: فافتح له، ففتحت، فأكل مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الطيرين، حتى فنيا (فضائل الصحابة ٢ / ٥٦٠ - ٥٦٢)، وروى الترمذي بسنده عن السدي عن أنس بن مالك قال: كان عند النبي (صلى الله عليه وسلم)
طير، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير، فجاء علي، فأكله معه
(صحيح الترمذي ٢ / ٢٩٩، وقال الترمذي: وقد روي من غير وجه عن أنس).
وروى الحاكم في المستدرك (٣ / ١٣٠) بسنده عن يحيى بن سعيد عن أنس بن مالك قال:
كنت أخدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فقدم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فرخ مشوي، فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك
إليك يأكل معي هذا الطير، فقلت: اللهم اجعله رجلا من الأنصار، فجاء علي، فقلت: إن
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على حاجة، ثم جاء فقلت: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) على حاجة، ثم جاء فقال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): افتح، فدخل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما حبسك علي، فقال: إن هذه آخر ثلاث
يردني أنس، يزعم أنك على حاجة، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ فقلت: رسول الله
سمعت دعاءك، فأحببت أن يكون رجلا من قومي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إن الرجل قد يحب قومه
(قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين، ثم قال: وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه
زيادة على ثلاثين نفسا، ثم صحت الرواية عن علي وأبي سعيد وأنس)، والحديث رواه الترمذي (٢ / ٢٩٩، ٥ / ٦٣٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (٩ / ١٢٥ - ١٢٦) وأبو نعيم في الحلية
(٦ / ٣٣٩) والخطيب البغدادي في تاريخه (١٣ / ١٧١) وابن الأثير في أسد الغابة (٤ / ١١٠ - ١١١)

والمتقي الهندي في كنز العمال (٦ / ٤٠٦) والمحب الطبري في الذخائر (ص ٦١) وفي الرياض النضرة (٢ / ٢١١)، وانظر: السيد مرتضى الحسين الفيروزآبادي في (فضائل الخمسة الصحاح الستة ٢ / ١٨٩ - ١٩٥ - ط بيروت ١٩٧٣).

فحدثته الحديث، فقال: يا إسحاق، إني كنت أكلمك، وأنا أظنك خير معاند
للحق، فأما الآن، فقد بان لي عنادك، إنك توقن أن هذا الحديث صحيح.
قلت: نعم، رواه من لا يمكنني رده.
قال: أرأيت أن من أيقن أن هذا الحديث صحيح، ثم زعم أن أحدا أفضل
من علي، لا يخلو من إحدى ثلاثة: من أن تكون دعوة رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)، عنده
مردودة عليه، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه، وكان المفضول أحب إليه،
أو أن يقول: إن الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول، فأي الثلاثة أحب
إليك أن تقول، فأطرقت.
ثم قال: يا إسحاق، لا تقل منها شيئا، فإنك إن قلت منها شيئا استنبتك،
وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه، فقله، قلت: لا أعلم،
وإن لأبي بكر فضلا.
قال: أجل، لولا أن له فضلا، لما قيل إن عليا أفضل منه، فما فضله
الذي قصدت له الساعة؟.
قلت: قول الله عز وجل (ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا
تحزن إن الله معنا) (١) فنسبه إلى صحبته.
قال: يا إسحاق، أما إني لا أحملك على الوعر من طريقك، إني
وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه، ورضي عنه كافرا، وهو قوله
تعالى: (فقال له صاحبه وهو يحاوره، أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من

----

(١) سورة التوبة: آية ٤٠.

نطفة ثم سواك رجلا، لكنا هو الله ربي، ولا أشرك بربي أحدا) (١).
قلت: إن ذلك صاحب كان كافرا، وأبو بكر مؤمن
قال: فإذا أجاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافرا، جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمنا، وليس بأفضل المؤمنين، ولا الثاني ولا الثالث.
قلت: يا أمير المؤمنين، إن قدر الآية عظيم، إن الله تعالى يقول: (ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا).
قال: يا إسحاق، تأبى الآن إلا أن أخرج إلى الاستقصاء عليك، أخبرني عن حزن أبي بكر، أكان رضا أم سخطا؟.
قلت: إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، خوفا عليه وغما أن
يصل إلى رسول الله شئ من المكروه.
قال: ليس هذا جوابي، إنما كان جوابي أن تقول: رضا أم سخطا.
قلت: بل كان رضا لله. قال: فكأن الله جل ذكره بعث إلينا رسولا ينهى عن رضا الله عز وجل، وعن طاعته.
قلت: أعوذ بالله. قال: أوليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضا لله؟
قلت: بلى.
قال: أولم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قال: " لا تحزن "،
نهيا له عن الحزن؟.
قلت: أعوذ بالله. قال: يا إسحاق، إن مذهبي الرفق بك، لعل الله يردك إلى الحق، ويعدل بك عن الباطل، لكثرة ما تستعيذ به.

---

(١) سورة الكهف: الآيتان ٣٦ - ٣٧.

وحدثني عن قول الله: (فأنزل الله سكينته عليه)، من عنى بذلك،
رسول الله أم أبا بكر؟.
قلت: بل رسول الله. قال: صدقت.
قال: حدثني عن قول الله عز وجل (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى
قوله: (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) (١)، أتعلم من المؤمنين
الذين أراد الله في هذا الموضوع؟.
قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين.
قال: الناس جميعا انهزموا يوم حنين، فلم يبق مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، إلا
سبعة نفر من بني هاشم، علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله، والعباس آخذ
بلجام بغلة رسول الله، والخمسة محدقون به، خوفا من أن يناله من جراح القوم
شئ، حتى أعطى الله لرسوله الظفر، والمؤمنون في هذا الموضع، علي خاصة،
ثم من حضره من بني هاشم.
قال: فمن أفضل: من كان مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، في ذلك الوقت، أم
من
انهزم عنه، ولم يره الله موضعا لينزلها عليه؟ قلت: بل من أنزلت عليه السكينة.
قال: يا إسحاق، من أفضل: من كان معه في الغار، أم من نام على
فراشه، ووقاه بنفسه، حتى تم لرسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ما أراد من الهجرة؟
إن الله تبارك
وتعالى أمر رسوله أن يأمر عليا بالنوم على فراشه، وأن يقي رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)
بنفسه، فأمره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بذلك، فبكى علي، رضي الله عنه، فقال
له
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ما يبكيك يا علي، أجزعا من الموت؟ قال: لا،
والذي بعثك
بالحق يا رسول الله، ولكن خوفا عليك، أفتسلم يا رسول الله؟ قال: نعم، قال:
سمعا وطاعة، وطيبة نفسي بالفداء لك يا رسول الله، ثم أتى مضجعه واضطجع،

---

(١) سورة التوبة: آية ٢٥ - ٢٦.

وتسجى بثوبه، وجاء المشركون من قريش فحفوا به، لا يشكون أنه
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وقد أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش
رجل ضربة
بالسيف، لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطنا بدمه.
وعلي يسمع ما القوم فيه من إتلاف نفسه، ولم يدعه ذلك إلى الجزع
- كما جزع صاحبه في الغار - ولم يزل علي صابرا محتسبا، فبعث الله ملائكته
فمنعته من مشركي قريش، حتى أصبح، فلما أصبح قام فنظر القوم إليه، فقالوا:
أين محمد؟ قال: وما علمي بمحمد أين هو؟ قالوا: فلا نراك إلا مغررا بنفسك
منذ ليلتنا، فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص، حتى قبضه الله إليه.
قال: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين.
قال: أروه، ففعلت.
قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث، هل أوجب على أبي بكر وعمر،
ما لم يوجب لهما عليه؟.
قلت: إن الناس ذكروا أن الحديث، إنما كان بسبب " زيد بن حارثة "
لشئ جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "
من كنت
مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ".
قال: في أي موضع قال هذا، أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟ قلت:
أجل.
قال: فإن قتل " زيد بن حارثة " قبل الغدير (١) كيف رضيت لنفسك بهذا؟

---

(١) روي حديث الولاية الصحيح بأسانيد وطرق مختلفة، ويعرف بحديث الولاية وبحديث الغدير،
وقد أخرجه الإمام أحمد عن علي وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن أرقم، وعمر وذي مر، وأخرجه
أبو يعلى عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عمر، ومالك بن الحويرث، وحبشي بن جنادة
وجرير وسعد بن أبي وقاص وأبي سعيد الخدري وأنس، وأخرجه البزار عن ابن عباس وعمارة
وبريدة (السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ١٦٩). ورواه الترمذي (٢ / ٢٩٨) وابن ماجة (ص ١٢)
والحاكم في المستدرك (٢ / ١٢٩، ١١٠، ٣ / ١٠٩، ١١٦، ٣٧٠) والإمام أحمد في المسند
(١ / ٨٤، ٨٨، ١١٨، ١١٩، ١٥٢، ٣٣٠، ٤ / ٣٧٠ - ٣٧٢، ٢٨١، ٥ / ٣٠٧، ٣٥٠، ٤١٩)
وفي فضائل الصحابة (٢ / ٥٦٣، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٦،
٥٩٧، ٥٩٩، ٦١٣، ٦٢٠، ٦٥٩، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٨، ٦٨٩، ٧٠٥، وهي الأحاديث
أرقام: ٩٤٧، ٩٥٩، ٩٦٧، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ١٠٠٧، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٤٨،
١٠٦٠، ١١٠٤، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٧٥) والنسائي في تهذيب الخصائص (ص ٥٠ - ٤٥، ٦١،
أحاديث أرقام: ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٥)، وابن كثير
في السيرة (٤ / ٤١٤ - ٤٢٥) وفي السيرة الحلبية (٣ / ٣٣٦ - ٣٤٠) والهيثمي في مجمع الزوائد
(٧ / ١٧، ٩ / ١٠٤ - ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٩، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٦) والخطيب في

تاريخ بغداد (٨ / ٢٩٠) وابن خلدون في تاريخه (٢ / ٨٤١ - ٨٤٢) وأبو داود الطيالسي (١ / ٢٣) والواحدي في أسباب النزول ص ١٣٥ وابن الأثير في أسد الغاية (١ / ٣٦٤، ٣ / ١٧١، ٤ / ١٠٨ - ١٠٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٣٠٧) والمتقي الهندي في كنز العمال (١ / ٤٨، ٦ / ١٥٣، ١٥٤، ٣٩٠، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٦) وابن حجر العسقلاني في الإصابة (١ / ٣٠٤ - ٣٠٥، ٤٠٨، ٤ / ١٥٩)، وفي تهذيب التهذيب: ذكر أسامي جملة من الصحابة ممن روى حديث الغدير هذا، ثم قال: وقد جمع ابن جرير الطبري حديث الموالاة هذا في مؤلف فيه أضعاف من ذكر وصححه (تهذيب التهذيب ٧ / ٣٧٧ - ٣٣٩) والمسهودي في وفاء الوفاء (٣ / ١٠١٨) والمناوي في فيض القدير (٦ / ٢١٧) وابن حجر الهيثمي في صواعقه (ص ١٨٨) والمحب الطبري في الرياض النضرة (٢ / ٢٢٢ - ٢٢٥ - ٢٨٩)، والشبلنجي في نور الأبصار (ص ٧٨)، وابن عبد البر في الإستيعاب ٣٦)، وانظر: (فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١ / ٣٤٩ - ٣٨٤).

ولقد استشهد زيد، رضي الله عنه، في غزوة مؤتة عام ٨ ه (٦٢٩ م)، وحديث الغدير كان في ٨ ذي الحجة عام ١٠ ه (٦٣٢ م) أنظر: محمد بيومي مهران: السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثاني ص ٤٤٧ - ٤٥٦ ص ٥٢٢ - ٥٢٤).

أخبرني، لو رأيت ابنا لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول: مولاي مولى
ابن عمي، أيها الناس فاعلموا ذلك، أكنت منكرا ذلك عليه: تعريفه الناس ما لا
ينكرون ولا يجهلون؟ فقلت: اللهم نعم.
قال: يا إسحاق، أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟
ويحكم، لا
تجعلوا فقهاءكم أربابكم، إن الله عز وجل قال في كتابه (اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أربابا من دون الله) (١)، ولم يصلوا لهم ولا صاموا، ولا زعموا أنهم
أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم.

----

(١) سورة التوبة: آية ٣١.

ثم قال: يا إسحاق أتروي حديث " أنت مني بمنزلة هارون من موسى " (٢)، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، قد سمعته وسمعت من صححه وجحده، قال: فمن أوثق عندك، من سمعت منه فصححه أو من جحده؟.
قلت: من صححه، قال: فهل يمكن أن يكون رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مزح بهذا
القول؟
قلت: أعوذ بالله. قال: فقال قولا لا معنى له، فلا يوقف عليه؟ قلت: أعوذ بالله.
قال: أفما تعلم أن هارون كان أخا موسى لأبيه وأمه؟ قلت: بلى
قال: فعلي أخو رسول الله لأبيه وأمه؟ قلت: لا.
قال: أوليس هارون كان نبيا، وعلي غير نبي؟ قلت: بلى.
قال: فهذان الحالان معدومان في علي، وقد كانا في هارون، فما معنى قوله (صلى الله عليه وسلم): " أنت مني بمنزلة هارون من موسى "؟.
قلت: إنما أراد أن يطيب بحديث المنزلة (١) هذا نفس علي، لما قال المنافقون: إنه خلفه استثقالا له.

---

(١) روى هذا الحديث الصحيح، والمعروف بحديث المنزلة، رواه البخاري في صحيحه (٥ / ٢٤، ٦ / ٣) ومسلم في صحيحه (١٥ / ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦) والنسائي في تهذيب الخصائص (١٩، ٢٠، ٢٨، ٢٩، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٧٢، الأحاديث أرقام: ٨، ٩، ٢١، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ١١٢) ورواه الإمام أحمد في الفضائل (٢ / ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٩٢، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦٣٣، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٦٣، ٦٧٠، ٦٧٥، ٦٨٤، الأحاديث أرقام ٩٥٤، ٩٥٦، ٩٥٧، ١٠٠٦، ١٠٤١، ١٠٤٥، ١٠٧٩، ١٠٩١، ١٠٩٣، ١١٣١، ١١٤٣، ١١٥٣، ١١٦٨،) وفي مسند الإمام أحمد (١ / ١٧٠، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٤، ٣٣٠، ٦ / ٣٦٩) رواه الهيثمي في في مجمع الزوائد (٩ / ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٩،) والمتقي الهندي في كنز العمال (٣ / ١٥٤، ٥ / ٤٠، ٦ / ١٥٤، ١٨٨، ٣٩٥، ٤٠٥، ٨ / ٢١٥) ورواه ابن سعد في طبقاته (٣ / ١٤، ١٥) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٤ / ٣٤٥، ٧ / ١٥٩ - ١٩٦) والترمذي (٢ / ٣٠١) والطبري في تاريخه (٣ / ١٠٤) وابن الأثير في أسد الغابة (٤ / ١٠٤، ١٠٦) والمحب الطبري في الرياض النضرة (٢ / ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٧٠، ٣٢٦) وابن ماجة (ص ١٢) والخطيب البغدادي في تاريخه (١ / ٣٢٤، ٢ / ٣٢٣، ٣ / ٢٨٨، ٤ / ٢٠٤، ٢٨٢، ٧ / ٤٥٢، ٨ / ٥٢، ٩ / ٣٩٤، ١٠ / ٤٣، ١١ / ٤٣٢) والطحاوي في مشكل الآثار (٢ / ٣٠٩) وابن هشام في السيرة (٤ / ٣٨٢) وابن الأثير في الكامل (٢ / ٢٧٨) وابن عساكر في تاريخه (١ / ١٠٧) وابن كثير في السيرة (٤ / ١٢) وابن قيم الجوزية في زاد المعاد (٣ / ٥٣٠) وفي السيرة الحلبية (٣ / ١٠٤) والمقدسي في البدء والتأريخ ٤ / ٢٣٩).

قال: يا إسحاق، له معنى في كتاب الله بين. قلت: وما هو يا
أمير المؤمنين؟
قال: قوله عز وجل حكاية عن موسى أنه قال لأخيه هارون: (أخلفني في
قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) (١).
قلت: يا أمير المؤمنين، إن موسى خلف هارون في قومه وهو حي،
ومضى إلى ربه، وإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) خلف عليا كذلك حين خرج
إلى غزواته.
قال: كلا، ليس كما قلت، أخبرني حين خلف هارون، هل كان معه حين
ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل؟ قلت: لا.
قال: أوليس استخلفه على جماعتهم؟ قلت: نعم، قال: فأخبرني عن
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، حين خرج إلى غزاته، هل خلف إلا الضعفاء،
والنساء والصبيان، فأنى يكون مثل ذلك؟ وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على
استخلافه إياه، لا يقدر أحد أن يحتج فيه، ولا أعلم أحدا احتج به، وأرجو أن
يكون توفيقا من الله، قلت: وما هو يا أمير المؤمنين؟.
قال: قوله عز وجل، حين حكى عن موسى قوله: (واجعل لي وزيرا من
أهلي، هارون أخي أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيرا،
ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا) (٢)، " فأنت يا علي مني بمنزلة هارون من
موسى، وزيري من أهلي، وأخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري، كي

---

(١) سورة الأعراف: آية ١٤٢.
(٢) وسورة طه: آية ٢٩ - ٣٥.

نسبح الله كثيرا، ونذكره كثيرا "، فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئا غير هذا، ولم يكن ليبطل قول النبي (صلى الله عليه وسلم) وأن يكون لا معنى له؟
قال: فطار المجلس وارتفع النهار، فقال يحيى بن أكثم القاضي: يا
أمير المؤمنين، قد أوضحت الحق، لمن أراد الله به الخير، وأثبت ما لا يقدر أحد
أن يدفعه.
قال إسحاق: فأقبل علينا وقال: ما تقولون؟ فقلنا: كلنا نقول بقول
أمير المؤمنين، أعزه الله.
فقال: والله لولا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: أقبلوا القول من الناس، ما
كنت
لأقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول، اللهم إني قد أخرجت الأمر من
عنقي، اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته (١).
٨ - الإمام الرضا والتصوف:
ربط المتصوفة - كما رأينا من قبل - التصوف بالإمام علي بن أبي طالب،
ثم بالأئمة من أولاده من بعده، اعتمادا على أمور كثيرة، منها صلة " سلمان
الفارسي " ببيت النبوة، حيث قال عنه سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "
سلمان منا أهل
البيت " (٣)، وقال الإمام علي " ذلك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأول
والعلم الآخر " (٣).
وأخذ الصوفية الخبرين، وساروا بهما إلى نهاية الشوط، فقالوا: ولما كان
رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، عبدا محضا قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا، وأذهب
عنهم
الرجس، فلا يضاف إليهم إلا مطهرا، فإن المضاف إليهم هو الذي يشبههم، فما

---

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد ٥ / ٣٤٩ - ٣٥٩ (دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ م).
(٢) أسد الغابة ٢ / ٤٢١، صفة الصفوة ١ / ٢١٥.
(٣) أسد الغابة ٢ / ٤٢٠، طبقات ابن سعد ٤ / ٦١، صفة الصفوة ١ / ٢٠٠.

يضيفون لأنفسهم إلا من له حكم الطهارة والتقديس، فهذه شهادة من النبي (صلى الله عليه وسلم)، لسلمان الفارسي بالطهارة، والحفظ الإلهي والعصمة، حيث قال فيه
سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) " سلمان منا أهل البيت " (١) وقالوا كذلك " فكل عبد له
صفات سيده " (٢)، مشيرين بذلك إلى صلة الولاء التي ربطت سلمان بأهل بيت النبي (٣).
ويذهب الدكتور الشيبي إلى أن " ابن عربي " قد غلا في سلمان – إن صح هذا التعبير – حتى قال – بناء على هذه الوراثة الروحية – " فأرجو أن يكون عقب عقيل وسلمان تلحقهم هذه العناية، كما لحقت أولاد الحسن والحسين وعقبهم، وموالي أهل البيت، فإن رحمة الله واسعة يا ولي " (٤).
على أن هذه الصلة الروحية إنما تظهر بوضوح بين الإمام علي الرضا ومولاه " معروف الكرخي " – وهو واحد من قدماء المتصوفة، وأحد الذين فتح الله لهم باب الولاية في بغداد – قال عنه الحافظ أبو نعيم في حليته: هو " الملهوف إلى المعروف، عن الفاني مصروف، وبالباقي مشغوف، وبالتحف محفوف وللطف مألوف، الكرخي أبو محفوظ معروف " (٥).
ومعروف الكرخي هذا – كما في وفيات الأعيان – " أبو محفوظ معروف بن فيروز – وقيل الفيروزان، وقيل علي – الكرخي، الصالح المشهور، وهو من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، وكان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدبه، وهو صبي، فكان المؤدب يقول له: قل ثالث ثلاثة، فيقول معروف: بل هو الواحد، فضربه المعلم على ذلك ضربا مبرحا، فهرب منه، وكان أبواه

---

(١) أسد الغابة ٢ / ٤٢١.
(٢) ابن عربي: المفتوحات المكية ١ / ٢٥٥ (القاهرة ١٢٩٣ ه).
(٣) كامل مصطفى الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع ٢ / ٢١ (بغداد ١٩٦٤).
(٤) الشيبي: المرجع السابق ص ٢١ – ٢٢، الفتوحات المكية ١ / ٢٥٦.
(٥) حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠.

يقولان: " ليته يرجع إلينا على أي دين شاء، فنوافقه عليه "، فنوافقه عليه " ثم إنه أسلم على يد
الإمام علي الرضا، ورجع إلى أبويه، فدق الباب فقيل له: من بالباب؟ فقال: معروف، فقيل له: على أي دين؟ فقال: على الإسلام، فأسلم أبواه (١). وقد توفي معروف عام ٢٠٠ ه (٨١٥ م) وقيل: ٢٠٤ ه، وقبره في بغداد مشهور يزار، رحمه الله تعالى (٢).
على أن أهمية معروف الكرخي إنما تأتي مما ينسب إليه من كونه مولى الإمام علي الرضا - وكان كما رأينا ولي عهد الخليفة المأمون - وأكثر أصحاب كتب التصوف على أن معروفا الكرخي، إنما كان متصلا بالإمام علي الرضا، وأنه أسلم على يديه (٣) - بعد أن كان نصرانيا أو كان صابئا (٤) - ورووا أنه سمع " ابن السماك " الواعظ المشهور في الكوفة، وكما يقول معروف نفسه " فوقع كلامه في قلبي، وأقبلت على الله وتركت جميع ما كنت عليه، إلا خدمة مولاي علي بن موسى الرضا " (٥).
وعلى أية حال، فإن الاتصال بالإمام - عند الشيعة - إنما يعني شيعية المتصل، ومن ثم فقد اهتم باحثو الشيعة بتحقيق العلاقة بين الإمام علي الرضا ومعروف الكرخي، وانتهوا إلى أنه غير مذكور في كتبهم، وإن لم يستبعدوا اتصاله به، وإن لم تقم لهم قرينة عليه.
على أن الأهم أن الإمام الرضا - بعد أن أصبح وليا لعهد الخلافة - لم يعد إماما للشيعة وحدهم، وإنما أصبح إماما للمسلمين جميعا، بما فيهم أهل السنة

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان - تحقيق إحسان عباس ٥ / ٢٣١ - ٢٣٢ (بيروت ١٩٧٧).
(٢) وفيات الأعيان ٥ / ٢٣٣.
(٣) طبقات الصوفية ص ٨٥، تذكرة الأولياء ١ / ٢٢٤، أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية ص ١٢ (القاهرة ١٢٨٤ ه)، طبقات الشعراني ١ / ٦١، نفحات الأنس ص ٣٩.
(٤) نيكلسون: في التصوف الإسلامي ترجمة أبو العلا عفيفي ص ٤ (القاهرة ١٩٤٧).
(٥) أبو القاسم القشيري: الرسالة القشيرية ١٢.

والزيدية، فضلا عن سائر فرق الشيعة المتناحرة، ومن ثم فقد اجتمعت الأمة
على إمامته واتباعه والالتفاف حوله، ومن هنا، فلا يبعد - والحال هذه - أن
يكون اتصال معروف به أمرا واقعيا، وهو الزاهد الذي كان دائما يسعى إلى
التمسك بمثل الإسلام، وكان الإمام الرضا - رضوان الله عليه - هو الإمام المطاع
في العالم الإسلامي كله (١)
ولعل من الجدير بالإشارة هنا إلى أن بعض المصادر التي ذكرت صلة
معروف بالإمام الرضا، إنما قد أشارت إلى أنه كان يحجبه بعد إسلامه (٢) - أي
أن الإمام الرضا قد اتخذه بعد إسلامه حاجبا له - وأن موت الإمام الرضا،
وازدحام الشيعة على بابه إنما قد تسبب في كسر أضلع معروف فمات (٣)، وهذا
يعني ولاية معروف إنما نبعت من اعتناقه الإسلام - دين الله الخالد - الأمر الذي
تحقق من قبل في صورة إسلام " سلمان الفارسي "، والذي ظل شطر عمره يبحث
عن الدين الحق، حتى وجده في الإسلام (٤). وقد أسلم معروف على يد الإمام
الرضا، حفيد النبي (صلى الله عليه وسلم)، الذي أسلم سلمان على يديه من قبل، وبذا
يبدو أننا
أمام سلمان آخر، له في الزهد قدم صدق، وله في الولاية والمقام الروحي، ما
جعله يفوز باحترام الناس وإعجابهم وإكبارهم (٥).
هذا وقد رويت لمعروف الكرخي عدة كرامات، روى الحافظ أبو نعيم في
حليته بسنده عن خليل الصياد قال: غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعا

---

(١) الشيبي: المرجع السابق ص ٢٦.
(٢) طبقات الصوفية ص ٨٥.
(٣) طبقات الصوفية ص ٨٥، ثم قارن: تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ٢٠٢، حلية الأولياء ٨ / ٣٦٢.
(٤) أنظر عن سلمان (أسد الغابة ٢ / ٤١٧ - ٤٢١، حلية الأولياء ١ / ١٨٥ - ٢٠٨، طبقات ابن سعد
٤ / ٥٣ - ٦٧، الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٢ / ٥٦ - ٦٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ / ٦٢
- ٦٣، وفيات الأعيان ٣ / ٢٥٢.
(٥) الشيبي: المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٨.

شديدا، فأتيت معروفا فقلت: أبا محفوظ، قال: ما تشاء؟ قلت: ابني محمد غاب، وجزعت عليه أمه جزعا شديدا، فادع الله أن يرده عليها، فقال: اللهم إن السماء سماؤك، والأرض أرضك، وما بينهما لك، فأت به، قال خليل: فأتيت باب الشام، فإذا ابني محمد قائم منبهر، قلت: محمد؟ قال: يا أبت كنت الساعة بالأنبار (١).

وعن محمد بن إسحاق قال سمعت محمد بن عمرو بن مكرم الثقة، يقول: حدثني أبو محمد الضرير - وكان جارا لمردويه الصائغ - قال: أرسل مردويه فأتيته فقال: إن ابني قد غاب عنا منذ أيام، وقد ضيقوا على النساء لما يبكين، فأخذ بنا إلى معروف، قال: فغدوت أنا وهو إلى معروف فسلم عليه - وهو في المسجد - فقال معروف: ما الذي جاء بك يا أبا بكر؟ قال: إن ابني قد غاب عنا منذ أيام، وقد ضيقوا على النساء لما يبكين، قال: معروف: يا عالما بكل شئ، ويا من لا يخفى عليه شئ، ويا من علمه محيط بكل شئ، أوضح لنا أمر هذا الغلام، ثلاث مرار، قال: ثم انصرفنا من عنده، قال: فلما أن أصبحت قبل صلاة الفجر، إذ رسول مردويه قد جاء يدعوني، فقلت: إيش الخبر؟ فقال: قد جاء الغلام، فجئت فإذا الغلام قاعد بين يدي مردويه، فقال لي: اسمع العجب، قال الغلام: كنت أمشي بالكوفة فأتاني نفسان فأخذا بيدي فأخرجاني من الكوفة، وقالا: امض إلى بيتكم، فلم أقعد، ولم آكل ولم أشرب، ومررت ببئر تسع - أو قال تسعي - ثم رأيتهما، فلم يتحركا حتى أتيتكم، فأطعموني، فإني ما أكلت شيئا حتى جئتكم (٢).

---

(١) حلية الأولياء ٨ / ٣٦٢.

(٢) حلية الأولياء ٨ / ٢٦٣، وأما أهم مصادر ترجمة معروف فهي كالتالي (طبقات الصوفية للسلمي ص ٨٣ - ٩٠، حلية الأولياء ٨ / ٣٦٠ - ٣٦٨، تاريخ بغداد ١٣ / ١٩٩ - ٢٠٨، طبقات الحنابلة ١ / ٣٨١ - ٣٨٩، وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١ - ٢٣٢، اليافعي: مرآة الجنان ١ / ٤٦٠ - ٤٦٣، الزركلي الأعلام ٨ / ١٨٥، شذرات الذهب ١ / ٣٦٠).

٩ - من مرويات الإمام الرضا:
روى صاحب كتاب " تاريخ نيسابور ": أن الإمام علي الرضا لما دخل
نيسابور، وشق شوارعها، وعليه مظلة، لا يرى من ورائها، تعرض له الحافظان
" أبو زرعة الرازي " و " محمد بن أسلم الطوسي " ومعهما من طلبة العلم
والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه، ويروي لهم حديثا عن
آبائه.
فاستوقف الإمام البغلة، وأمر غلمانه بكشف المظلة، وأقر عيون تلك
الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان معلقتان على عاتقه، والناس بين
صارخ وباك، ومتمرغ في التراب، ومقبل لحافر بغلته، فصاحت العلماء: يا
معشر الناس أنصتوا، فأنصتوا، واستملى منه الحافظان - أبو زرعة الرازي
ومحمد بن أسلم الطوسي -.
فقال الإمام الرضا: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن
أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن
أبي طالب، رضي الله عنهم، قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)
وآله، قال: حدثني جبريل، قال: سمعت رب العزة يقول: " لا إله إلا الله
حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني، آمن من عذابي "، ثم
أرخى الستر وسار، فعد أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون، فأنافوا على
عشرين ألفا.
وفي رواية أخرى: أن الحديث المروي " الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار
باللسان، وعمل بالأركان " ولعلهما واقعتان، قال الإمام أحمد بن حنبل: لو
قرأت هذه الإسناد على مجنون، لبرئ من جنته (١).

---

(١) أحمد بن حجر الهيثمي المكي: الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ص ٣١٠
(دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣.

هذا وقد نقل الشبلنجي هذا الإسناد في نور الأبصار كالتالي: حدثني أبو
موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه زين العابدين عن أبيه شهيد كربلاء
عن أبيه علي المرتضى، قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)، قال:
حدثني جبريل عليه السلام، قال: حدثني رب العزة سبحانه وتعالى (١).
وقال أبو القاسم القشيري (عبد الكريم بن هوازن - المتوفى ٤٦٥ / ١٠٧٤ م)
في الرسالة القشيرية: اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية،
فكتبه بالذهب، وأوصى أن يدفن معه في قبره، فرئي في المنام بعد موته، فقيل
له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتلفظي ب " لا إله إلا الله "، وتصديق " أن
محمدا رسول الله " (وقد أورده المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره)
(٢).
وروي عن الإمام الرضا عن آبائه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: " من لم
يؤمن
بحوضي، فلا أورده الله تعالى حوضي، ومن لم يؤمن بشفاعتي فلا أناله الله
شفاعتي "، ثم قال: " إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما
عليهم من سبيل ".
وروي عن الإمام الرضا عن آبائه عن علي بن أبي طالب قال قال
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " لما أسري بي رأيت رحما معلقة بالعرش تشكو
رحما إلى
ربها، أنا قاطعة لها، قلت: كم بينك وبينها من أب، قالت: نلتقي في أربعين
أبا ".
وروي عن الإمام الرضا أنه قال: " من صام من شعبان يوما واحدا، ابتغاء
ثواب الله، دخل الجنة، ومن استغفر الله تعالى في كل يوم منه سبعين مرة، حشر

---

(١) نور الأبصار ص ١٥٤ - ١٥٥.
(٢) نور الأبصار ص ١٥٥.

يوم القيامة في زمرة النبي (صلى الله عليه وسلم) ووجبت له من الله الكرامة، ومن تصدق في
شعبان بصدقة، ولو بشقة تمرة، حرم الله جسده من النار (١).
١٠ - من أقوال الإمام الرضا:
قال الإمام الرضا: " لا يتم عقل امرئ، حتى تكون فيه عشر خصال:
الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، ويستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، ولا يسأم من طلب الحوائج إليه ولا يمل من طلب العلم طول دهره، والفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز، والخمول أشهى إليه من الشهرة، والعاشرة: أن لا يرى أحدا إلا قال: هو خير مني وأتقى ".
وسئل عن معنى التوكل. فقال: أن لا تخاف أحدا إلا الله.
وقال: يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء، تسعة في
اعتزال الناس، وواحد في الصمت.
وقال: أحسن الناس معاشا، من حسن معاش غيره في معاشه.
أي من تحيا الناس بوجوده حياة طيبة، وتعيش بفضل جهوده، عيش الأمن والهناء، فهو أسعد الناس، وأحسنهم حالا، حتى ولو لم يملك شيئا من حطام الدنيا، تماما كما كانت الحال بالنسبة إلى الرسول الأعظم، (صلى الله عليه وسلم)، وأمير المؤمنين
عليه السلام.
وقال: من صدق الناس كرهوه.
قال المؤمن إذا غضب لم يخرج عن حق، وإذا رضي لم يدخل في
باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر من حقه. وقال: من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله منه بالقليل من العمل.

---

(١) نور الأبصار ص ١٥٥.

وقال: إن للقلوب إقبالا وإدبارا، ونشاطا وفتورا، فإذا أقبلت بصرت وفهمت، وإذا أدبرت كلت وملت، فخذوها عند إقبالها ونشاطها، واتركوها عند إدبارها وفتورها (١).

وقال إبراهيم بن العباس: سمعت الرضا يقول، وقد سأله رجل: أيكلف الله العباد ما لا يطيقونه؟.

فقال الإمام الرضا: هو أعدل من ذلك.

فقال: فيقدرون على كل ما يريد؟

فقال: هم أعجز من ذلك.

وقال ياسر الخادم: سمعت الرضا بن موسى يقول: " أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع:

يوم يولد إلى الدنيا، ويخرج المولود من بطن أمه فيرى الدنيا.

ويوم يموت، فيعاين الآخرة وأهلها.

ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا.

وقد سلم الله تعالى على عيسى - عليه السلام - في هذه الثلاثة مواطن، فقال تعالى: (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا)، وقد سلم على يحيى بن زكريا، عليهما السلام، في هذه الثلاثة المواطن، فقال تعالى: (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) (١)

---

(١) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٣٤ - ٢٣٦ (بيروت ١٩٨١).

(٢) سورة مريم: آية ١٥ - ٣٣.

وقال صاحب كتاب " نثر الدرر ": سأل الفضل بن سهل الإمام عليا الرضا بن موسى، في مجلس الخليفة المأمون، فقال: يا أبا الحسن، الخلق مجبرون؟
قال الإمام الرضا: الله تعالى أعدل من أن يجبر، ثم يعذب.
قال الفضل: فمطلقون، قال الإمام الرضا: الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده، ويكله إلى نفسه.
وعن أبي الحسين القرظي عن أبيه قال: حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا، فجاء رجل فشكا أخاه.
فأنشأ الإمام الرضا يقول:
أعذر أخاك على ذنوبه * واصبر وعظ على عيوبه
واصبر على سفه السفيه * وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا * وكل الظلوم إلى حسيبه
وفي نور الأبصار: " دخل على الإمام علي الرضا بن موسى قوم من الصوفية فقالوا: إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاه الله تعالى من الأمور، ثم نظر فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس، ثم نظر في أهل البيت، فرآك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم، فرد هذا الأمر إليك، والناس تحتاج إلى من يأكل الخشن، ويلبس الخشن، ويركب الحمار، ويعود المريض، ويشيع الجنائز ".
قال، وكان علي الرضا متكئا، فاستوى جالسا، ثم قال: " كان يوسف بن يعقوب نبيا، فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب، والقباطي المسنوجة بالذهب، وجلس على متكآت آل فرعون، وحكم وأمر ونهى، وإنما يراد من الإمام القسط والعدل، إذا قال صدق، وإذا وعد أنجز إن الله لم يحرم ملبوسا، ولا

مطعوما (١)، وتلا قول الله تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده، والطيبات من الرزق) (٢).

١١ - من كرامات الرضا:

روى الطوسي في كتابه " إعلام الورى " عن " أبي الصلت الهروي " قال:
دخل " دعبل الخزاعي " (٧٦٥ - ٨٦٠ م) الشاعر، على الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، رضي الله عنهما، في " مرو " فقال له: يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحدا قبلك، أحب أن تسمعها مني، فقال له الإمام الرضا، هات قل، فأنشأ يقول:

ذكرت محل الربيع من عرفات * فأجريت دمع العين بالعبرات
وقل عرى صبري وهاجت صبابتي * رسوم ديار أقفرت وعرات
مدارس آيات خلت عن تلاوة * ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى * وبالبيت والتعريف والجمرات
ديار علي والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذي الثنيات
ديار لعبد الله والفضل صنوة * نجي رسول الله في الخلوات
منازل كانت للصلاة وللتقى * وللصوم والتطهير والحسنات
منازل جبريل الأمين يحلها * من الله بالتسليم والرحمات
منازل وحي الله وعلمه * سبيل رشاد واضح الطرقات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها * متى عهدها بالصوم والصلوات
وأين الأولى شطب بهم غربة النوى * فأمسين في الأقطار مفترقات
أحب فضاء الدار من أجل حبهم * وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
وهم أهل ميراث النبي إذا انتموا * وهم خير سادات وخير حماة

---

(١) نور الأبصار ص ١٥٣ - ١٥٥.
(٢) سورة الأعراف: آية ٣٢.

مطاعم في الإعسار في كل مشهد * لقد شرفوا بالفضل والبركات
أئمة عدل يقتدى بفعالهم * وتؤمن منهم ذلة العثرات
فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة * وزد حبهم يا رب في حسناتي
لقد أمنت نفسي بهم في حياتها * وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تراني من ثلاثين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم * أكفا عن الأوتار منقبضات
وآل رسول الله تحفي جسومهم * وآل زياد أغلظ القصرات
سأبكهم ما در في الأفق شارق * ونادى منادي الخير بالصلوات
وما طلعت شمس وحان غروبها * وبالليل أبكيهم وبالغدوات
ديار رسول الله أصبحن بلقعا * وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد في القصور مصونة * وآل رسول الله في الفلوات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد * لقطع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج * يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل * ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس اصبري * فغير بعيد كل ما هو آت
وهي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتا.

ولما فرغ " دعبل " من إنشادها، نهض أبو الحسن علي الرضا - رضوان الله عليه - وقال: لا تبرح، فأنفذ إليه صرة، فيها مائة دينار، واعتذر إليه، فردها دعبل - وقال: ما لهذا جئت، وإنما جئت للسلام عليك، وللتبرك بالنظر إلى وجهك الميمون، وإني لفي غنى، فإن رأى (سيدي) أن يعطيني شيئا من ثيابه للتبرك، فهو أحب إلي، فأعطاه الإمام الرضا جبة، ورد عليه الصرة، وقال للغلام: قل له خذها ولا تردها، فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها، فأخذها وأخذ الجبة.

ثم أقام في " مرو " مدة، فتجهزت قافلة تريد العراق، فتجهز " دعبل " في صحبتها، فخرجت عليهم اللصوص في الطريق، ونهبوا القافلة عن آخرها، وأمسكوا جماعة من جملتهم الشاعر " دعبل الخزاعي " فكتفوهم وأخذوا ما معهم، فساروا بهم غير بعيد، ثم جلسوا يقسمون أموالهم، فتمثل مقدم اللصوص بقول دعبل:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه، فقال: أتعرف هذا البيت لمن؟ قال: وكيف لا أعرفه؟ هو لرجل من خزاعة، يقال له " دعبل " شاعر أهل البيت، قاله في قصيدة مدحهم بها، فقال دعبل: أنا والله هو صاحب هذه القصيدة وقائلهم، فقال، ويلك، أنظر ما تقول، فقال: والله، الأمر أشهر من ذلك، واسأل أهل القافلة: وهؤلاء الممسكين معكم يخبرونكم بذلك، فسألوهم فقالوا بأسرهم: هذا دعبل الخزاعي، شاعر أهل البيت المعروف الموصوف، ثم إن دعبلا أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها، عن ظهر قلب، فقالوا: قد وجب حقك علينا، وقد أطلقنا القافلة، ورددنا جميع ما أخذناه منها، كرامة لك يا شاعر أهل البيت.

ثم إنهم أخذوا دعبلا معهم، وتوجهوا به إلى " قم " ووصلوه بمال، وسألوه في بيع الجبة التي أعطاها له الإمام أبو الحسن على الرضا، ودفعوا له فيها ألف دينار، فقال: والله لا أبيعها، وإنما أخذتها للتبرك من أثره.

ثم ارتحل عنهم من " قم " بعد ثلاثة أيام، فلما صار خارج البلد، على نحو ثلاثة أميال (حوالي ٥ كيلا)، خرج عليه قوم من أحداثهم، فأخذوا الجبة منه، فرجع إلى " قم " وأخبر كبارهم بذلك، فأخذوا الجبة منهم وردوها عليه.

ثم قالوا: نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك، ويأخذها غيرنا، ثم لا ترجع عليك، فبالله، إلا ما أخذت الألف منا وتركتها، فأخذ الألف منهم، وأعطاهم، الجبة، ثم ارتحل عنهم.

وعن أبي الصلت الهروي قال قال دعبل الخزاعي: لما أنشدت مولاي الرضا هذه القصيدة، وانتهيت فيها إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج * يقول على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق وباطل * ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الإمام الرضا - عليه السلام -، وقال - بعد أن رفع رأسه - يا خزاعي، لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين (١).

وفي " در الأصداف " لما جعل المأمون الإمام الرضا ولي عهده، وخليفة من بعده، كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك، وخافوا على خروج الخلافة من بني العباس، وعودها لنبي فاطمة، فحصل عندهم من الإمام علي الرضا نفور ".

وكان من عادة " الرضا " إذا جاء دار المأمون بادر من بالدهليز من الحجاب وأهل النوبة من الخدم والحشم، بالقيام والسلام عليه، ويرفعون له الستر حتى يدخل، فلما حصلت لهم هذه النفرة، وتفاوضوا من أمر هذه القصة، ودخل في قلوبهم منها شئ، قالوا - فيما بينهم -: إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه، ولا نرفع له الستر، واتفقوا على ذلك فيما بينهم، فبينما هم جلوس إذ جاء " الإمام علي الرضا " على جاري عادته، فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه، ورفعوا له الستر على عادتهم، فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون، لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه، وقالوا: الكرة الآتية، إذا جاء لا نرفعه.

فلما كان في اليوم التالي، وجاء الإمام الرضا على عادته، قاموا وسلموا عليه، ولم يرفعوا الستر، فجاءت ريح شديدة، فرفعت الستر له، عند دخوله،

----

(١) نور الأبصار ص ١٥٣ - ١٥٤.

وعند خروجه، من الجهتين، فأقبل بعضهم على بعض وقالوا: إن لهذا الرجل عند الله منزلة، أنظروا إلى الريح كيف جاءت، ودفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه، ارجعوا إلى ما كنتم عليه من خدمته، فهو خير لكم (١).
وروى الحاكم أبو عبد الله الحافظ (٢) بإسناده عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب، قال: " رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) في المنام، وكان قد وافى المسجد، الذي
كان ينزل له الحجاج من بلدنا في كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلمت عليه، ووقفت بين يديه، فوجدته وعنده طبق من خوص المدينة، فيه تمر صيحاني، وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر، فناولنيها، فعدتها ثماني عشرة تمرة، فتأولتها أني أعيش بكل تمرة سنة، فلما كان بعد عشرين يوما، وأنا في أرض لي تعمر بالزراعة، إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن علي الرضا بن موسى

____

(١) نور الأبصار ص ١ / ١٥٨ - ١٥٩.
(٢) الحاكم: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم، الحاكم النيسابوري (ولد عام ٣٢١ ه‍ / ٩٣٣ م، وتوفي عام ٤٠٤ ه‍ / ١٠١٤ م) وفي وفيات الأعيان: وكانت ولادته في شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بنيسابور، توفي بها يوم الثلاثاء ثالث صفر سنة خمس وأربعمائة، وقال الخليلي في كتاب " الإرشاد ": توفي سنة ثلاث وأربعمائة، بدأ طلب الحديث عام ٣٣١ ه‍، وسمع عمرو بن سماك وأحمد بن سلمان النجاد، وتفقه على أبي سهل محمد بن سلمان الصعلوكي الفقيه الشافعي، وأصبح إمام أهل الحديث في عصره، وكان يميل إلى رأي الشيعة، وتولى القضاء في نيسابور عام ٣٥٩ ه‍، على أيام الدولة السامانية، ولكنه سرعان ما اعتزله، وقام بالسفارة للبويهيين، وأملى الحديث بما وراء النهر عام ٣٥٥ ه‍، وفي العراق عام ٣٦٧ ه‍، ولازمه " الدارقطني " (٣٠٥ - ٤٨٥ ه‍ / ٩١٨ - ٩٩٥ م) وسمع منه أبو بكر القفال الشاسي.
وأما أهم آثاره فهي (المستدرك على الصحيحين - المدخل إلى معرفة الإكليل - المدخل إلى معرفة الصحيحين - معرفة أصول (أو علوم) الحديث - تاريخ نيسابور - شعر أصحاب الحديث - تسمية من أخرجهم البخاري - سؤالات أبي عبد الله النيسابوري للدارقطني وأجوبته في أسامي مشايخ من أهل العراق - الفوائد).
وأما أهم مصادر ترجمته (وفيات الأعيان ٤ / ٢٨٠ - ٢٨١، تاريخ بغداد للخطيب ٥ / ٤٧٣ - ٤٧٤، تبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٢٢٧ - ٣٢١، تذكرة الحفاظ للذهبي ص ١٠٣٩ - ١٠٤٥. غاية النهاية لابن الجزري ٢ / ١٨٤، طبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٦٤ - ٧٤، النجوم الزاهرة ٤ / ٢٣٨، شذرات الذهب ٣ / ١٧٦ - ١٧٧، لسان الميزان لابن حجر ٥ / ٢٣٢ - ٢٣٣)، تاريخ التراث لسزكين ١ / ٤٥٤ - ٤٥٧، معجم المؤلفين لكحالة ١٠ / ٢٣٨، مرآة الجنان لليافي ٣ / ١٤، الأعلام للزركلي ٧ / ١٠١).

الكاظم، ونزوله بذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون له من كل جهة، يسلمون عليه ".
" فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم)،
جالسا فيه، وتحته حصير مثل الحصير الذي كان تحته (صلى الله عليه وسلم)، وبين
يديه طبق من
خوص المدينة، وفيه تمر صيحاني، فسلمت عليه، فرد السلام، واستدعاني
وناولني قبضة من ذلك التمر، فعددتها فإذا هي بعدد ما ناولني رسول الله (صلى الله
عليه وسلم)،
في النوم، ثماني عشرة تمرة، فقلت: زدني، فقال: لو زادك رسول الله (صلى الله عليه
وسلم)،
لزدتك.
وروى الحاكم أيضا بإسناده عن سعيد بن سعيد: أن أبا الحسن علي
الرضا: نظر إلى رجل، فقال: يا عبد الله، أوص بما تريد، واستعد لما لا بد
منه، فمات الرجل بعد ثلاثة أيام.
وعن صفوان بن يحيى قال: لما مضى موسى الكاظم، وظهر ولده علي
الرضا: خفنا عليه وقلنا له: إنا نخاف عليك من هذا - يعني هارون الرشيد - قال
الإمام الرضا: ليجهدن جهده، فلا سبيل له علي.
قال صفوان: فحدثني ثقة: أن يحيى بن خالد البرمكي قال لها روى
الرشيد: هذا علي بن موسى قد تقدم، وادعى الأمر لنفسه، فقال هارون: يكفينا
ما صنعنا بأبيه، تريد أن نقتلهم جميعا؟.
وعن مسافر: قال: كنت مع أبي الحسن علي الرضا بمنى، فمر يحيى بن
خالد البرمكي، وهو مغط وجهه بمنديل من الغبار، فقال الرضا: مساكين هؤلاء
لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة، فكان من أمرهم ما كان.
قال: وأعجب من هذا، أنا وهارون كهاتين، وضم إصبعيه السبابة
والوسطى، قال مسافر، فوالله ما عرفت معنى حديثه في هارون، إلا بعد موت
الرضا، ودفنه إلى جانبه.
وعن الحسن بن يسار قال: قال الإمام الرضا: إن عبد الله يقتل محمدا،

فقلت: عبد الله بن هارون يقتل محمد بن هارون، قال: نعم، عبد الله المأمون يقتل محمد الأمين، فكان كما قال.
وعن الحسين بن موسى قال: كنا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسى، ونحن شباب من بني هاشم، إذ مر علينا جعفر بن عمر العلوي، رث الهيئة، فنظر بعضنا إلى بعض، نظر مستزر وجالته، فقال الإمام الرضا: سترونه عن قريب، كثير المال، كثير الخدم، حسن الهيئة، فما مضى إلا شهر واحد، حتى ولي أمر المدينة، وحسنت حاله، وكان يمر بنا كثيرا، وحوله الخدم والحشم، يسيرون بين، فنقوم له، ونعظمه وندور له.
وعن جعفر بن صالح قال: أتيت الرضا فقلت، امرأتي أخت محمد بن سنان - وكان من خواص شيعتهم - وبها حمل، فادع الله أن يجعله ذكرا، قال: هما اثنان، فوليت وقلت: أسمي واحدا عليا، والآخر محمدا، فدعاني فأتيته، فقال: سم واحدا عليا، والأنثى أم عمرو، كما أمرني، وقلت لأمي: ما معنى أم عمرو، قالت: جدتك كانت تسمى " أم عمرو ".
وعن حمزة بن جعفر الأرجاني قال: خرج هارون الرشيد من المسجد الحرام من باب، وخرج الإمام علي الرضا من باب، فقال علي الرضا - وهو يعني هارون الرشيد - يا بعد الدار، وقرب الملتقى، يا طوس، ستجمعيني وإياه.
وعن موسى بن عمران قال: رأيت علي الرضا بن موسى في مسجد المدينة، وهارون الرشيد يخطب، قال: تروني وإياه ندفن في بيت واحد.
وعن هرثمة بن أعين - وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون، وكان قائما بخدمة علي الرضا - قال: طلبني سيدي أبو الحسن الرضا في يوم من الأيام، وقال لي: يا هرثمة إني مطلعك على أمر، يكون سرا عندك، لا تظهره لأحد مدة حياتي، فإن أظهرته حال حياتي، كنت خصما لك عند الله، فحلفت له، أني لا أتفوه بما يقوله لي لأحد مدة حياته.

فقال لي: يا هرثمة، إنه قد دنا رحيلي، ولحوقي بآبائي وأجدادي، وقد بلغ الكتاب أجله، وإني أطعم عنبا ورمانا مفتونا فأموت، ويقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه هارون الرشيد، وإن الله يقدره على ذلك، وإن الأرض تشتد عليهم، فلا تعمل فيها المعاول، ولا يستطيعون حفرها، فاعلم يا هرثمة أن مدفني في الجهة الفلانية من اللحد الفلاني، لموضع عينته، فإذا أنا مت وجهزت، فاعلمه بجميع ما قلت لك، لتكون على بصيرة من أمري.
وقال أنا إذا وضعت في نعشي، وأرادوا الصلاة علي، فلا يصلى علي، وليتأن قليلا، يأتكم رجل عربي، على ناقة مسرع من جهة الصحراء، فينيخ ناقته، وينزل عنها، ويصلي علي فصلوا معه علي، وإذا فرغتم من الصلاة علي، وحملت إلى مدفني، الذي عينته لك، فاحفر شيئا يسيرا من وجه الأرض، تجد قبرا مطبقا معمورا، في قعر ماء أبيض، فإذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء، فهذا مدفني، فادفنوني فيه، الله الله يا هرثمة أن تخبر أحدا بهذا.
قال هرثمة: فوالله ما طالت أيامه، حتى أكل الرضا عند الخليفة عنبا ورمانا، فمات.
وعن أبي الصلت الهروي قال: دخلت على الإمام علي الرضا، وقد خرج من عند المأمون، فقال: يا أبا الصلت، قد فعلوها، وجعل يوحد الله ويمجده، فأقام يومين، ومات في اليوم الثالث.
قال هرثمة: فدخلت على الخليفة المأمون، لما بلغه موت أبي الحسن علي الرضا، فوجدت المنديل بيده، وهو يبكي عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين أتأذن لي أن أقول لك، قال: قل، فقصصت القصة عليه، التي قالها لي الرضا من أولها إلى آخرها، فتعجب المأمون من ذلك.
ثم إنه أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى، وأخرنا الصلاة عليه قليلا، فإذا بالرجل العربي قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء، كما قال،

فنزل، ولم يكلم أحدا، فصلى عليه، وصلى الناس معه، وأمر الخليفة بطلب الرجل، فلم يروا له أثرا، ولا لبعيره.
ثم إن الخليفة قال: نحفر له من خلف قبر الرشيد، لننظر ما قاله لك، فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان، وعجزوا عن حفرها، فتعجب الحاضرون من ذلك، وتبين للمأمون صدق ما قلته له.
فقال أرني الموضع الذي أشار إليه، فجئت بهم إليه، فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض، فظهرت الأطباق، فرفعناها فظهر قبر معمور، فإذا في قعره ماء أبيض، وأشرف عليه المأمون وأبصره، ثم إن ذلك الماء نضب من وقته، فواريناه فيه، ورددنا الأطباق على حالها والتراب.
ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى ومما سمعه مني، ويتأسف عليه ويندم، وكلما خلوت معه يقول لي: يا هرثمة، كيف قال لك أبو الحسن الرضا، فأعيد عليه الحديث، فيتلهف ويتأسف، ويقول: إنا لله وإنا إليه راجعون (١).
١٢ - أولاد الإمام الرضا: -
روى الشيخ المفيد في " الإرشاد " و " ابن شهرآشوب " في " مناقب آل أبي طالب " و " الطبرسي " في " إعلام الورى بأعلام الهدى " أن الإمام علي الرضا، لم يترك ولدا، إلا " الإمام محمد الجواد " (٢).
غير أن الخشاب، إنما يقول في كتابه " مواليد أهل البيت ": ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة، وهم: محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين، والبنت اسمها عائشة (٣).

---

(١) سيد الشبلنجي: نور الأبصار ص ١٥٩ - ١٦٠.
(٢) فضائل الإمام علي ص ٢٣٤.
(٣) نور الأبصار ص ١٦٠، وفي هامش رقم ٢ ص ٢٢٨ من كتاب " عمدة الطالب " يقول: للإمام الرضا ثلاثة أولاد: موسى ومحمد وفاطمة.

(٤) الإمام محمد الجواد

١ - نسبه ومولده: -

هو الإمام أبو جعفر محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، وسيدة نساء العالمين السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

هذا وقد ولد الجواد بالحديثة عام ١٩٥ ه، وتوفي عام ٢٢٠ ه، وهو ابن ٢٥ سنة، عاش مع أبيه الرضا ٧ سنين، وبقي بعده ١٨ سنة، وأمه أم ولد، اسمها " سكن " (١)

وفي وفيات الأعيان، يقول ابن خلكان: وكانت ولادته يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان - وقيل منتصفه - سنة خمس وتسعين ومائة، وتوفي يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ذي الحجة سنة عشرين ومائتين، وقيل تسع عشرة ومائتين ببغداد، ودفن عند جده الإمام موسى بن جعفر الكاظم، رضي الله عنهم أجمعين - في مقابر قريش، وصلى عليه الواثق بن المعتصم (٢).

وفي مروج الذهب: وفي سنة تسع عشرة ومائتين، قبض محمد الجواد بن

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٤٣.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤ / ١٧٥، وانظر الكليني الكافي ١ / ٤٩٧.

موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وذلك لخمس خلون من ذي الحجة، ودفن ببغداد في الجانب الغربي بمقابر قريش، مع جده موسى بن جعفر، وصلى عليه الواثق، وقبض وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقبض أبو علي بن موسى الرضا، ومحمد (الجواد) ابن سبع سنين وثمانية أشهر، وقيل غير ذلك، وقيل إن " أم الفضل " بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سمته (١).

وكان الإمام محمد الجواد يكنى " بأبي جعفر " - كجده الباقر - وألقابه كثيرة: الجواد والقانع والمرتضى وأشهرها الجواد، وصفته أبيض معتدل (٢)، غير أن هناك من يذهب إلى أنه كان شديد الأدمة، معتدل القامة (٣).

وقال صاحب كتاب " مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ": " هذا محمد أبو جعفر الثاني، فإنه قد تقدم في آبائه أبو جعفر محمد الباقر بن علي، جاء هذا باسمه وكنيته، واسم أبيه، فعرف " بأبي جعفر الثاني "، وإن كان صغير السن، فهو كبير القدر، رفيع الذكر، ومناقبه، رضي الله عنه، كثيرة (٤).

٢ - الإمام محمد الجواد والإمامة:

عندما انتقل الإمام علي الرضا إلى جوار ربه - راضيا مرضيا - كان ولده محمد الجواد في التاسعة من عمره، فأنكر جمهور المسلمين على الشيعة ولاية الأئمة، والأخذ عنهم، وهم في سن الصبا، لا سيما وأن العادات العربية، تجعل للسن أهمية في ولاية الأمور، فكانت ولايته، ولم يبلغ سن الرشد، أخطر مشكلة واجهت الشيعة بالنسبة لشخص الإمام الجواد.

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٤٣٩.

(٢) نور الأبصار ص ١٦٠.

(٣) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٣٧.

(٤) نور الأبصار ص ١٦١.

هذا ويعبر " النوبختي " عن تشكك الناس في إمامته بقولهم: لا يجوز أن يكون إلا بالغا، ولو جاز أن يأمر الله عز وجل بطاعة غير بالغ، لجاز أن يكلف الله غير بالغ، فكذلك لا يفهم أن يتولى القضاء بين الناس والفصل في دقائق الأمور وجليلها، وغامض الأحكام، وشرائع الدين، وجميع ما أتى به النبي، وآله، وما يحتاج إلى يوم القيامة معقول، ولا متعارف، وأنى لأبي جعفر الجواد العلم الواجب للأئمة، وقد حمل أبوه إلى خراسان وكان الجواد ابن أربع سنين، فأنى له معرفة دقيق الدين وجليله (١)، وهو ما يفترض في الأئمة.

ولقد قيل للإمام الجواد: إن الناس ينكرون عليك حداثة سنك، فقال:

وما ينكرون من ذلك، وقد قال الله تعالى لنبيه: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة، أنا ومن اتبعني) (٣)، فوالله ما اتبعه حينئذ إلا علي، وله تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين " (٣).

والوقع أن هناك أكثر من آية للاستشهاد بها على إمامة الصبية، قال تعالى في سيدنا يحيى بن زكريا عليهما السلام (وآتيناه الحكم صبيا) (٤)، ثم معجزة المسيح ابن مريم، عليه السلام، حين نطق في المهد قائلا: (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) (٥).

ولما كانت الإمامة تجري مجرى النبوة، فليس منكرا إذن أن تكون إمامة الإمام الجواد قبل أن يبلغ الرشد، إذ يجوز للإمام أن يؤتى الحكم صبيا، ويؤتاه

---

(١) النوبختي: فرق الشيعة.

(٢) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٣) الكليني: الكافي ص ٩٣، أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٩٠.

(٤) سورة مريم: آية ١٢.

(٥) سورة مريم: آية ٣٠.

وهو ابن أربعين (١) لقول الله تعالى (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) (٢)، ولقوله تعالى (ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما) (٣)
على أن العلماء مختلفون في معنى " الحكم " هنا في قول الله تعالى:
(وآتيناه الحكم صبيا) وغيرها، فمن قائل إنها بمعنى الحكمة، وهي الفهم في التوراة والفقه في الدين، قال الإمام الطبري في التفسير: المعنى أعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه، قبل بلوغه أسنان الرجال، ومن قائل إنها بمعنى العقل والفراسة الصادقة، ومن قائل: إنها النبوة، وعليه كثير، قالوا: أوتيها وهو ابن ثلاثين، وقيل وهو ابن سبع سنين، أو ابن اثنتين، ولم يتنبأ أكثر الأنبياء عليهم السلام، قبل الأربعين، وإن رأى البعض أن الحكم هنا، ليس بمعنى النبوة، فهي على سن الأربعين، وإنما المراد الفهم والفقه في الدين، وهو غير الحكمة المفسرة بالنبوة، كما في آية البقرة، التي جاءت في حق داود عليه السلام (٤)، يقول الله تعالى: (وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) (٥).
هذا ويرجح الإمام الفخر الرازي في التفسير الكبير، أنها النبوة، ذلك لأن الله تعالى قد أحكم عقله (أي سيدنا يحيى عليه السلام) في صباه، وأوحى إليه، وذلك لأن الله تعالى بعث يحيى وعيسى، عليهما السلام، وهما صبيان، - لا كما بعث موسى ومحمدا عليهما السلام، وقد بلغا الأشد - والأقرب حمل الحكم على النبوة لوجهين:

---

(١) المسعودي: إثبات الوصية ص ٢١١، أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٩١.
(٢) سورة يوسف: آية ٢٢.
(٣) سورة القصص: آية ١٤.
(٤) تفسير الطبري ١٦ / ٥٤ - ٥٥، تفسير النسفي ٣ / ٣٠، تفسير ابن كثير ٣ / ١٨٣، تفسير روح المعاني ١٦ / ٧٢، تفسير الكشاف ٢ / ٥٠٤، صفوة التفاسير ٢ / ٢١٣.
(٥) سورة البقرة: آية ٢٥١، وانظر عن قصة داود عليه السلام (محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث ص ٩ - ٨٧ - بيروت ١٩٨٨ م)

الأول: أن الله تعالى ذكر في هذه الآية (وآتيناه الحكم صبيا) صفات شرفه ومنقبته، ومعلوم أن النبوة أشرف صفات الإنسان، فذكرها في معرض المدح أولى من ذكر غيرها، فوجب أن تكون نبوته مذكورة في هذه الآية، ولا لفظ يصلح للدلالة على النبوة، إلا هذه اللفظة، فوجب حملها عليها.
والثاني: أن الحكم: هو ما يصلح لأن يحكم به على غيره ولغيره على الإطلاق، وذلك لا يكون إلا " بالنبوة "، فإن قيل كيف يعقل حصول العقل والفطنة والنبوة حال الصبا؟
قلنا هذا السائل: إما أن يمنع من خرق العادة أو لا يمنع، فإن منع منه فقد سد باب النبوات، لأن النبوة بناء الأمر فيها على المعجزات، ولا معنى لها إلا خرق العادات، وإن لم يمنع فقد زال هذا الاستبعاد، فإنه ليس استبعاد صيرورة الصبي عاقلا، أشد من استبعاد انشقاق القمر، وانفلاق البحر (١).
وأما بالنسبة لصغر سن الإمام الجواد: فيروي الكليني بسنده عن محمد بن خلاد قال: سمعت الرضا يقول: ما حاجتكم إلى ذلك، هذا أبو جعفر (الجواد) قد أجلسته مجلسي، وصيرته مكاني، وقال: إنا أهل بيت يتوارث أصاغرنا عن أكابرنا، القذة بالقذة.
وروى الكليني بسنده عن ابن قياما الواسطي قال: دخلت على علي بن موسى (الرضا) فقلت له: أيكون إمامان؟ فقال: لا، إلا وأحدهما صامت، فقلت له: هو ذا أنت ليس لك صامت - ولم يكن ولد أبو جعفر (الجواد) بعد - فقال لي: والله ليجعلن الله مني ما يثبت به الحق وأهله، ويمحق به الباطل وأهله، فولد له بعد سنة أبو جعفر، وكان " ابن قياما " واقفيا.
وعن صفوان بن يحيى قال: قلت للرضا: قد كنا نسألك قبل أن يهب لك

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٢١ / ١٩١ - ١٩٢. وانظر (محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث ص ٢٦٠ - ٢٦٢ - بيروت ١٩٨٨ م).

أبا جعفر، فكنت تقول: يهب الله لي غلاما، فقد وهبه الله لك، فأقر عيوننا، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كون، فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر، وهو قائم بين يديه، فقلت: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين، فقال: وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى بالحجة، وهو ابن ثلاث سنين.

وعن معمر بن خلاد قال: سمعت إسماعيل بن إبراهيم يقول للرضا: إن ابني في لسانه ثقل، فإما أبعث به إليك غدا فتمسح على رأسه، وتدعو له، فإنه مولاك، فقال: هو مولى أبي جعفر، فابعث به غدا إليه.

وعن الحسين بن محمد عن الخيراني عن أبيه قال: كنت واقفا بين يدي أبي الحسن الرضا بخراسان، فقال له قائل: يا سيدي، إن كان كون، فإلى من؟ قال: إلى أبي جعفر (الجواد) ابني، فكأن القائل قد استصغر سن أبي جعفر، فقال له أبو الحسن الرضا: إن الله تبارك وتعالى بعث عيسى ابن مريم رسولا نبيا، صاحب شريعة مبتدأه، في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر (١).

وروى المسعودي في إمامة الجواد، عن الحميري عن حنان بن سدير، قال: قلت للرضا، يكون إمام ليس له عقب؟ فقال لي: أما أنه لا يولد لي إلا واحدا، ولكن الله ينشئ منه ذرية كثيرة، ولم يزل أبو جعفر محمد بن علي – مع حداثته وصباه – يدير أمر الرضا بالمدينة، ويأمر الموالي وينهاهم، ولا يخالف عليه أحد منهم.

ويروي المسعودي كذلك أن الناس – بعد وفاة الرضا – احتاروا فيمن يقصدون للسؤال بعده، فاجتمعوا إليه، وسألوه عدة أسئلة، فأجابهم بإجابات والده، فاعترفوا له بالإمامة (٢).

ويقول: المفيد في إمامة الجواد: وكان الإمام بعد الرضا ابنه محمد،

---

(١) الكليني: الكافي ١ / ٣٢٠ – ٣٢١.

(٢) المسعودي: إثبات الوصية ص ١٧٩ – ١٨١.

وبالنص عليه، والإشارة من أبيه إليه، وتكامل الفضل فيه (١).
ويقول ابن شهرآشوب (٢): " والدليل على إمامته، القطع على العصمة، ووجوب كونه أعلم الخلق بالشريعة، واعتبار القول بإمامة الاثني عشر، وتواتر الشيعة.
وعلى أية حال، فإن الشيعة إنما تؤيد استدلالها على إمامة محمد الجواد بمناظرات وقعت في مجلس الخليفة المأمون بين الإمام الجواد والعلماء الذين تشككوا في إمامته، فضلا عن بعض بني العباس، الذين أنكروا على المأمون تزويج الإمام الجواد من " أم الفضل " ابنة الخليفة المأمون، وكيف أفحم الإمام الجواد جميع الحاضرين بإجابته المسكتة في الفقه وشتى علوم الدين.
ومع ذلك، فإن الشيعة الاثني عشرية - وهم لا يجدون حرجا في إمامته - قد اختلفوا في الالتزامات المنوطة به، وبمقتضى الإمامة، فجعله فريق الأئمة من قبله، منذ وفاة أبيه (٣).
على أن فريقا آخر إنما ذهب إلى أنه " إمام " بمعنى أن الأمر فيه، وله، دون الناس، على أنه لم يجتمع فيه ما اجتمع في غيره من الأئمة المتقدمين، فلا يجوز له أن يؤمهم، وإنما يتولى الصلاة، وينفذ الأحكام غيره من أهل الفقه والدين والصلاح، إلى أن يبلغ المبلغ الذي يصلح هذا فيه (٤).
هذا وقد اختلفت الشيعة كذلك في مصدر علمه، فقالت طائفة: إن الله علمه ذلك عند البلوغ بضروب تدل على جهات علم الإمام، كالإلهام، والنكت

---

(١) المفيد: الإرشاد ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٢) ابن شهرآشوب: مناقب آل أبي طالب ٤ / ٣٨٠، وانظر نبيلة عبد المنعم: المرجع السابق ص ٢٨٠ - ٢٨٣.
(٣) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٩١.
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين ١ / ١٠٢ (القاهرة ١٣٧٣ ه).

وفي القلب، والنقر في الآذان، والرؤيا الصادقة في المنام، والملك المحدث له، ووجوه رفع المنار، والعمود والمصباح وعرض الأعمال، وهذا يعني أن هذا الفريق إنما لجأ إلى المغيبات، يلتمسون فيها، وفي تصورها، إقامة علم الإمام، بل يذهبون إلى أن الأخبار الصحيحة القوية الأسانيد والتي لا يجوز دفعها، ولا رد مثلها، إنما قد صحت في الإمام محمد الجواد (١).

على أن طائفة أخرى إنما قد أنكرت هذه المصادر للمعرفة، ذلك لأن الوحي إنما قد انقطع بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإلهام إنما يلحق عند المناظرة، والفكر أن تعرف شيئا كانت قد تقدمت معرفتك به في الأمور النافعة فتذكره، وأحكام الشرع - على كثرة اختلافها وعللها - لا تعرف بالفكر، ذلك لأن أصح الناس فكرا، وأوضحهم عقلا وخاطرا، وأحضرهم ذهنا، لو فكر - وهو لم يسمع أن الظهر أربع ركعات، والمغرب ثلاث - ما استخرج ذلك بفكره، ولا عرفه بنظره، ولا استدل عليه بكمال عقله، ولا أدركه بحضور ذهنه، لأنه من المعقول أن لا يعرف ذلك إلا بالتعليم، فوجوه علم الإمام، من كتب أبيه، وما ورثه من العلم فيها، وما رسم له فيها من الأصول والفروع (٢).

على أن طائفة ثالثة، إنما قد أعطت الإمام القداسة العظمى، التي تشيع في فكر الإمامية عامة، وهي أن الإمام إمام - سواء أكان بالغا أو غير بالغ - لأنه حجة الله على الأرض، وقد يجوز أن يعلم، وإن كان صبيا، ويجوز عليه الإلهام والنكت والرؤيا والملك المحدث، كل ذلك يجوز عليه - كما جاز على أسلافه الماضين، حجج الله في الأرض، وقد حدث هذا ل " يحيى بن زكريا "

---

(١) النوبختي: فرق الشيعة ص ٨٩، أبو خلف القمي: كتاب المقالات ص ٩٧، علي سامي النشار: نشأة الفكر الإسلامي في الإسلام - الجزء الثاني - نشأة التشيع وتطوره ص ٢٨٣ (دار المعارف - ١٩٦٩).

(٢) النوبختي: فرق الشيعة ص ٧٧، أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية - ص ٣٩١ - ٣٩٢ دار المعارف - ١٩٦٩).

عليه السلام، من قبل: وآتاه الله الحكم صبيا، وعيسى بن مريم عليه السلام، وغيرهما، من الحجج (١)
٣ - الإمام محمد الجواد والمأمون:
قال الشيخ المفيد في " الإرشاد ": كان الخليفة المأمون قد شغف بالإمام محمد الجواد، لما رأى من فضله، مع صغر سنه، وبلوغه في العلم والحكمة، والأدب وكمال العقل، ما لم يساوه فيه أحد من أهل زمانه، فزوجه ابنته " أم الفضل " وحملها معه إلى المدينة، وكان متوفرا على إكرامه وتعظيمه، وإجلال قدره. وأنكر العباسيون على المأمون عزمه على تزويج الإمام الجواد من ابنته، وقالوا له: ننشدك الله أن لا تقيم على هذا الأمر، الذي عزمت عليه، فنحن نخشى أن يخرج منا أمر قد ملكناه، وقد عرفت ما بيننا وبين آل أبي طالب.
فقال المأمون: أما الذي بينكم وبينهم، فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى منكم، وقد اخترت محمد بن علي (محمد الجواد بن علي الرضا) لتفوقه على كافة أهل الفضل والعلم، مع صغر سنه، وسيظهر لكم، وتعلموا أن الرأي ما رأيت.
قالوا: إنه صغير السن، ولا معرفة له، ولا فقه.
قال المأمون: ويحكم أنا أعرف به منكم، إنه من أهل بيت علمهم من الله، ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب على الرعايا، وإن شئتم فامتحنوه، حتى يتبين لكم ذلك.
قالوا: قد رضينا.
واجتمع رأيهم أن يقابلوا الإمام الجواد بقاضي القضاة " يحيى بن أكثم "، فأتوا به إلى مجلس المأمون، ومعه الإمام الجواد والناس من حولهم.

---

(١) علي سامي النشار: المرجع السابق ٢٨٤.

وسأل ابن أكثم الإمام عن: محرم قتل صيدا؟
فقال الإمام الجواد: هل قتله في حل أو حرم؟ عالما كان أو جاهلا؟ عمدا أو خطأ؟ حرا كان المحرم أو عبدا؟ صغيرا كان أو كبيرا؟ مبتديا بالقتل أو معيدا؟ من ذوات الطير كان الصيد أو من غيرها؟ ومن صغار الطير أو من كباره؟ مصرا على ما فعل أو نادما؟ في الليل كان قتل الصيد أو في النهار؟ وفي عمرة كان ذلك أو حج؟
فتحير ابن أكثم، وبان عليه العجز والانقطاع، حتى عرف أهل المجلس أمره.
فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق، ثم التفت إلى أقربائه من بني العباس، وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرون؟
فقالوا: أنت أعلم بما رأيت.
قال: إن أهل هذا البيت خصوا - من دون الخلق - بما ترون من الفضل، وإن صغر السن فيهم، لا يمنعهم من الكمال، فقد دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عليا إلى
الإسلام، وهو ابن عشر سنين، وقبله منه، ولم يدع أحدا في هذه السن - كما دعا عليا - وبايع الحسن والحسين - وهما دون ست سنين، ولم يبايع صبيا غيرهما، أفلا تعلمون أن الله قد خص هؤلاء القوم، وأنهم ذرية بعضهم من بعض، يجري لآخرهم، ما يجري لأولهم، قالوا: صدقت (١).
وفي نور الأبصار، وفي الصواعق المحرقة: أن المأمون قدم بغداد، بعد وفاة الإمام الرضا بسنة، فخرج يوما للصيد، فوجد الإمام الجواد واقفا، والصبيان يلعبون في أزقة بغداد، وكان عمر الإمام الجواد تسع سنين، فألقى الله

----
(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٤٣ - ٢٤٤ (دار التعارف للمطبوعات - بيروت).

محبته في قلبه، ثم قال لهم: ما منعك من الانصراف؟ (وكان الصبيان قد فروا لما رأوا الخليفة).
فقال الإمام الجواد: يا أمير المؤمنين لم يكن الطريق ضيقا فأوسعه لك، وليس لي جرم فأخشاك، والظن بك حسن، أنك لا تضر من لا ذنب له.
فأعجبه كلامه وحسن صورته، فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟
فقال الإمام: محمد بن علي الرضا، فترحم على أبيه، وساق جواده.
وكان مع المأمون بزاة للصيد، فلما بعد عن العمار، أرسل بازا على دراجة، فغاب عنه، ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة، وبها بقاء الحياة، فتعجب من ذلك غاية العجب.
ورأى الصبيان على حالهم - ومحمد عندهم، ففروا إلا محمدا - فدنا منه، وقال له: ما في يدي؟
فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله خلق في بحر قدرته سمكا صغارا، يصيدها بازات الملوك والخلفاء، فيختبروا بها سلالة أهل بيت المصطفى، صلى الله عليه وسلم وآله.
فقال له: أنت ابن الرضا حقا، وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشغوفا به، لما ظهر له بعد ذلك، من فضله وعلمه، وكمال عظمته، وظهور برهانه، مع صغر سنه.
وعزم على تزويجه بابنته " أم الفضل " وصمم على ذلك، ومنعه العباسيون من ذلك خوفا من أن يعهد إليه - كما عهد إلى أبيه من قبل - فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل - علما ومعرفة وحكما، مع صغر سنه - فنازعوا في اتصاف الإمام محمد الجواد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه

من يختبره، فأرسلوا إليه قاضي القضاة " يحيى بن أكثم " ووعدوه بشئ كثير، إن قطع لهم وأخجله، فحضروا للخليفة، ومعهم " ابن أكثم " وخواص الدولة.
فأمر المأمون بفرش حسن للإمام " محمد الجواد " فجلس عليه، فسأله " يحيى بن أكثم " مسائل أجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له المأمون: أحسنت أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى، ولو مسألة واحدة، فافعل.
قال الإمام الجواد ليحيى: ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراما، ثم حلت له عند ارتفاعه، ثم حرمت عليه عند الظهر، ثم حلت له عند العصر، ثم حرمت عليه المغرب، ثم حلت له العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل، ثم حلت له الفجر؟
فقال يحيى بن أكثم: لا أدري.
فقال الإمام محمد الجواد: هي أمة نظرها أجنبي بشهوة، وهي حرام، ثم اشتراها ارتفاع النهار، فأعتقها الظهر، وتزوجها العصر، وظاهر منها المغرب، وكفر العشاء، وطلقها رجعيا نصف الليل، وراجعها الفجر.
فقال المأمون للعباسيين: قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثم زوجه في ذلك المجلس بنته " أم الفضل " ثم توجه بها إلى المدينة، فأرسلت تشتكي منه لأبيها، أنه تسرى عليها، فأرسل إليها أبوها: إنا لم نزوجك له، لنحرم عليه حلالا، فلا تعودي لمثله، ثم قدم بها بطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفي فيها في آخر ذي القعدة، ودفن في مقابر قريش في ظهر جده الإمام موسى الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة - ويقال إنه سم أيضا - عن ذكرين وبنتين (١).

---

(١) ابن حجر الهيثمي: الصواعق المحرقة ص ٣١١ - ٣١٢، الشبلنجي: نور الأبصار ص ١٦١.

٤ - الإمام الجواد والمعتصم:
مات الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ ه‍ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)، وبويع بالخلافة لأخيه " المعتصم " (٢١٨ - ٢٢٧ ه‍ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) فطلب الإمام الجواد، وأحضره إلى بغداد، وقيل: إنه أخذ يعمل الحيلة في قتله، حتى دس له السم، فانتقل إلى جوار ربه، ودفن بالكاظمية مع جده الإمام الكاظم (١).

٥ - من مرويات الإمام الجواد:
روى الإمام محمد الجواد الحديث عن أبيه وغيره، وروى عنه جماعة، منهم المأمون وأبو السلط الهروي، وأبو عثمان المازني النحوي (٢).
وفي وفيات الأعيان: وكان يروي مسندا عن آبائه إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، أنه قال: " بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى اليمن، فقال لي - وهو يوصيني، يا علي، ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، يا علي: عليك بالدلجة، فإن الأرض تطوي بالليل، ما لا تطوي بالنهار، يا علي: أغد باسم الله، فإن الله بارك لأمتي في بكورها ".
وقال جعفر بن محمد بن مزيد: كنت ببغداد، فقال محمد بن منده بن مهر يزد: هل لك أن أدخلك على محمد بن علي الرضا؟ فقلت: نعم، قال: فأدخلي عليه، فسلمنا وجلسنا، فقلت له: حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن فاطمة رضي الله عنها، أحصنت فرجها، فحرم الله ذريتها على النار، قال: ذلك خاص بالحسن والحسين، رضي الله عنهما (٣).

---

(١) الشيعة في الميزان ص ٢٤٥.
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٢٥٠.
(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ٤ / ١٧٥.

٦ - من أقوال الإمام محمد الجواد:

قال الإمام: من استفاد أخا في الله، فقد استفاد بيتا في الجنة (١).

وقال: أوحى الله، إلى بعض أنبيائه: أما زهدك في الدنيا، فيجعل لك الراحة، وأما انقطاعك إلي فيعززك بي، ولكن: هل عاديت لي عدوا، أو واليت لي واليا.

وقال: من انقاد إلى الطمأنينة قبل الخبرة، فقد عرض نفسه للهلكة.

وقال: كفى بالمرء خيانة، أن يكون أمينا للخونة.

وقال: نعمة لا تشكر، كسيئة لا تغفر.

وقال: لا يضرك سخط، من رضاه الجور.

وقال: من عمل على غير علم، كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

وقال: القصد إلى الله بالقلوب، أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال.

وقال: من أطاع هواه، أعطى عدوه مناه.

وقال: من لم يعرف الموارد، أعيته المصادر (٢).

وقال: إن لله عبادا يخصهم بدوام النعم، فلا تزال فيهم ما بذلوها، فإن منعوها، نزعها الله منهم، وحولها إلى غيرهم.

وقال: ما عظمت نعمة الله على أحد، إلا عظمت عليه حوائج الناس، فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعم للزوال.

وقال: أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج، من أهل الحاجة إليه، لأن لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف، فإنما يبتدئ فيه بنفسه.

وقال: من أجل شيئا هابه، ومن جهل شيئا عابه، والفرصة خلسة، ومن كثر همه سقم جسمه، وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه.

----

(١) وفيات الأعيان ٤ / ١٧٥.

(٢) فضائل الإمام علي ص ٢٣٧ - ٢٣٨.

وقال: عنوان صحيفة المسلم السعيد، حسن الثناء عليه.
وقال: من استغنى بالله، افتقر الناس إليه، ومن اتقى الله أحبه الناس.
وقال: الجمال في اللسان، والكمال في العقل.
وقال: العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة الورع، وبسط الوجه زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع.
وقال: حسب المرء من كمال المروءة أن لا يلقى أحدا بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن إنصافه قبوله الحق، إذا بان، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارحك تركه توبيخك عند ذنب أصابك، مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تركه.
ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ ومن علامة صداقته كثرة موافقته، وقلة مخالفته، ومن شكره معرفة من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره، وغنائه بصلاح عيوبه.
وقال العالم بالظلم، والمعين عليه، والراضي به، شركاء.
وقال: من أخطأ وجوه المطالب، خذلته الحيل، ومن طلب البقاء، فليعد للمصائب قلبا صبورا.
وقال: العلماء غرباء، لكثرة الجهال بينهم.
وقال: الصبر على المصيبة، مصيبة على الشامت.
وقال: ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة. وثلاث من كن فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم.

وقال: مقتل الرجل بين فكيه، وبئس الظهير الرأي الفطير.
وقال: ثلاث خصال تجتلب بهن المودة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدة، والانطواء على قلب سليم.
وقال: الناس أشكال، وكل يعمل على شاكلته، والناس إخوان، فمن كانت أخوته في غير ذات الله، فإنها تعود عداوة، قال تعالى: (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو، إلا المتقين).
وقال: من استحسن قبيحا، كان شريكا فيه.
وقال: كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر، فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك.
وقال: لا تفسد الظن على صديق، قد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سرا، فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شأنه.
وقال: لا يزال العقل والحمق يتغالبان على الرجل، إلى أن يبلغ ثماني عشرة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه، وما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة، فعلم أنها من الله، إلا كتب على اسمه شكرها له، قبل أن يحمده عليها، ولا أذنب عبد ذنبا، فعلم أن الله مطلع عليه، وأنه إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، إلا غفر له قبل أن يستغفره.
وقال: الشريف كل الشريف، من شرفه علمه، والسؤدد كل السؤدد، لمن اتقى الله ربه.
وقال: لا تعاجلوا الأمر قبل وقوعه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمل، فتقسوا قلوبكم...
وقال: من أمل فاجرا، كان أدنى عقوبته الحرمان.
وقال: موت الإنسان بالذنوب، أكبر من موته بالأجل، وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر.

وقال: لو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد، ثم اتقى الله لجعل الله له منها مخرجا.

وقال: من وثق بالله، وتوكل على الله، نجاه الله من كل سوء، وحرز من كل عدو، والدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية ومن ركب مركب الصبر، اهتدى إلى مضمار المصر، ومن غرس أشجار التقى، اجتنى ثمار المنى (١).

٧ - من كرامات الإمام محمد الجواد:

عن أبي خالد قال: كنت بالعسكر، فبلغني أن هناك رجلا محبوسا أتي به من الشام مكبلا بالحديد، قالوا: إنه تنبأ، قال: فأتيت باب السجن، ودفعت شيئا للسجان حتى دخلت عليه، فإذا رجل ذو فهم وعقل ولب، فقلت: يا هذا ما قصتك؟.

قال: إني كنت رجلا بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين، فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبلا على المحراب أذكر الله تعالى، إذ رأيت شخصا بين يدي، فنظرت إليه، فقال لي: قم فقمت معه، فمشى قليلا، فإذا أنا في مسجد الكوفة، فقال لي: تعرف هذا المسجد، فقلت: نعم، هذا مسجد الكوفة، قال: فصل، فصليت معه، ثم انصرف فانصرفت معه قليلا، فإذا نحن بمكة المشرفة، فطاف بالبيت فطفت معه، ثم خرج فخرجت معه، فمشى قليلا، فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام، ثم غاب عني، فبقيت متعجبا حولا، مما رأيت.

فلما كان العام المقبل، إذ ذاك الشخص قد أقبل على ما استبشرت به، فدعاني فأجبت، ففعل معي، كما فعل في العام الماضي، فلما أراد مفارقتي فقلت: بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك، ألا ما أخبرتني من أنت؟.

---

(١) نور الأبصار ص ١٦٢.

فقال: أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر، فحدثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع، فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فبعث إلي من أخذني من موضعي، وكبلني بالحديد، وحملني إلى العراق، وحبسني كما ترى، وادعى علي بالمحال.
فقلت له: فأرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات، قال: أفعل؟
فكتبت عنه قصته، وشرحت فيها أمره، ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فوقع على ظهرها: قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها، يخرجك من السجن.
قال أبو خالد: فاغتممت لذلك، وسقط في يدي، وقلت إلى غد آتيه، وآمره بالصبر، وأعده من الله بالفرج، وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر.
فلما كان من الغد، باكرت إلى السجن، فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج، فسألت: ما الخبر؟ فقيل لي: إن الرجل المتنبئ، المحمول من الشام، خرج البارحة من السجن وحده بمفرده، وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن، لا ندري كيف خلص منها؟ وطلب فلم يوجد له أثر، ولا خبر، ولا يدرون أنزل في الأرض، أم عرج به إلى السماء؟
فتعجبت من ذلك، وقلت في نفسي: استخفاف ابن الزيات بأمره، واستهزاؤه بقصته، خلصه من السجن - كذا نقله ابن الصباغ (١).
وفي الصواعق المحرقة (٢)، وفي نور الأبصار: أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ ﻫ)، فسأل عمن يخبره بذلك، فدل على محمد الجواد، فجاء فأجلسه معه على السرير، وسأله: فقال: إن الله حرم لحم

---

(١) في الصواعق المحرقة ٣١٠ - ٣١١ أنه الإمام علي الرضا، بل وقد أشار المسعودي إلى أنه ابن ابن علي الرضا، علي العسكري وانظر: المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٥٤٧ (بيروت ١٩٨٢).

أولاد الحسنين على السباع، فلتلق إلى السباع، فعرض عليها بذلك، فاعترفت بكذبها. ثم قيل للمتوكل: ألا تجرب ذلك فيه؟ فأمر بثلاثة من السباع فجئ بها في صحن قصره، ثم دعاه، فلما دخل بابه، أغلق عليه، والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها، فلما مشى في الصحن يريد الدرجة، مشت إليه، وقد سكنت، وتمسحت به، ودارت حوله، وهو يمسحها بكمه، ثم ربضت. فصعد للمتوكل، وتحدث معه ساعة، ثم نزل ففعلت معه، كفعلها الأول، حتى خرج، فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقيل للمتوكل: إفعل، كما فعل ابن عمك، فلم يجسر عليه، وقال: أتريدون قتلي، ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك (١).

وفي نور الأبصار: روى أنه لما توجه الإمام أبو جعفر محمد الجواد إلى المدينة الشريفة، خرج الناس يشيعونه للوداع، فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفة، عند دار المسيب، فنزل هناك عند غروب الشمس، ودخل إلى مسجد قديم، مؤسس بذلك الموضع، ليصلي فيه المغرب، وكان في صحن المسجد شجرة نبق، لم تحمل قط، فدعا بكوز فيه ماء فتوضأ في أصل الشجرة، وقام يصلي، فصلى معه الناس المغرب، ثم تنفل بأربع ركعات، وسجد بعدهن للشكر، ثم قام فودع الناس وانصرف، فأصبحت النبقة وقد حملت من ليلتها حملا حسنا، فرآها الناس، وقد تعجبوا من ذلك (٢).

٨ - أولاد الإمام محمد الجواد:

أعقب الإمام الجواد من رجلين هما: علي الهادي، وموسى المبرقع (٣).

---

(١) نور الأبصار ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) نور الأبصار ص ١٦٣.

(٣) ابن عنبة: المرجع السابق ص ٢٢٨.

(٥) الإمام علي الهادي
١ - نسبه مولده:
هو الإمام أبو الحسن علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن مولانا الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - وسيدة نساء العالمين، السيدة فاطمة الزهراء، بنت مولانا وسيدنا وجدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكنيته أبو الحسن، وألقابه: الهادي والمتوكل والناصح والمتقي والمرتضى والفقيه والأمين والطيب، وأشهرها: الهادي، وصفته أسمر اللون.
هذا وقد عاصر الإمام علي الهادي من خلفاء بني العباس: المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ ه‍ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) والواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ ه‍ / ٧٤٢ - ٧٤٧ م) والمتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ ه‍ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) والمنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨ ه‍ / ٨٦١ - ٨٦٢ م) والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ ه‍ / ٨٦٢ - ٨٦٦ م) والمعتز (٢٥٢ - ٢٥٥ ه‍ / ٨٦٦ - ٨٦٩ م).
هذا وكان الإمام علي الهادي قد ولد يوم الأحد، ثالث عشر رجب - وقيل يوم عرفة - سنة أربع عشرة، وقيل ثلاث عشرة ومائتين للهجرة، وقال

ابن الخشاب في كتابه " مواليد أهل البيت ": ولد أبو الحسن علي الهادي بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة.
وتوفي الإمام علي الهادي يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة - وقيل لأربع بقين منها، وقيل في رابعها - وقيل في ثالث رجب، سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة.
هذا وقد دفن الإمام الهادي في داره في " سر من رأى " (١)، ويقال إنه مات مسموما (٢).
وفي رواية اليعقوبي: وتوفي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في " سر من رأى " يوم الأربعاء، لثلاث بقين من جمادى الآخرة، سنة ٢٥٤ ه‍، وبعث الخليفة المعتز بأخيه " أحمد بن المتوكل "، فصلى عليه في الشارع المعروف، بشارع أبي أحمد، فلما كثر الناس واجتمعوا، كثر بكاؤهم وضجتهم، فرد النعش إلى داره، فدفن فيها، وسنه أربعون سنة، وخلف من الولد الذكور اثنين: الحسن وجعفر (٣)، وله ابنة اسمها عائشة (٤).
هذا ويذهب ابن عنبة في " عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب " إلى أن

---

(١) سر من رأى: عاصمة جديدة للخلافة، بناها الخليفة " المعتصم " بسبب غضب أهل بغداد من خشونة جنده الأتراك، وتقع " سر من رأى " أو " سامراء " على الضفة اليسرى لنهر الدجلة، وعلى مبعدة حوالي ١٠٠ كيلا شمالي بغداد، وقد ظلت " سامراء " عاصمة للعباسيين، حتى أعاد المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ ه‍ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م) مقر الخلافة إلى بغداد عام ٢٦٠ ه‍ (محمد بيومي مهران: تاريخ العراق القديم ص ١٨، العراق في التاريخ ص ٤٢٤ - ٤٢٨).
(٢) وفيات الأعيان ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٣، نور الأبصار ص ١٦٤ - ١٦٦.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ٥٠٣.
(٤) نور الأبصار ص ١٦٦.

الإمام علي الهادي، إنما كان يلقب " بالعسكري " لمقامه في " سر من رأى "، وكانت تسمى " العسكر "، وأمه أم ولد (اسمها أم الفضل) وكان الإمام الهادي في غاية الفضل، ونهاية النبل، أشخصه الخليفة المتوكل إلى " سر من رأى "، فأقام بها إلى أن توفي، وأعقب من رجلين، هما: الإمام أبو محمد الحسن العسكري، وكان من الزهد والعلم على أمر عظيم، وهو والد الإمام محمد المهدي - صلوات الله عليه - ثاني عشر الأئمة عند الإمامية، وهو القائم المنتظر عندهم، من أم ولد اسمها " نرجس " واسم أخيه أبو عبد الله جعفر، الملقب بالكذاب، لأنه أولد مائة وعشرين ولدا، ويقال لولده " الرضويون " نسبة إلى جده الرضا (١).

وأما الأستاذ محمد جواد مغنية، فيذكر أن للإمام الهادي أربعة ذكور، وبنت واحدة، وهم الإمام الحسن العسكري والحسين ومحمد وجعفر (الملقب بالكذاب، لأنه ادعى الإمامة بعد أخيه الحسن العسكري) وبنت هي " علية " (٢).

ويقول المسعودي: وكانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد، في خلافة المعتز، وذلك في يوم الاثنين، لأربع بقين من جمادى الآخرة، سنة أربع وخمسين ومائتين، وهو ابن أربعين سنة، وقيل ابن اثنتين وأربعين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وسمع في جنازته جارية تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين، قديما وحديثا؟ وصلى عليه أحمد بن المتوكل على الله، في شارع أبي أحمد، ودفن في داره في " سامراء " (٣).

---

(١) ابن عنبه: المرجع السابق ص ٢٢٨.

(٢) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٤٠، الشيعة في التاريخ ص ٢٤٦.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٥٤٥ - ٥٤٦.

٢ - الإمام علي الهادي والمتوكل:
كان الخليفة العباسي المتوكل يبغض سيدنا الإمام علي بن أبي طالب
- رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة - وذريته، ولما بلغه مقام الإمام علي
الهادي في المدينة، وميل الناس إليه، خاف منه، ودعا يحيى بن هرثمة "،
وأمره بالذهاب إلى المدينة، وإحضار الإمام الهادي، وقامت الدنيا على ساق،
لأن الإمام الهادي كان محسنا للناس، ملازما للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى
الدنيا.
ويتحدث " يحيى بن هرثمة " عن ذلك فيقول: " لما دخلت المدينة ضج
أهلها ضجيجا عظيما، ما سمع الناس بمثله، خوفا على الإمام الهادي، وقامت
الدنيا على ساق، لأنه كان محسنا إليهم، ملازما للمسجد ولم يكن عنده ميل
إلى الدنيا، فجعلت أسكنهم، وأحلف أني ما أمرت به بسوء، وأنه لا بأس
عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد فيه إلا المصاحف، والأدعية، وكتب
العلم، فعظم في عيني، وتوليت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته.
وما أن وصل الإمام إلى " سامراء " واستقر به المقام، حتى بعث إليه
المتوكل جماعة من الأتراك، فهجموا داره ليلا، وحملوه إلى المتوكل على
الحالة التي كان عليها، وقالوا له: لم نجد في بيته شيئا، ووجدناه يقرأ القرآن
مستقبلا القبلة.
وكان المتوكل حين دخل عليه الإمام الهادي في مجلس الشراب،
حاملا الكأس بيده، فلما رآه هابه وعظمه، وكان في المجلس " علي بن الجهم "،
فسأل المتوكل: من أشعر الناس؟ فذكر " ابن الجهم " الشعراء في الجاهلية
والإسلام، فسأل الإمام الهادي عن ذلك؟ فقال: أشعر الناس الحمامي، حيث
يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا المقال قضي لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت في كل جامع
فإن رسول الله أحمد جدنا * ونحن بنوه كالنجوم الطوالع
فقال له المتوكل: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله (١).

وفي رواية الحافظ ابن كثير: وكان أبو الحسن علي الهادي: عابدا زاهدا، نقله المتوكل إلى سامراء فأقام بها أزيد من عشرين سنة بأشهر، ومات بها سنة ٢٥٤ ه وقد ذكر للمتوكل أن بمنزله سلاحا وكتبا كثيرة من الناس، فبعث كبسه، فوجده جالسا مستقبل القبلة، وعليه مدرعة من صوف، وهو على التراب، ليس دونه حائل، فأخذوه كذلك، فحملوه إلى المتوكل، وهو على شرابه، فلما مثل بين يديه أجله وأعظمه، وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين، لم يدخل بطني، ولم يخالط لحمي ودمي قط، فاعفني منه، فأعفاه، ثم قال له: أنشدني شعرا، فأنشده:

باتوا على قلل الجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا
نادى بهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما لبسوا * فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
قال: فبكى المتوكل، حتى بل الثرى، وبكى من حوله بحضرته، وأمر

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٤٦ - ٢٤٧

برفع الشراب، وأمر له بأربعة آلاف دينار، وتحلل منه، إلى منزله مكرما، رحمه الله (١).
ويروي صاحب " مروج الذهب " عن ابن الأزهري أنه قال: حدثني
القاسم بن عباد، قال حدثني يحيى بن هرثمة قال: وجهني المتوكل إلى المدينة لإشخاص " علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر "، لشئ بلغه عنه، فلما صرت إليها ضج أهلها، وعجوا ضجيجا وعجيجا، ما سمعت مثله، فجعلت أسكنهم، وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه، وفتشت بيته، فلم أجد فيه، إلا مصحفا ودعاء، وما أشبه ذلك، فأشخصته وتوليت خدمته، وأحسنت عشرته.
فبينا أنا نائم يوما من الأيام، والسماء صاحية، والشمس طالعة، إذ ركب
وعليه ممطر، وقد عقد ذنب دابته، فعجبت من فعله، فلم يكن بعد ذلك إلا هنيهة حتى جاءت سحابة فأرخت عزاليها، ونالنا من المطر أمر عظيم جدا، فالتفت إلي، وقال: أنا أعلم أنك أنكرت ما رأيت، وتوهمت أني علمت من الأمر ما لا تعلمه، وليس ذلك كما ظننت، ولكني نشأت بالبادية، فأنا أعرف الرياح التي يكون في عقبها المطر، فلما أصبحت هبت ريح لا تخلف، وشممت منها رائحة المطر، فتأهبت لذلك.
فلما قدمت مدينة السلام (بغداد) بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري
- وكان على بغداد - فقال لي: يا يحيى، إن هذا الرجل قد ولده رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
والمتوكل من تعلم، وإن حرضته على قتله، كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، خصمك.
فقلت: والله ما وقفت له، إلا على كل أمر جميل.
فصرت إلى " سامراء " فبدأت ب " وصيف التركي " - وكنت من أصحابه

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية ١١ / ١٥، المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٤٧٦ - ٤٧٧، وفيات الأعيان ٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣.

فقال - فقال: والله لئن سقطت من رأس هذا الرجل شعرة، لا يكون المطالب بها غيري.
فعجبت من قولهما، وعرفت المتوكل ما وقفت عليه، وما سمعت من الثناء عليه، فأحسن جائزته، وأظهر بره وتكرمته (١).
هذا وقد حدث أبو عبد الله محمد بن عرفة النحوي قال: حدثنا محمد بن يزيد المبرد (٢) قال: قال المتوكل لأبي الحسن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم: ما يقول ولد أبيك في العباس بن عبد المطلب؟
قال: وما يقول ولد أبي يا أمير المؤمنين في رجل افترض الله طاعة بنيه على خلقه، وافترض طاعته على بنيه؟
فأمر له بمائة ألف درهم، وإنما أراد أبو الحسن طاعة الله على بنيه فعرض.
ومن كرامات آل البيت في عهد المتوكل، ما حدث به موسى بن صالح بن شيخ بن عميرة الأسدي، عن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب - وكان واليا على

---

(١) المسعودي، مروج الذهب ٢ / ٥٤٦.
(٢) المبرد: هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان الثمالي الأزدي البصري، المعروف بالمبرد النحوي، نزل بغداد، وكان إماما في النحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب، وأهمها كتاب الكامل، وكتاب الروضة والمقتضب وغيرها، أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، وأخذ عنه " نفطويه " وغيره من الأئمة، وكان المبرد - ومعاصره أبو العباس أحمد بن يحيى الملقب بثعلب صاحب كتاب الفصيح - قد ختم بها تاريخ الأدباء، وقد ولد المبرد في يوم الاثنين يوم عيد الأضحى عام ٢١٠ ه‍ وقيل عام ٢٠٧ م وتوفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي الحجة - وقيل ذي القعدة - عام ٢٨٦ ه‍ وقيل ٢٨٥ ه‍ - ودفن في مقابر باب الكوفة، وصلى عليه " أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي " (وفيات الأعيان ٤ / ٣١٣ - ٣٢٢).

بغداد – أنه رأى في منامه كأن النبي (صلى الله عليه وسلم)، يقول له: إطلق القاتل، فارتاع لذلك
روعا عظيما.
ونظر في الكتب الواردة لأصحاب الحبوس، فلم يجد فيهم ذكر قاتل،
فأمر بإحضار السندي وعباس، فسألهما: هل رفع إليهما أحد ادعي عليه بالقتل؟
فقال له العباس: نعم، وقد كتبنا بخبره.
فأعاد النظر في الكتاب في أضعاف القراطيس، وإذا الرجل قد شهد عليه
بالقتل، وأقر به. فأمر إسحاق بإحضاره، فلما دخل عليه، ورأى ما به من
الارتياع، قال له: إن صدقتني أطلقتك. فابتدأ يخبره بخبره، وذكر أنه كان هو
وعدة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة، ويستحلون كل محرم، وأنه كان
اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور، يعكفون فيه على كل بلية.
فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف إليهم للفساد، ومعها
جارية بارعة الجمال، فلما توسطت الجارية الدار صرخت صرخة، فبادرت من
بين أصحابي، فأدخلتها بيتا وسكنت روعها، وسألتها عن قصتها، فقالت: الله
الله في، فإن هذه العجوز خدعتني، وأعلمتني أن في خزانتها حقا لم ير مثله،
فشوقتني إلى النظر إلى ما فيه، فخرجت معها، واثقة بقولها، فهجمت بي
عليكم، وجدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وأمي فاطمة، وأبي الحسن بن علي، فاحفظوهم في.
قال الرجل: فضمنت خلاصها، وخرجت إلى أصحابي فعرفتهم بذلك،
فكأني أغريتهم بها، وقالوا: لما قضيت حاجتك منها، أردت صرفنا عنها،
وبادروا إليها، وقمت دونها أمنع عنها. فتفاقم الأمر بيننا، إلى أن نالتني جراح،
فعمدت إلى أشدهم كان في أمرها، وأكلبهم على هتكها، فقتلته، ولم أزل أمنع
عنها، إلى أن خلصتها سالمة.
وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها، فأخرجتها من الدار،

فسمعتها تقول: سترك الله، كما سترتني وكان لك، كما كنت لي.
وسمع الجيران الضجة، فتبادروا إلينا، والسكين في يدي، والرجل يشحط في دمه، فرفعت على هذه الحالة.
فقال له إسحاق: قد عرفت لك ما كان من حفظك للمرأة، ووهبتك لله ورسوله.
قال: فوحق من وهبتني له، لا عاودت معصية، ولا دخلت في ريبة، حتى ألقى الله
فأخبره إسحاق بالرؤيا التي رآها، وأن الله تعالى لم يضيع له ذلك، وعرض عليه برا واسعا، فأبى قبول شئ من ذلك (١).
ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا إلى أن المؤرخين يجمعون - أو يكادون - على أن الخليفة العباسي " المتوكل " - كما أشرنا آنفا - إنما كان شديد الوطأة على آل أبي طالب، غليظا على جماعتهم، وكان وزيره " عبيد الله بن يحيى بن خاقان " على سنته، ومن ثم فقد حسن له كل قبيح في معاملتهم.
وقد استعمل المتوكل على المدينة ومكة - كما يقول صاحب " مقاتل الطالبيين - " عمر بن الفرج الرخجي "، فمنع آل أبي طالب من التعرض للناس، ومنع الناس من البر بهم، وكان لا يبلغه أن أحدا تقرب منهم بشئ، وإن قل، إلا أنهكه عقوبة، وأثقله غرما، حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويات يصلين فيه، واحدة بعد واحدة، ثم يرفعنه، ويجلسن على مغازلهن عواري حاسرات.
وهكذا شاع من يسمونه " أمير المؤمنين "، المتوكل على الله " أن تقبع العلويات الطاهرات في بيوتهن عاريات، يتبادلن القميص المرقع عند الصلاة،

---

(١) المسعودي ٢ / ٤٧٨ - ٤٧٩.

وأن تختال الفاجرات العاهرات بالحلي، وحلل الديباج بين الإماء والعبيد (١).
وكان المتوكل يقرب " علي بن جهم "، لا لشئ، إلا لأنه كان يبغض أمير المؤمنين علي المرتضى، رضي الله عنه، وكرم الله وجهه في الجنة، وكان ابن الجهم هذا مأبونا، سمعه أبو العيناء يوما يطعن على الإمام علي، فقال له: إنك تطعن على الإمام علي، لأنه قتل الفاعل والمفعول من قوم لوط، وأنت أسفلهما (٢).
وكان ابن السكيت من كبار العلماء والأدباء في زمانه، وقد ألزمه المتوكل تعليم ولده المعتز، فقال له يوما: أيهما أحب إليك، ابناي هذان، المعتز والمؤيد، أو الحسن والحسين؟
فقال ابن السكيت (٨١٠ - ٨٥٧ م) والله إن " قنبرا " خادم علي بن أبي طالب، خير منك ومن ابنيك.
فقال المتوكل للأتراك (من جنده): سلوا لسانه من قفاه، ففعلوا، فمات (٣).
وكان عند المتوكل مخنث يدعى " عبادة " فيشد على بطنه مخدة، ويرقص

---

(١) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص ٥٩٧ محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١٦٩ - ١٧٠.
(٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٣ (وروى ابن أبي الحديد عن أبي الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني: أن علي بن الجهم خطب امرأة من قريش فلم يزوجوه، وبلغ المتوكل ذلك، فسأل عن السبب: فحدث بقصة بني سامة بن لؤي، وأن أبا بكر وعمر لم يدخلاهم في قريش، وأن عثمان أدخلهم فيها، وأن عليا عليه السلام أخرجهم منها، فارتدوا، وأنه قتل من ارتد منهم، وسبى بقيتهم، فباعهم من مصقلة بن هبيرة، فضحك المتوكل، وبعث إلى علي بن الجهم، وأخبره بما قال القوم (شرح نهج البلاغة ٣ / ١٢٦) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٨ - ٣٤٩.
(٣) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٨ - ٣٤٩، وفيات الأعيان ٦ / ٤٠٠ وانظر عن ابن السكيت (وفيات الأعيان ٦ / ٣٩٥ - ٤٠١، تاريخ بغداد ١٤ / ٢٧٣ الفهرست ص ٧٢، شذرات الذهب ٢ / ١٠٦

بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: أقبل البطين، خليفة المسلمين - وهم يعنون عليا أمير المؤمنين عليه السلام -، والمتوكل يشرب ويضحك.
وفعل ذلك، وابنه المنتصر حاضر، فقال لأبيه: إن الذي يحكيه هذا الكلب، ويضحك منه الناس، هو: " ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه، إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله، فقال المتوكل:
غنوا:
غار الفتى لابن عمه * رأس الفتى في حرامه
وسمعه يوما يشتم سيدة نساء العالمين، فاطمة الزهراء، بنت سيدنا مولانا محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فسأل أحد الفقهاء، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا
أن من قتل أباه، لم يطل عمره.
فقال المنتصر: لا أبالي، إذا أطعت الله بقتله، أن لا يطول عمري، فقتله، فعاش بعده سبعة أشهر (١).
وروى الإمام الطبري في تاريخه: أن أبا السمط دخل يوما على المتوكل، فأنشده قصيدة ذم فيها الشيعة، فعقد له على البحرين واليمامة، وخلع عليه أربع خلع، وأمر له بثلاثة آلاف دينار، نثرت على رأسه، وأمر ابنه المنتصر أن يلتقطها له، وكذا القصيدة (٢).
وفي عام ٢٣٦ ه (٨٥٠ م) - وقيل في عام ٢٣٧ ه - أمر المتوكل بهدم قبر مولانا وسيدنا الإمام الحسين بن علي - عليه السلام - ومحو أرضه، وإزالة آثاره، وجعل عقاب من يزوره القتل، وهكذا بعث المتوكل أحد رجاله، ويدعى

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة والحاكمون ص ١٧٠ - ١٧١، نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ٢٢٠، ابن الأثير: الكامل ٥ / ٢٠، ٢٨٧، ٣٠٠ (ط الاستفاقة).
(٢) تاريخ الطبري ١١ / ٦٧.

" الديزج " أو الذيرج - كان يهوديا فأسلم، لهدم قبر سيدنا الإمام الحسين، فامتنع الناس عن ذلك - رغم كل الإغراءات المادية - ومن ثم فقد اضطر هذا الديرج إلى أن يحضر قوما من يهود، فكربوه، وأجرى الماء من حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر، إلا أخذوه إليه.

وروى الإمام الطبري: أن المتوكل أمر عام ٢٣٦ ه‍، بهدم قبر الحسين، وهدم ما حوله من المنازل، والدور، وأن يحرث ويبذر، ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه وأن صاحب الشرطة نادى في الناس: " من وجدناه عند قبر الحسين بعد ثلاثة، بعثنا به إلى المطبق "، فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حوله ".

وكان لذلك أسوأ الأثر في نفوس المسلمين جميعا، فأطلقوا ألسنتهم في المتوكل، وكتبوا شتمه على الحيطان، ومنهم الشاعر المعروف بالبسامي، حيث قال فيه: -

تالله إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما

فلقد أتوه بنو أبيه بمثله * هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * في قتله فتبعوه رميما (١)

هذا وقد روى أبو الفرج عن محمد بن الحسين الأشفاني، أن عهده بعد بزيارة قبر الإمام الحسين، ثم ساعده عطار على ذلك: فكان يكمن في النهار، ويسير في الليل، حتى وصل إلى نواحي العاضرية، وخرج نصف الليل، حتى أتى القبر الشريف، فخفي عليه، فجعل يشمه ويتحراه، بعد أن ضاعت كل المعالم.

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٧، تاريخ ابن الأثير ٥ / ٣٠٠، ابن كثير: البداية والنهاية ١٠ / ٣١٥، تاريخ الطبري ١١ / ٤٤، المسعودي: مروج الذهب ٥١٤ - ٥١٥، الخضري: الدولة العباسية ص ٢٥٨ - ٢٥٩، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٣ / ٥.

فلما وصل المكان شم رائحة، ما شم مثلها من قبل، ولما سأل العطار
عن هذه الرائحة أخبره أنه لم يشم مثلها من قبل، ثم جعلا علامة على القبر
الشريف، فلما قتل الخليفة المتوكل بيد ابنه المنتصر في شوال عام ٢٤٧ ه،
اجتمع مع جماعة من الشيعة والطالبيين، وأخرجوا تلك العلامات، وبنوا القبر
الشريف من جديد، وكان المنتصر بالله (٢٤٧ - ٢٤٨ ه) قليل الظلم، محسنا إلى
العلويين، وصولا لهم، أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف
والمحنة، بمنعهم من زيارة قبر الحسين، ورد على آل الحسين " فدك " فقال
يزيد المهلبي في ذلك:

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا

ورددت ألفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم إخوانا

ويضيف المسعودي أنه في خلافة المنتصر أمن الناس، وكف عن آل أبي
طالب، ولم يمتنع أحد من زيارة قبر الإمام الحسين، أو قبر أبيه الإمام علي،
وروى ابن كثير عن ابن الكلبي: أن الماء لما أجري على قبر الحسين، بمحو
أثره، نضب الماء بعد أربعين يوما، فجاء أعرابي من بني أسد، فجعل يأخذ
قبضة ويشمها حتى وقع على قبر الحسين فبكى، وقال: بأبي وأمي، ما أطيبك،
وأطيب تربتك، ثم أنشد يقول: -

أرادوا أن يخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وأما الخليفة المتوكل، فلقد لقي جزاء عدائه لآل البيت الطاهرين، فلم
تمض سنون حتى لقي مصرعه في ثالث أيام عيد الفطر عام ٢٤٧ ه (٨٦١ م)،
وهو في لهوه وشرابه بين ندمائه ومغنياته، وعلى يد أقرب الناس إليه، ولده
" المنتصر بالله " (٢٤٧ - ٢٤٨ ه)، الذي أمن الناس، وكف أذاه عن آل أبي
طالب - كما أشرنا آنفا - وفي ذلك يقول البحتري من أبيات له:

وإن عليا لأولى بكم * وأزكى يدا عندكم من عمر

وكل له فضله والحجول * يوم التراهن والغرور (١)
٣ - من كرامات الإمام الهادي: -
روى الشبلنجي في نور الأبصار عن الأسباطي قال: قدمت على أبي
الحسن علي الهادي بن محمد الجواد المدينة الشريفة من العراق، فقال لي: ما
خبر الواثق عندك، فقلت: خلفته في عافيه، وأنا من أقرب الناس به عهدا،
وهذا مقدمي من عنده، وتركته صحيحا.
فقال: إن الناس يقولون إنه مات، فلما قال لي: إن الناس يقولون إنه قد
مات، فهمت إنه يعني نفسه، فسكت.
ثم قال: ما فعل ابن الزيات، قلت: الناس معه، والأمر أمره، فقال: أما
إنه شؤم عليه، ثم قال: لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا جبر، إن مات
الواثق، وجلس جعفر المتوكل، وقتل ابن الزيات، فقلت: متى. قال: بعد
مخرجك بستة أيام، فما كان إلا أيام قلائل، حتى جاء قاصدا المتوكل إلى
المدينة، فكان كما قال (٢).
وروى أنه كان بأصبهان رجل يدعى عبد الرحمن، وكان له لسان وجرأة،
وكان شيعيا، فقيل له: ما سبب تشيعك، وقولك بإمامة الهادي؟
قال: أخرجني أهل أصفهان بسنة من السنين، وذهبوا بي إلى باب
المتوكل شاكين متظلمين، وفي ذات يوم، ونحن وقوف بباب المتوكل ننتظر
الإذن بالدخول، إذ خرج الأمر بإحضار " علي الهادي "، فقلت لبعض من حضر:
من هذا الرجل الذي أمر الخليفة بإحضاره؟

---

(١) أنظر (المسعودي: مروج الذهب ٢ / ٥١٤ - ٥١٥، محمد بيومي مهران: الإمام الحسين بن علي ص ١٨٠ - ١٨٢ (بيروت ١٩٩٠)، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٥٦ - ٣٥٧، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي ٣ / ٦ - ٧، ابن الساعي: مختصر تاريخ الخلفاء ص ٦٧ - ٦٨، تاريخ الطبري ١١ / ٨١، مقاتل الطالبيين ص ٦٣٦.
(٢) نور الأبصار ص ١٦٥.

قال: رجل علوي، تقول الرافضة، بإمامته، ويريد المتوكل قتله.
فقلت في نفسي: لن أبرح، حتى أنظر إليه، ولم يمض أمد من الوقت، حتى أقبل راكبا على فرس، وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صفين ينظرون إليه، فلما رأيته وقع حبه في قلبي، ودعوت له في نفسي أن يدفع الله عنه شر المتوكل.
وأقبل الإمام الهادي يسير بين الناس، لا ينظر يمنة ولا يسرة، وأنا أكرر في نفسي الدعاء، فلما صار بإزائي، أقبل بوجهه علي، وقال لي: قد استجاب الله دعاءك، وطول عمرك، وكثر مالك وولدك.
قال عبد الرحمن: فارتعدت من هيبته، ووقعت بين أصحابي، فسألوني: ما شأنك، فقلت: خيرا، ولم أخبر بذلك مخلوقا، فانصرفنا بعد ذلك إلى أصفهان، ففتح الله علي بدعائه، حتى أنا اليوم أغلق بابي على ألف ألف درهم، سوى أموالي التي خارج الدار، ورزقت عشرة من الأولاد، وقد بلغت الآن نيفا وسبعين سنة (١).
وفي إثبات الوصية: أن الخليفة المتوكل كان قد أوكل الهادي، وهو غلام، إلى معلم عرف بالنصب والعداوة لآل البيت الطاهرين لينشئه بعيدا عن معتقدات الشيعة، كما أمر بإبعاده عن الشيعة، وإبعاد الشيعة عنه، غير أن هذا المعلم سرعان ما تصيبه الدهشة والعجب لهذا الغلام، الذي مات أبوه، وهو ابن ست سنين، ونشأ بين الجواري السود، ثم يظهر من العلم والفقه، ما جعل المعلم نفسه يتأدب ويتعلم عليه، ثم يتشيع، ويفسر الشيعة ذلك بالعلم الحضوري، والنور الجلي، والسر الخفي، من لدن رب العالمين (٢).

---

(١) الشيعة في الميزان ص ٢٤٧ – ٢٤٨.
(٢) المسعودي: إثبات الوصية ص ٢٢٢ – ٢٢٣، أحمد صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٣٩٣.

٤ - من مرويات الإمام الهادي: -
حدث محمد الفرج بمدينة جرجان في المحلة المعروفة باسم " بئر أبي
عنان " قال: حدثني أبو دعامة قال: أتيت علي الهادي بن محمد الجواد بن علي
الرضا بن موسى الكاظم، عائدا في علته التي كانت وفاته منها في هذه السنة،
فلما هممت بالانصراف قال لي: يا أبا دعامة، قد وجب حقك، أفلا أحدثك
بحديث تسر به؟
قال: فقلت له: ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله:
قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن موسى،
قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال:
حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني
أبي الحسين بن علي، قال: حدثني علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، قال:
رسول الله (صلى الله عليه وسلم): " أكتب يا علي، قال: قلت: وما أكتب؟ قال لي:
بسم الله
الرحمن الرحيم، الإيمان ما وقرته القلوب، وصدقته الأعمال، والإسلام ما
جرى به اللسان، وحلت به المناكحة ".
قال أبو دعامة: فقلت: يا ابن رسول الله، ما أدري والله أيهما أحسن
الحديث أم الإسناد؟
فقال: إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب، بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،
نتوارثها صاغرا عن كابر (١).
٥ - من أقوال الهادي:
قال الإمام: إن المحق السفيه، يكاد يطفئ نور حقه بسفهه.
وقال: من أطاع الخالق، لم يبال بسخط المخلوق.

---

(١) مروج الذهب ٢ / ٥٤٦ - ٥٤٧

وقال: من رضي عن نفسه، كثر عليه الساخطون.
وقال: بئس العبد، عبد يكون ذا وجهين، وذا لسانين، يطري أخاه شاهدا، ويأكله غائبا.
وقال: أورع الناس من وقف عند الشبهة، وأعبد الناس من أقام الفرائض، وأزهد الناس من ترك الحرام.
وقال: رياضة الجاهل، ورد المعتاد عن عادته، كالمعجز.
وقال: من كان على بينة من ربه، هانت عليه مصائب الدنيا، ولو قرض ونشر (١).
وقال: إن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، فأنى أن يوصف من تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطوات أن تحسده، والأبصار أن تحيط به، جل عما يوصف الواصفون، وتعالى عما ينعته الناعتون، نأى، في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد.
وقال: في تفسير قوله تعالى (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) قال: إن الله قد جعل قلوب الأئمة منبع إرادته، فإن شاء شيئا شاؤوه (٢).

---

(١) فضائل الإمام علي ص ٢٤٠ - ٢٤١.
(٢) أحمد صبحي المرجع السابق ص ٣٩٣ - ٣٩٤، إثبات الوصية ص ٢٧٧، أنوار الإسلام في علم الإمام ص ٢ (مخطوط).

(٦) - الإمام الحسن العسكري

١ - نسبه ومولده:

هو الإمام أبو محمد الحسن بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد، بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، عليهم السلام، وسيدة نساء العالمين، السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم: وأما أم الإمام فهي أم ولد، وتدعى " سوسن " وأما كنيته فأبو محمد، ولقبه العسكري. والسراج والخالص، وليس له ولد سوى محمد بن الحسن، وهو الحجة المنتظر.

هذا وقد ولد الإمام أبو محمد الحسن العسكري (١) في يوم الخميس في بعض شهور سنة ٢٣١ ه‍ - وقيل في سادس شهر ربيع الأول، وقيل الآخر سنة ٢٣٢ ه‍، وتوفي في يوم الجمعة - وقيل يوم الأربعاء - لثمان خلون من شهر ربيع الأول - وقيل جمادى الأولى - سنة ٢٦٠ ه‍ في " سر من رأى "، ودفن إلى جانب قبر أبيه الإمام علي الهادي، وذلك في خلافة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩ ه‍)، وهو ابن تسع وعشرين سنة، وهو أبو المهدي المنتظر، وقد أقام مع أبيه الهادي ٢٣ ه‍ سنة وأشهرا، وبقي بعده خمس سنين وأشهرا (٢).

---

(١) العسكري: نسبة إلى " سر من رأى " ذلك أن المعتصم لما بناها، وانتقل إليها بعسكره، قبل لها " العسكر " وإنما نسب الحسن إليها، لأن المتوكل أشخص أباه عليا الهادي إليها، وأقام بها عشرين سنة، وتسعة أشهر، ونسب هو ووالده إليها، أي نسب الإمام علي الهادي والإمام الحسن إلى مدينة العسكر، وهي " سر من رأى " وفيات الأعيان ٢ / ٩٤ - ٩٥، الصواعق المحرقة ص ١٢. وتقع " سر من رأى " أو " سامراء " على الضفة اليسرى للدجلة، وعلى مبعدة ١٠٠ كيلا شمالي بغداد.

(٢) وفيات الأعيان ٩٤٢، الشيعة في الميزان ص ٢٤٩، مروج الذهب ٢ / ٥٧١.

ويروي الكليني في الكافي، عن محمد بن يحيى عن سعد بن عبد الله عن
جماعة من بني هاشم - منهم الحسن بن الحسن الأفطس - أنهم حضروا يوم وفاة
الإمام محمد الجواد إلى أبي الحسن علي الهادي يعزونه قالوا: قدرنا أن يكون
حوله من آل أبي طالب وبني هاشم وقريش مائة وخمسون رجلا، سوى مواليه
وسائر الناس، إذ نظر إلى الحسن بن علي، وقد جاء مشقوق الجيب، حتى قام
عن يمينه، ونحن لا نعرفه، فنظر إليه أبو الحسن بعد ساعة، فقال: يا بني
أحدث الله عز وجل شكرا، فقد أحدث فيه أمرا، فبكى الفتن، وحمد الله
واسترجع، وقال: الحمد لله رب العالمين، وأنا سأل الله تمام نعمته لنا فيك،
و (إنا لله وإنا إليه لراجعون)، فسألنا عنه، فقيل: هذا الحسن ابنه، وقدرناه له
في ذلك الوقت عشرين سنة، أو أرجح، فيومئذ عرفناه، وعلمنا أنه قد أشار إليه
بالإمامة، أقامه مقامه (١).
ويؤكد المفيد إمامة الحسن العسكري، ويقول: وكان الإمام بعد أبي
الحسن علي ابنه أبا محمد الحسن بن علي، لاجتماع خلال الفضل فيه، وتقدمه
على كافة أهل عصره، فيما يوجب له الإمامة، ويقتضي له الرياسة (٢).
هذا وتذهب المصادر الإمامية إلى أنه لما توفي الإمام الحسن العسكري،
خلفه ابنه المنتظر، وكان قد أخفى مولده، وستر أمره، لصعوبة الوقت، وشدة
الطلب له، واجتهاده في البحث عن أمره، ولما شاع من مذهب الإمامية،
وعرف من انتظارهم له، فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد
وفاته، لذلك لم يره " إلا الخواص من شيعته " (٣).

٢ - من مناقب الإمام العسكري:

اشتهر الإمام الحسن العسكري بأن أخلاقه كانت قبسا من أخلاق جده

---

(١) الكليني: الكافي ١ / ٣٢٦.
(٢) المفيد: الإرشاد ص ٣٣٤ - ٢٣٨، نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ٢٨٨.
(٣) المفيد: الإرشاد ص ٣٤٥، الطبرسي: إعلام الورى ص ٣٦٠، نبيلة عبد المنعم: المرجع السابق
ص ٨٢٤٨.

المصطفى (صلى الله عليه وسلم)، في هديه وسكونه، وعفافه ونبله وكرمه، وكان - على صغر
سنه - مقدما على العلماء والرؤساء، معظما عند سائر الناس (١).
وفي درر الأصداف ونور الأبصار والصواعق المحرقة: وقع لبهلول (٢) معه، أنه رآه - وهو صبي - يبكي، والصبيان يلعبون، فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم، فقال: اشتري لك ما تعلب به؟ فقال: يا قليل العقل، ما للعب خلقنا، فقال له: فلماذا خلقنا؟ قال: للعلم والعبادة، فقال له: من أين لك ذلك؟ قال: من قول الله عز وجل (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا، وأنكم إلينا لا ترجعون) (٣).
ثم سأله أن يعظه، فوعظه بأبيات، ثم خر الحسن مغشيا عليه، فلما أفاق قال له: ما نزل بك وأنت صغير، لا ذنب لك؟ فقال: إليك عني يا بهلول، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم (٤).
وروي أن الخليفة العباسي سجنه عند رجل يدعى " صالح بن وصيف " فوكل به رجلين من الأشرار بقصد إيذائه والتضييق عليه، وأصبحا بمعاشرة الإمام من الصلحاء الأبرار.
فقال لهما صالح: ويحكما ما شأنكما في هذا الرجل؟ قالا: ما تقول في رجل يصوم نهاره، ويقوم ليله، كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة، وإذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا، ودخلنا ما لا نملكه من أنفسنا.

---

(١) الشيعة في الميزان ص ٢٤٩.
(٢) هو أبو وهيب بهلول بن عمرو الصيرفي أو الصوفي المجنون، نشأ في الكوفة، ثم دعاه هارون الرشيد إلى بغداد، وكان شاعرا زاهدا، وقصاصا، وكان يتشيع، وأهم آثاره " القصيدة البهلولية "، وأهم مصادر ترجمته (البيان والتبيين للجاحظ ٢ / ٢٣٠ - ٢٣١، الرجال للطوسي ص ١٦٠، لسان الميزان لابن حجر ٢ / ٦٨، أعيان الشيعة ١٤ / ١٤٦ - ١٦٣، الأعلام للزركلي ٢ / ٥٦، فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي ٤ / ١٠٧ - ١٠٨).
(٣) سورة المؤمنون آية ١١٥.
(٤) الصواعق المحرقة ص ٣١٣ - ٣١٤، نور الأبصار ص ١٦٦.

سبحانك ربي جل جلالك: أسير لا يملك حولا ولا قوة، ينظر إلى آسره فيرتعد خوفا وفزعا، ولا تفسير لذلك، إلا هيبة الإمام، وإلا الرياسة الحقة التي تفرض نفسها على الناس أجمعين.

هكذا فإن من ينقطع إلى الله - سبحانه وتعالى - تهابه الملوك والجبابرة، وقد جاء في الحديث الشريف: " إن المؤمن يخشع له كل شئ، وأن من يخاف الله يخاف منه كل شئ، حتى هوام الأرض وسباعها، وطيور السماء) (١).

٣ - من تفسيره للقرآن الكريم:

قال الإمام العسكري في تفسيره لقول الله تعالى: (الذي جعل لكم الأرض فراشا، والسماء بناء، وأنزل من السماء ماء، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم، فلا تجعلوا لله أندادا، وأنتم تعلمون) (٢).

قال: إن معنى جعل الأرض فراشا، أنها ملائمة لطباعكم، موافقة لأجسادكم، ولم يجعلها شديدة الحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا قوية الريح فتصدع هامكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في الحرث والبناء والحفر، ولكنه - سبحانه وتعالى - جعلها من المتانة ما تنتفعون به، وجعل فيها من اللين ما تنقاد لحرثكم، وكثير من منافعكم.

وأما معنى السماء بناء، فهو حفظها بالشمس والقمر والنجوم، وانتفاع الناس بها.

ثم أنزل المطر من علو، ليبلغ الجبال والتلال، والهضاب والوهاد، وفرقه رذاذا ووابلا وطلا، لتنتفع الأشجار والزرع والثمار، ثم رتب الله - سبحانه

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٢:

وتعالى - على ذلك، وحدانيته وقدرته، ونفى الأنداد والأمثال (١).
وقال الإمام في تفسير قول الله تعالى: (ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني) (٢)، إن الأمي هو المنسوب إلى أمه، أي هو لا يعرف شيئا، تماما كما خرج من بطن أمه (٣).

٤ - من كرامات الإمام العسكري:

روى صاحب نور الأبصار عن أبي هاشم داود بن قاسم الجعفري قال: كنت في الحبس الذي في الجوسق - أنا والحسن بن محمد، ومحمد بن إبراهيم العمري، وفلان وفلان خمسة أو ستة - إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري، وأخوه جعفر، فخففنا بأبي محمد، وكان المتولي للحبس، صالح بن يوسف الحاجب، وكان معنا في الحبس رجل أعجمي، فالتفت إلينا الإمام أبو محمد الحسن العسكري، وقال لنا سرا: لولا أن هذا الرجل فيكم، أخبرتكم متى يفرج الله عنكم؟، وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة، يخبره فيها بما تقولون فيه، وهي معه في ثيابه، يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة، من حيث لا تعلمون، فاحذروا شره.
قال أبو هاشم: فما تمالكنا أن تحاملنا جميعا على الرجل، ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه في ثيابه، وهو يذكرنا فيها بكل سوء، فأخذناها منه وحذرناه، وكان الإمام الحسن يصوم في السجن، فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه.
قال أبو هاشم: فكنت أصوم معه، فلما كان ذات يوم، ضعفت عن الصوم، فأمرت غلامي فجاء لي بكعك، فذهبت إلى مكان خال من الحبس،

---

(١) محمد جواد مغنية: المرجع السابع ص ٢٥٠.
(٢) سورة البقرة: آية ٧٨.
(٣) الشيعة في الميزان ص ٢٥٠.

فأكلت وشربت، ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة، ولم يشعر بي أحد، فلما رآني تبسم وقال: أفطرت، فخجلت، فقال: لا عليك يا أبا هاشم، إذا رأيت أنك ضعفت، وأردت القوة، فكل اللحم، فإن الكعك لا قوة فيه، وقال: عزمت عليك أن تفطر ثلاثا، فإن البنية إذا أنهكها الصوم، لا تتقوى إلا بعد ثلاث.
قال أبو هاشم: ثم لم تطل مدة الإمام أبي محمد بن علي في الحبس
بسبب أن قحط الناس في " سر من رأى " (سامراء) قحطا شديدا، فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء، فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون، فلم يسقوا، فخرج " الجاثليق " في اليوم الرابع إلى الصحراء، وخرج معه النصارى والرهبان، وكان فيهم راهب، كلما مد يده إلى السماء هطلت بالمطر، ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم في أول يوم، فهطلت السماء بالمطر، فعجب الناس من ذلك، وداخل بعضهم الشك، وصبا بعضهم إلى دين النصرانية، فشق ذلك على الخليفة، فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد من الحبس، وائتني به.
فما حضر الإمام أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له: أدرك أمة
محمد (صلى الله عليه وسلم)، فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة.
فقال الإمام أبو محمد: دعهم يخرجون غدا اليوم الثالث، فقال الخليفة:
لقد استغنى الناس عن المطر، فما فائدة خروجهم.
قال الإمام: لأزيل الشك عن الناس، وما وقعوا فيه.
فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضا في اليوم الثالث، على
جاري عادتهم، وأن يخرج الناس، فخرج النصارى، وخرج معهم الإمام أبو محمد الحسن، ومعه خلق من المسلمين، فوقف النصارى، على جاري عادتهم يستسقون، وخرج راهب معهم، ومد يده إلى السماء، ورفعت النصارى
والرهبان أيديهم أيضا كعادتهم، فغيمت السماء في الوقت، ونزل المطر.

فأمر الإمام أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب، وأخذ ما فيها، فإذا بين أصابعه عظم آدمي، فأخذه الإمام أبو محمد الحسن، ولفه في خرقة، وقال لهم: استسقوا فانقشع الغيم، وطلعت الشمس، فتعجب الناس من ذلك.
فقال الخليفة: ما هذا يا أبا محمد، فقال الإمام: هذا عظم نبي من الأنبياء، ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء، وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء، إلا هطلت بالمطر، فاستحسنوا ذلك، وامتحنوه، فوجدوه كما قال.
فرجع الإمام أبو محمد الحسن إلى داره في " سر من رأى "، وقد أزال عن الناس هذه الشبهة، وسر الخليفة والمسلمون من أجله، وأقام الإمام أبو محمد الحسن بمنزله معظما مكرما، وصلات الخليفة وإنعاماته تصل إليه في كل وقت (١).
وعن علي بن إبراهيم بن هشام عن عيسى بن الفتح قال: لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لي: يا عيسى لك من العمر خمس وستون، وشهر ويومان، قال: وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي، فنظرت فيه، فكان كما قال، ثم قال: هل رزقت ولدا؟ قلت: لا، قال: اللهم ارزقه ولدا يكون له عضدا، فنعم العضد الولد، ثم أنشد:
من كان ذا عضد يدرك ظلامته * إن الذليل الذي ليست له عضد
فقلت: يا سيدي، وأنت لك ولد؟ إني والله سيكون لي ولد، يملأ الأرض قسطا وعدلا، وأما الآن فلا (٣).

----

(١) سيد الشبلنجي: كتاب نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ١٦٦ - ١٦٧ (ط مكتبة الجمهورية العربية).
(٢) نور الأبصار ص ١٦٧.

وعن إسماعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - رضي الله عنهم - قال: قعدت لأبي محمد الحسن على باب داره، حتى خرج، فقمت في وجهه، وشكوت إليه الحاجة والضرورة، وأقسمت أني لا أملك الدرهم الواحد، فما فوقه.
وقال: تقسم، وقد دفنت مائتي دينار، وليس قولي هذا دفعا لك عن العطية، إعطه يا غلام، ما معك، فأعطاني مائة دينار، فشكرت له ووليت.
فقال: ما أخوفني أن تنفقد المائتي دينار، أحوج ما تكون إليها، فذهبت إليها، فافتقدتها فإذا هي في مكانها، فنقلتها إلى موضع آخر، ولم يطلع عليها أحد، ثم قعدت مدة طويلة، فاضطررت إليها، فجئت أطلبها في مكانها، فلم أجدها، فحزنت وشق ذلك علي، فوجدت ابنا لي قد عرف مكانها، وقد أخذها وأنفذها ولم أحصل فيها على شئ، وكان كما قال.
وعن محمد بن حمزة الدوري قال: كنت على يد أبي هاشم داود بن القاسم - وكان مؤاخيا لأبي محمد الحسن العسكري - أسأله أن يدعو الله لي بالغنى، وكنت قد أملقت، وخفت الفضيحة، فجزع الجواب على يده: أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى، مات ابن عمك " يحيى بن حمزة " وخلف مائة ألف درهم، ولم يترك وارثا سواك، وهي واردة عليك عن قريب، فاشكر الله، وعليك بالاقتصاد، وإياك والإسراف.
فورد علي المال، والخبر بموت ابن عمي، كما قال، عن أيام قلائل، وزال عني الفقر، وأديت حق الله تعالى، وبررت أخوتي، وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل مبذرا.

---

(١) نور الأبصار عن ١٦٧ - ١٦٨.

وروي أنه سقط في بئر – وهو طفل فصاحت نساء البيت، وركضن إلى أبيه – الإمام علي الهادي – فلم يلتفت، وأخبرهن بأنه لا ضير عليه، ثم ذهب إلى البئر، فرأى الصبي يلعب فوق سطح الماء، ثم ارتفع الماء إلى السطح فأخرج (١).

٥ – من أقوال الإمام العسكري:

لعل من الجدير بالإشارة إلى أن دور أبي محمد الحسن العسكري، ليس كدور أسلافه الأئمة، فلم يرو من أقواله – سواء في الدين أو المذهب – إلا النذر اليسير، ولعل ذلك إنما يرجع إلى قصر مدة إمامته، أو إلى أنه قضى معظم أيامه حبيسا في سامراء، وقد ضيق العباسيون عليه الخناق، حتى تعذر على شيعته الاتصال به في معظم الأحايين (٢).

وعلى أية حال، فمن أقواله:

– من التواضع السلام على من تمر به، والجلوس دون المجلس.

– بغض الفجار للأبرار، زين للأبرار.

– خصلتان ليس فوقهما شئ: الإيمان بالله، ونفع الإخوان.

– من مدح غير المستحق، فقد قام مقام المتهم.

– أضعف الأعداء كيدا، من أظهر عداوته.

– من كان الورع سجيته، والعلم حليته، انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه (٣).

– وعن أبي هاشم قال: سمعت أبا محمد الحسن يقول:

إن في الجنة بابا، يقال له المعروف، لا يدخل منه إلا أهل المعروف.

---

(١) الشيبي: الصلة بين التصوف والتشيع ٢ / ٧٧.

(٢) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٩٤.

(٣) محمد جواد مغنية: فضائل الإمام علي ص ٢٤٢.

قال أبو هاشم: فحمدت الله في نفسي، وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس، فنظر إلي وقال: يا أبا هاشم، دم على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا، هم أهل المعروف في الآخرة.
وعن أبي هاشم قال سمعت الإمام أبي محمد الحسن العسكري يقول: " بسم الله الرحمن الرحيم، أقرب إلى اسم الله الأعظم، من سواد العين إلى بياضها (١).
٦ - دور الإمام العسكري في الإمامة:
لعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن دور الإمام أبي محمد الحسن العسكري في الإمامة، لم يكن في تلقي العلم عنه، أو الإئتمام به، بقدر ما هو تمهيد لولده القائم، ذلك أن التشيع وقت ذاك إنما كان يمر بدور الحضانة لظهور " عقيدة المهدي "، ومن ثم فقد كان دور الإمام الحسن العسكري، الملقب بالصامت، أن يمهد لولادة القائم صاحب الزمان.
ولا تمهد الشيعة لولادة المهدي، من حيث أبيه فحسب، وأنما تمهد كذلك من حيث أمه، " مليكة بنت يسوعا بن قيصر " ملك الروم، وأمها من نسل الحواريين، ويتصل نسبها ب " شمعون " وصي المسيح، عليه السلام.
وتذهب الروايات الشيعية إلى أن جدها القيصر أراد أن يزوجها من ابن أخيه، فجمع القسيسين والرهبان وأمراء الأجناد، وقواد العسكر وملوك العشائر، ولكن الصلبان تساقطت، حين قام الأساقفة ليتموا مراسيم الزواج، فتطير الحاضرون من ذلك.
وفي نفس الليلة ترى " مليكة " - فيما يرى النائم - السيد المسيح وشمعون وعدة من الحواريين، وقد اجتمعوا في قصر جدها، وقد دخل عليهم محمد

----
(١) الشبلنجي: نور الأبصار ص ١٦٨.

(سيدنا ومولانا وجدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، في أهل بيته ليخطب من المسيح، سليلة وصيه شمعون إلى ابنه أبي محمد، فأشفقت الفتاة أن تقص رؤياها على جدها القيصر، وكانت ترى في نومها كل ليلة أبا محمد (الحسن العسكري)، ثم انقطعت رؤيته حتى مرضت، فرأت في نومها فاطمة الزهراء (سيدة نساء العالمين، بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تخطبها من السيدة " مريم ابنة
عمران " عليها السلام، إلى ابنها أبي محمد الحسن العسكري، على أن تبرأ من النصرانية، لتبرأ من مرضها.
ثم كانت موقعة حربية بين الروم والمسلمين، وقد أخطرت في منامها أن تسير مع الجيوش، لتقع أسيرة، فيبيعها النخاس بعد ذلك إلى رسول من قبل الإمام الحسن العسكري، بعث به إليها، بعد أن وصف الجارية له، فلما صارت إلى العسكري بشرها بمولود، يملك الدنيا شرقا وغربا، ويملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا.
ويذهب الدكتور أحمد صبحي إلى أن ما نسب إلى هذه السيدة الرومية من رواية غيبية، إنما تشير إلى عدة دلائل، لها أهميتها في العقائد الشيعية، أنه إذا كان الإمام علي زين العابدين، قد ورث دم الأكاسرة - إلى جانب نور النبوة - فإن المهدي المنتظر، إنما قد ورث عظمة القياصرة - إلى جانب نور النبوة - ثم هو قد ورث - إلى جانب ذلك كله - تلك القداسة المستمدة من وصي المسيح، ولا يخفى أهمية دور السيد المسيح عليه السلام، في إتمام هذا الزواج، الذي سوف تكون ثمرته، ولادة " المهدي المنتظر "، هذا فضلا عن الدور الذي قام به أعظم رسولين، فإن للسيد المسيح دورا آخر، حين يعود، ليمهد لقيام المهدي في العقيدة المهدية، كما مهد لولادته، حين خطب النبي (صلى الله عليه وسلم)، منه سليلة وصيه.
وهكذا إن فقدت أمهات الأئمة من الجواري، شرف الحسب، وأصالة

النسب، فإن الرومية قد نسب إليها من طهارة الأصل، وأصالة العرق، ما لا يدانيها فيه أعرق القرشيات أرومة - عدا بيت النبي (صلى الله عليه وسلم) - وذلك بانتسابها أبا إلى
قيصر الروم، وأما إلى وصي السيد المسيح عليه السلام، لتلد حجة الله في أرضه، والقائم بأمره، من تعلق الناس بقيامه، المنتظر ظهوره، ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ذلك هو المهدي المنتظر محمد بن الحسن العسكري (١).
بقيت الإشارة إلى أن أصحاب المقالات ومؤرخي الفرق، إنما قد انقسموا - كما يقول الدكتور أحمد صبحي - إلى ما يزيد على عشرين فرقة، وليس من بين الأئمة التسع من ولد مولانا الإمام الحسين، من أجمع الشيعة على إمامته.
اختلفوا في الإمام علي زين العابدين، فافترقت الكيسانية (٢)، ثم في الإمام محمد الباقر، فانشقت الزيدية (٣)، ثم تشتت الآراء بعد وفاة الإمام جعفر الصادق، فنقل الإسماعيلية (٤) الإمامة إلى ولده إسماعيل، ورأت الفطحية (٥) أن الإمامة في ولد عبد الله، أما الشمطية (٦)، فقد نقلت الإمامة إلى محمد بن جعفر ورأت الناووسية (٧) أن الإمام الصادق لم يمت، وأنه القائم المهدي، بينما نقلت

---

(١) أحمد صبحي: المرجع السابق ص ٣٩٤ - ٣٩٥.
(٢) أنظر عن الكيسانية: البغدادي: الفرق بين الفرق ٣٨ - ٥٣، الشهرستاني: الملل والنحل (١ / ١٤٧ - ١٥٤.
(٣) أنظر عن الزيدية: الشهرستاني: الملل والنحل (١ / ١٥٤ - ١٦٢، البغدادي الفرق بين الفرق ص ٣٠ - ٣٧، أحمد صبحي: الزيدية - الإسكندرية ١٩٨٠، المذهب الزيدي - الإسكندرية ١٩٨١، أحمد شوقي إبراهيم: الحياة الفكرية والسياسية للزيدية في المشرق الإسلامي - المينا ١٩٩١ م.
(٤) أنظر عن الإسماعيلية: الشهرستاني ١ / ١٦٧، ١٩١ - ١٩٨، البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٦٢ - ٦٣.
(٥) أنظر البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٦٢، الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٦٧.
(٦) الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٦٧، البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٦١.
(٧) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٦١، الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٦٦ - ١٦٧

الإثنا عشرية (١) الإمام إلى ولده الإمام موسى الكاظم، ثم توقفت عنده طائفة فسميت ب " الواقفية " (٢).
ولما توفي الإمام علي الرضا، اختلفوا في إمامة ولده " محمد الجواد " - حين ولي الإمامة، ولما ييفع بعد - فأرجعت طائفة الإمامة إلى أحمد بن موسى الكاظم، فعرفت بالراجعة.
ثم يضطرد الافتراق والانشقاق - بعد وفاة الإمام محمد الجواد - فتنقل طائفة الإمامة إلى أخيه " جعفر بن علي ".
على أن الاختلاف إنما يبلغ أشده - بعد وفاة الإمام الحسن العسكري - إذ ترى فرق أنه لم يعقب، وشارك بعض أهل السنة في هذا القول - كابن حجر الهيثمي (٣) - معارضة منهم في العقيدة المهدية، بمفهومها الشيعي، واستندت في

---

(١) الشهرستاني: الملل والنحل ١ / ١٦٩ - ١٧٢، البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٦٤ - ٦٥، نبيلة عبد المنعم داود: نشأة الشيعة الإمامية - بغداد ١٩٦٨.
(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٦٣ - ٦٤، الشهرستاني ١ / ١٦٨ - ١٦٩.
(٣) هو الفقيه المحدث أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي، ولد في محلة أبي الهيثم (محافظة الغربية) في عام ٩٠٩ ه‍ (١٥٠٤ م) مات أبوه صغيرا، فكفله الإمامان شمس الدين بن أبي الحمائل، وشمس الدين الشناوي، بدأ دراسته في المسجد الأحمدي بطنطا، ثم انتقل عام ٩٢٤ ه‍ إلى الأزهر بالقاهرة، حيث أخذ عن علماء عصره، وكان نبوغه مبكرا، حتى أذن له بالإفتاء والتدريس، وعمره دون العشرين، ثم انتقل إلى مكة المكرمة عام ٩٤٠ ه‍، حيث توفي فيها عام ٩٧٤ ه‍ (١٥٦٧ م) ودفن بالمعلاة في تربة الطبريين، وكان زاهدا في الدنيا، آمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر، شأن السلف الصالح، وله تصانيف كثيرة، أشهرها: (الصواعق المحرقة - مبلغ الأدب - تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية - الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان - الفتاوي الهيثمية - المنح المكية، شرح لهمزية البوصري الزواجر من افتراق الكبائر - شرح مشكاة المصابيح للتبريزي - الإمداد في شرح الإرشاد للمقري - الجوهر المنظم)، وكان ابن حجر في مكة إماما للحرمين، يدرس ويفتي ويولف (أنظر: دائرة المعارف الإسلامية ١ / ١٣٣، خلاصة الأثر ٢ / ١٦٦، آداب اللغة ٣ / ٣٣٤، مقدمة الصواعق المحرقة).

ذلك إلى أن " جعفر بن الهادي " (١) قد طالب بميراث أخيه الحسن بعد موته، لما ادعى الإمامة بعده (٢).
هذا وقد توقفت طائفة عند الإمام الحسن العسكري، وعدته القائم المنتظر، وذهبت أخرى إلى بطلان الإمام من بعده، فليس في الأرض حجة من ذرية النبي (صلى الله عليه وسلم)، وإنما الحجة في الأخبار الواردة عن الأئمة المتقدمين.

---

(١) جعفر بن الهادي: هو أبو عبد الله جعفر الملقب " بالكذاب "، لأنه ولد ١٢٠ ولدا، يقال لهم " الرضويون " نسبة إلى جده الرضا، وقد مات جعفر هذا في عام ٢٧١ ه، وقد اختلفت في حقه الأقوال، وأنه تاب أو بقي على إصراره على الأفعال المنكرة، والدعاوي الكاذبة، وقد روى " الكليني " في " الكافي " عن محمد بن عثمان العمري، بخط صاحب الأمر عليه السلام صريحا في توبته، وأن سبيله سبيل أخوة يوسف عليه السلام، وقد توفي عن ٤٥ سنة، ودفن بدار أبيه في سامراء (ابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ٢٢٨ - ٢٢٩.
(٢) أحمد صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية ص ٣٩٦ - ٣٩٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين ص ٩٩ - ١٠٠، الشيخ المفيد: الفصول المختارة من العيون والمحاسن ص ٩٩.

(٧) الإمام المهدي المنتظر

هو الإمام الثاني عشر من أئمة آل الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولد للنصف من شهر شعبان عام ٢٥٥ ه في مدينة (سامراء) على أيام الخليفة المهتدي (٢٥٥ - ٢٥٦ ه).

هذا وقد تصدق أبوه - في يوم مولده - بعشرة آلاف رطل من الخبز، ومثلها من اللحم كما عق عنه ثلاثمائة رأس من الغنم.

وأما أم الإمام المهدي فأم ولد، اسمها " نرجس " وكانت سنه عند وفاة أبيه خمس سنين وقد آتاه الله فيها الحكمة، وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين، كما جعل من قبل نبيه يحيى عليه السلام، إماما في حالة طفولته، وكما جعل عيسى ابن مريم عليه السلام، نبيا، وهو في المهد صبيا (١).

هذا وقد أثبتت الشيعة الإمامية إمامة محمد بن الحسن المهدي بعدة أدلة ونصوص، منها (أولا) ما أورده الكليني عن ضوء بن علي العجلي عن رجل من أهل فارس قال: أتيت " سر من رأى "، ولزمت باب أبي محمد الحسن العسكري، فدعاني من غير أن أستأذن، فلما دخلت وسلمت قال لي: يا أبا

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٥٢، وقد ناقش المؤلف في كتاب آخر له - قضية النبوة قبل الأربعين بالنسبة ليحيى وعيسى عليهما السلام، بشئ من التفصيل (أنظر: محمد بيومي مهران: دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الثالث - في بلاد الشام - بيروت ١٩٨٨ (ص ٢٤٣ - ٣٥٠).

فلان، ما الذي أقدمك؟ قلت: رغبة في خدمتك، قال: فالزم الدار، قال:
فكنت في الدار مع الخدم، ثم صرت اشتري لهم الحوائج من السوق، وكنت أدخل
عليه من غير إذن، إذا كان في الدار رجال، فدخلت عليه يوما،
وهو في دار الرجال، فسمعت حركة في البيت، فناداني: مكانك لا تبرح، فلم
أجسر أن أدخل فخرجت جارية معها شئ مغطى، ثم ناداني:
أدخل، فدخلت، ونادى الجارية فرجعت، فقال لها: اكشفي عما معك،
فكشفت عن غلام أبيض، حسن الوجه.. فقال: هذا صاحبكم، ثم أمرها
فحملته، فما رأيته بعد ذلك، حتى مضى أبو محمد (الحسن العسكري) (١).
ومنها (ثانيا) ما روي عن محمد بن علي بن بلال قال: خرج إلي من أبي
محمد، قبل مضيه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إلى من قبل
مضيه، بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده (٢).
ومنها (ثالثا) ما روي، عن أبي هاشم الجعفري قال: قلت لأبي محمد،
جلالتك تمنعني من مسألتك، فتأذن لي أسألك؟ فقال سل، قلت: يا سيدي:
هل لك ولد؟ فقال: نعم، قلت: فإن حدث بك حدث، فأين أسأل عنه؟ قال:
بالمدينة (٣).
هذا فضلا عن أن " الكليني " إنما قد أفرد بابا خاصا في تسميته من رأى
المهدي (٤)
هذا إلى أن الإمام الحسن العسكري، إنما قد مهد لغيبة ولده المهدي،
فلقد روى المسعودي في " إثبات الوصية ": " أن أبا الحسن صاحب العسكر، وقد

---

(١) الكليني: الكافي ١ / ٣٢٨.
(٢) نفس المرجع السابق.
(٣) نفس المرجع السابق.
(٤) نبيلة عبد المنعم داود: المرجع السابق ص ٣٠٠ المسعودي: إثبات الوصية للإمام علي بن أبي
طالب - النجف - ص ٢٢٥.

احتجب عن كثير من الشيعة، إلا عن عدد يسير من خواصه، فلما أفضى الأمر إلى أبي محمد، وكان يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر، إلا في الأوقات التي يركب فيها دار السلطان، وأن ذلك كان منه، ومن أبيه قبله، مقدمة لغيبة صاحب الزمان، لتألف الشيعة ذلك، ولا تنكر الغيبة، وتجري العادة بالاحتجاب والاستتار " (١).

وعن الإمام محمد الجواد قال: إن من بعد الحسن ابنه القائم بالحق المنتظر، فقيل له: لم سمي المنتظر؟ قال: لأن له غيبة تكثر أيامها، ويطول أمدها (٢)

ويقول الأستاذ محمد جواد مغنية: وللإمام المهدي غيبتان: صغرى وكبرى، ومعنى الصغرى أن الإمام كان يحتجب عن الناس إلا عن الخاصة، وأن اتصاله بشيعته كان عن طريق السفراء، فكان الشيعة يعطون الأسئلة للسفير، وهو بدوره يقوم بتوصيلها إلى الإمام، وبعد الجواب عنها، والتوقيع عليها، يرجعها إلى السائلين عن طريق السفير، ومن هنا سميت " الغيبة الصغرى "، أي أنها ليست غيبة كاملة، انقطع فيها الإمام عن الناس، وكانت مدتها ٧٤ سنة.

وكان السفير الأول بين الإمام الغائب وشيعته رجل يدعى " عثمان بن عمر "، والعمر الأسدي، وكان عثمان هذا وكيلا للإمام " علي الهادي " - جد الإمام الغائب - ثم وكيلا لأبيه الإمام " الحسن العسكري " ثم صار سفيرا للمهدي.

ولما توفي عثمان بن عمر تولى السفارة من بعده ولده محمد بأمر من الإمام المهدي، ثم تولاها بعده " الحسين بن روح النوبختي "، ثم " علي بن محمد السمري "، وبعد هؤلاء السفراء الأربعة انتهت الغيبة الصغرى.

---

(١) المسعودي: إثبات الوصية ص ٢٢٥.
(٢) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ٢ / ٥٠ (طهران ١٣٧٨ ه‍).

وأما " الغيبة الكبرى " فتبتدئ بمنتصف شعبان عام ٣٢٨ ه‍، وفيها انقطعت السفارات والاتصالات بين الإمام وشيعته، والله سبحانه وتعالى أعلم بحكمتها، فإنها سر من أسراره عز وجل، والشك في أسرار الله جحود، والجهل ليس عذرا يسوغ الإنكار، إذ ليس كل ما هو كائن يجب أن نعلمه بالتفصيل.

فنحن المسلمون جميعا نؤمن بالقرآن الكريم كلمة كلمة، وحرفا حرفا، ومع ذلك نجهل بعض معاني ألفاظه، كفواتح السور، التي قيل أن علمها عند الله وحده، وقال آخرون: إن علمها عند الله ونبيه وصلواته على جدهم وعليهم أجمعين (١).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا مولانا وجدنا محمد رسول الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين.

---

(١) محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ص ٢٥٢ - ٢٥٣، وانظر: النعماني: الغيبة ص ٨٩، الطوسي: الغيبة ص ٢١٤، الجزائري: الأنوار النعمانية ٢ / ٢١، الحائري: إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ص ٤٣٥.